

د. محمد محمد داود



العربية

وعلم اللغة الحديث



دارعرب
للطباعة والنشر والتوزيع

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

العريضة

وعلم اللغة الحديث

الدكتور

محمد محمد داود

كلية التربية - جامعة قناة السويس

الكتاب : العربية وعلم اللغة الحديث

المؤلف : د/ محمد محمد داود

رقم الإيداع : ١٧٤٠٢

تاريخ النشر : ٢٠٠١

الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977-215-633-4

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناسر ولا يسمح

بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأى

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناسر

الناسر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسنولية محدودة

الإدارة والمطابع ١٢ شارع نوبار لاطوغلى (القاهرة)

ت: ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣.١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق } ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٣ - ٢٧٣٨١٤٣

والمعرض الدائم }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ الروم / ٢٢

تَبَتُّ الموضوعات

(١٧ : ١٩)	مقدمة
(٢١ : ٤٠)	الفصل الأول: اللغة العربية والقرآن الكريم
٢٣	أثر القرآن الكريم في اللغة العربية
٢٣	حفظ اللغة العربية
٢٣	استقرار اللغة العربية
٢٦	صوتيات القرآن واستقرار العربية
٣٣	توحيد اللهجات العربية
٣٦	اثراء وتنمية اللغة العربية
٣٨	تهذيب اللغة العربية
٣٩	سعة انتشار اللغة العربية
٤٠	القرآن مفجر علوم العربية
(٤١ : ٦٠)	الفصل الثاني: اللغة: تعريفها وأهم خصائصها
٤٣	تعريف اللغة
٤٥	أهم خصائص اللغة
٤٥	أولاً: الطبيعة الصوتية للغة

٤٧	الصوت الإنساني طاقة تعبيرية بلا حدود
٤٩	ثانياً: الطبيعة الاجتماعية للغة
٥٢	ثالثاً: اللغة متغيرة
٥٢	التغير الصوتي
٥٣	التغير الصرفي
٥٣	التغير التركيبي
٥٥	التغير الدلالي
٥٧	رابعاً: اللغة مكتسبة
٥٨	خامساً: اللغة نسق
(٦١ : ٧٣)	الفصل الثالث: اللغة واللهجة واللحن
٦٣	اللغة واللهجة
٦٦	لهجة الفرد
٦٦	العلاقة بين اللغة واللهجة
٦٨	اللهجة واللحن
٦٨	اهتمام القدماء بجمع اللهجات المختلفة
٧١	لهجات حفظها القرآن من الاندثار

الفصل الرابع: علم اللغة: النشأة والملاح والمناهج والصلة (٧٥ : ١٠٨)
بالعلوم الأخرى

- ٧٧ تاريخ الدرس اللغوى: تساؤلات حول النشأة
- ٧٨ البداية الجادة للدرس اللغوى
- ٨٢ علم اللغة: أسباب تعدد التعريفات
- ٨٥ ملامح البحث اللغوى فى ضوء علم اللغة الحديث
- ٨٨ علم اللغة والعلوم الأخرى
- ٩١ علم اللغة الاجتماعى
- ٩٢ علم اللغة النفسى
- ٩٣ علم اللغة الأنثروبولوجى
- ٩٣ علم اللغة الجغرافى
- ٩٤ علم اللغة السياسى
- ٩٥ المناهج الحديثة لدراسة اللغة
- ٩٥ المنهج الوصفى
- ٩٧ المنهج التاريخى
- ٩٩ المنهج المقارن
- ٩٩ المنهج التقابلى

١٠٢	مستويات البحث اللغوى
١٠٢	المستوى الصوتى
١٠٤	أهم اتجاهات البحث اللغوى فى علم اللغة الحديث
١٠٦	المستوى الصرفى
١٠٦	المستوى التركيبى
١٠٧	المستوى الدلالى
١٠٧	العلاقة بين المستويات عند القدماء والمحدثين
١٠٧	عند القدماء
١٠٨	عند المحدثين
(١٠٩ : ١٥٨)	الفصل الخامس: أصوات العربية بين النظرية والتطبيق
١١١	الأصوات اللغوية فى العربية
١١١	أولاً: الصوائت
١١٢	ثانياً: الصوامت
١١٣	السمع
١١٤	بمجال إدراك الصوت
١١٥	تصنيف الأصوات فى العربية حسب قوة الإسماع
١١٧	جهاز النطق

- ١١٩ مخارج الأصوات الصامتة في العربية
- ١٢٠ صفات الأصوات
- ١٢١ أولاً: الصفات التي لها ضد
- ١٢١ الهمس والجهر
- ١٢٢ الشدة والرخاوة والتوسط والتركيب
- ١٢٥ الإطباق والانفتاح
- ١٢٥ الاستعلاء والاستفال
- ١٢٦ التفخيم والترقيق
- ١٢٧ الإذلاق والإصمات
- ثانياً: الصفات التي لا ضد لها :
- ١٢٨ (الصفير، التكرير، التفشى، اللين، القلقله، الاستطالة)
- ١٢٨ ظواهر صوتية
- ١٢٩ المقطع
- ١٣١ النبر
- ١٣٢ الخطأ في النبر وأثره في المعنى
- ١٣٣ التنغيم
- ١٣٥ الوقف

١٣٥	تعريف الوقف في الكلام المنطوق
١٣٦	أهم أنواع الوقف
١٣٨	الجانب التطبيقي في الوقف
١٣٩	فن الأداء الصوتي
١٣٩	أسباب حياة الكلمة أو موتها على لسان المتكلم
١٤٤	عيوب استخدام الصوت
١٤٥	عيوب النطق
١٤٩	التدريب العملي ورياضة اللسان
١٥١	مرحلة التدريب على صحة النطق
١٥٤	كيف تخرج الهواء كلاماً؟
١٥٧	تدريب الصوت على جمال الأداء
١٥٨	كيف تصعد بصوتك؟
(١٥٩ : ١٧٤)	الفصل السادس: صرف العربية ونحوها
١٦١	الصرف : (الاشتقاق — التغيرات)
١٦٢	أشكال المادة ووزنها
١٦٣	الوزن الصوتي والوزن الإيقاعي
١٦٣	الكلمة بين التهدم والعلم اللغة الحديث

١٦٥	أنواع المورفيم
١٦٥	وظائف المورفيم
١٦٦	الوظائف الصرفية للمورفيم
١٦٦	الوظائف النحوية للوحدات الصرفية
١٦٧	النحو
١٦٩	النحو والمناهج الحديثة
١٦٩	بين النحو التقليدي والنحو الحديث
١٧٢	الزمن النحوي والجملة الفعلية
(١٧٥ : ٢٢٤)	الفصل السابع: الدلالة
١٧٧	علم الدلالة
١٧٧	أهميته
١٧٩	تعريفه
١٨٠	أسباب تعدد التعريفات
١٨١	الصلة بين اللفظ والمعنى
١٨١	حدود المعنى اللغوي
١٨٢	المعنى الوظيفي
١٨٤	المعنى المعجمي

١٨٤	المعنى السياقى
١٨٥	مناهج البحث الدلالى ونظرياته
١٨٥	نظرية المجال الدلالى
١٨٧	اللغويون القدماء وفكرة المجال الدلالى
١٨٨	العلاقات الدلالية داخل المجال الدلالى
١٨٨	الترادف
١٨٩	الترادف عند القدماء
١٩٢	الترادف عند المحدثين
١٩٣	التضاد
١٩٣	التضاد عند القدماء
١٩٤	التضاد عند المحدثين
١٩٥	الاشتمال (العموم)
١٩٦	التخصيص
١٩٦	التباين
١٩٦	نظرية السياق
١٩٧	السياق اللغوى
١٩٩	سياق الموقف

٢٠٠	كيف يدرس السياق غير اللغوي في كلام مكتوب؟
٢٠١	السياق عند القدماء
٢٠٣	نظرية التحليل التكويني
٢٠٦	التطور اللغوي
٢٠٨	التطور الدلالي
٢٠٩	التطور الدلالي بين القدماء والمحدثين
٢١٠	مظاهر التغير الدلالي
٢١٠	توسيع المعنى
٢١٢	تضييق المعنى
٢١٣	انتقال المعنى
٢١٦	مظاهر أخرى
٢١٨	أسباب تغير المعنى
٢١٨	الأسباب اللغوية
٢٢١	الأسباب الاجتماعية
(٢٢٥ : ٢٧٠)	الفصل الثامن: تصنيف اللغات والأسرات اللغوية
٢٢٧	تصنيف اللغات
٢٣٠	اعتبارات تصنيف اللغات

- ٢٣٠ اعتبار المكان
- ٢٣٠ اعتبار شكل البنية والتركيب
- ٢٣٣ اعتبار الزمن
- ٢٣٤ الأسرات اللغوية
- ٢٣٥ أسرة اللغات الأفروآسيوية
- ٢٣٧ فرع اللغات السامية
- ٢٣٧ الخصائص المشتركة في اللغات السامية
- ٢٣٨ الخصائص الصوتية
- ٢٣٨ الخصائص الصرفية
- ٢٤٠ الخصائص التركيبية
- ٢٤٠ الخصائص الدلالية
- ٢٤١ العربية المعاصرة
- ٢٤٣ العربية بين الاستقرار والمرونة
- ٢٤٥ الجذور العربية بين المعاجم والقرآن الكريم
- ٢٤٧ تحديد مصطلح العربية المعاصرة
- ٢٤٨ سمات العربية المعاصرة
- ٢٥١ العربية المعاصرة وأهلها

٢٥٣	واقع العربية المعاصرة
٢٦٠	جغرافية العربية المعاصرة
٢٦٣	لهجات العربية المعاصرة
٢٦٤	عوامل التقريب بين لهجات العربية المعاصرة
٢٦٥	العربية المعاصرة وعربية القرآن
٢٦٦	وسائل النهوض بالعربية المعاصرة
(٢٧١ : ٢٨٤)	الفصل التاسع: العربية والحاسوب
٢٧١	العربية والحاسوب
٢٧٤	مستويات تناول علاقة اللغة بالحاسوب
٢٧٤	استخدام الحاسوب في الإحصاء اللغوى
٢٧٤	استخدامه في التحليل والتركيب اللغوى
٢٧٥	استخدامه في الفهم الأوتوماتى للسياق اللغوى
٢٧٥	استخدامه في المعاجم الآلية
٢٧٦	استخدامه في الترجمة الآلية وفي تعليم اللغات
٢٧٩	اللغة والمعلومات والعولمة
٢٨١	العربية وتحديات العولمة
(٢٨٥ : ٣٠١)	المصادر والمراجع

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله، سيدنا محمد، رحمة الله للعالمين؛ وبعد:

فمن أعظم نعم الله تعالى على الإنسان نعمة اللغة، ولقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى هذه النعمة؛ قال الله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن : ١ - ٤ .

والاهتمام باللغة قدم قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ لحظة الميلاد اللغوي للإنسان - حين عَلَّمَ اللهُ آدمَ الأسماء، وأودع فيه القدرة اللغوية؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة/ ٣١ - واللغة تنمو نموًا نشهد معه مواليد جديدة تضاف إلى لغات البشر، ووفيات من لغات أخرى تندثر وتموت. وقد تعددت اللغات وتنوعت حتى أصبح يحيا على ألسنة البشر في حياتنا المعاصرة قرابة ثلاثة آلاف لغة^(١)، هذا بخلاف اللهجات المتعددة داخل كل لغة، والتي بإضافتها إلى عدد اللغات الحية في العالم المعاصر، يصل العدد إلى أكثر من خمسة آلاف لغة. وسبحان الله القائل:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ الْأَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغَاتِكُمْ

إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم/ ٢٢ .

فسبحان من خلق فسوَّى وقدَّر فهدى.

(1) *Encyclopedia of Language*, P. 284.

وتشهد الدراسات اللغوية الحديثة تقدماً ملحوظاً، متجاوزة حدود الاهتمام بلغة بعينها، إلى دراسة اللغة عامة، ومتجاوزة حدود دراسة اللغة بوصفها وسيلة من الوسائل، إلى دراسة اللغة من أجل ذاتها.

ومع بدايات القرن التاسع عشر وقف البحث العلمي المتأن يبحث عن كُنه اللغة وعن طبيعتها ووظيفتها، وأدخل اللغة إلى مجال العلم، وتحول الدرس اللغوي من الافتراضات النظرية إلى الملاحظات العلمية.

ومع مطلع القرن العشرين تحددت ملامح هذا العلم ومناهجه ومجالاته.

ولما كانت اللغة من الوسائل والأدوات التي تستعين بها العلوم الأخرى على كثرتها وتنوعها، فضلاً عن كونها أصلاً لبعض العلوم - لم يعد الدرس اللغوي وقفاً على أهل اللغة، بل امتد الاهتمام باللغة إلى أهل العلوم الأخرى؛ فنشأ مجال علم اللغة التطبيقي، واتسع مفهومه ليشمل سائر الفروع المعرفية التي ترتبط باللغة، من ذلك:

علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الإعلامي، وعلم اللغة السياسي.. إلخ. حتى أصبحنا في نهاية القرن العشرين نشهد تواصل اللغة مع الحاسوب (Computer) كظفرة جديدة تنقل الدرس اللغوي نقلة واسعة.

ولا شك أن رحلة المعرفة في سعيها المتأثر سوف تزيع الستار في المستقبل القريب والبعيد عن حقائق جديدة تجعلنا أكثر قرباً من هذا السر العظيم في حياتنا، وهو "اللغة".

والفصول التالية تُعدُّ مدخلاً لدراسة هذا العلم، أتناول فيها التعريف باللغة وطبيعتها، والوقوف على أهم خصائصها ومناهج دراستها، بالإضافة إلى بعض الحقائق

الأخرى المتعلقة باللغة في ضوء المناهج الحديثة لهذا العلم، مع ربطها بمجذورها وأصولها في التراث العربي، وواقع العربية المعاصرة.

كما يهتم الكتاب بأهم قضايا الأداء الصوتي، في مبحث مستقل، وذلك رعاية لخصوصية طلبة كلية التربية، حيث تشتد حاجتهم إلى فن الأداء في مستقبلهم أثناء اشتغالهم بالتدريس.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعلني من سدة كتابه الكريم.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

والحمد لله رب العالمين

د. محمد محمد داود

مكتبة العلماء

ت : ٥٦٨٥١٢٢

الفصل الأول

اللغة العربية والقرآن الكريم

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فكان للغة العربية مزية لا تتأتى لغيرها من اللغات، وكما أثر القرآن الكريم في الأمة العربية، في أخلاقها وعقيدتها وشتى نواحي حياتها، فقد أثر أيضاً في اللغة العربية تأثيراً بالغاً يمكن إجماله في المحاور التالية:

١ - حفظ اللغة العربية:

فالتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها، أو ضعفت بضعفهم؛ فأين اللغة الفينيقية (لغة أهل لبنان قديماً)؟ وأين اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)، واللغة الآشورية؟! إلخ.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه باقية ببقائه، وسبحان الله القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفِظُونَ ﴾ الحجر/٩ .

والذى يدقق النظر في العربية المعاصرة يجد الكثير من ألفاظها فارق أمه، وظلت تلك الأم الفصحى حية مقصورة على الاستخدام الديني المرتبط بالقرآن الكريم^(١) والسنة النبوية المطهرة.

٢ - استقرار اللغة العربية :

رغم أن التطور سنة جارية في كل اللغات، وأكثر مظاهر هذا التطور يكون في الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (الصوتية - الصرفية - النحوية - الدلالية)، وما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وعلى صلة بها.

(١) راجع : د. محمد محمد داود، الدلالة والكلام، فصل: ألفاظ الكلام والاستخدام الديني .

والمحافظة على الأصل الدلالي للفظ مع تطور الزمن، له فائدة لا يُستهان بها فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمة أمر من الأهمية بمكان، ويزداد إدراكنا لأهمية الاستقرار اللغوي الذي تتميز به العربية إذا ما تأملنا التغير السريع الذي يلاحق اللغة الإنجليزية (لغة الحضارة المعاصرة)؛ فنصوص الإنجليزية القديمة التي مر عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت عصية على الفهم بالنسبة للإنجليزي المعاصر. ولعل هذا التغير السريع هو الذي دفع علماء هذه اللغة إلى إعادة صياغة النصوص الأدبية المهمة عندهم؛ مثل نصوص شكسبير بإنجليزية حديثة *Modern English* يفهمها المعاصرون، بدلاً من الإنجليزية القديمة *Old English*.

في حين أن العربي المعاصر يقرأ آيات القرآن الكريم فلا يحس معها بغرابة؛ ويكفي النظر إلى هذه الآيات:

﴿ أَلَمْ ۙ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ١ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ۙ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ ٢ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ٣ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

البقرة/ ١ : ٥ .

وقوله تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ ١ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝ ٣ ﴾

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللّٰهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾

ومن الحديث النبوي الشريف قول النبي ﷺ :

"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"^(١).

ورغم مرور أربعة عشر قرنًا، لا يكاد الإنسان يجد صعوبة في فهم هذه النصوص ولا تصادفه غرابة في الألفاظ، وما قد يصادفنا من ألفاظ صعبة فإن أيسر المعاجم يمكن أن يبدد هذه الصعوبة.

وهكذا الشأن مع باقى المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية)، وهذه مزيّة عظيمة: أن تكون الأمة موصولة بترائها الزاخر تفيد منه وتنفع به.

وتأمل مزيّة استقرار اللغة العربية، التي تفرّدت بها عن سائر اللغات التي تغيرت وتبدلت تغيرًا وتبدلاً جعل من اللغة الواحدة لغات كثيرة متباينة، يؤدي بنا إلى التساؤل التالى :

ما السبب وراء هذه المزيّة ؟

هل يمكن إرجاع هذه المزيّة إلى أن اللغة العربية كانت لغة عالمية، فيها كل ما تفتقر إليه الأمم في كل الأزمنة والأمكنة من ألفاظ ومعانٍ وأخيلة، بحيث يجد الناس فيها ما يفتقرون إليه، لذلك هم يحرصون عليها؟! وهذا بعيد. فما كانت اللغة العربية ولا غيرها كذلك^(٢).

(١) البخارى ٧/١، مسلم (١٩٠٧)، أبو داود (٢٢٠١)، الترمذى (١٦٤٧)، النسائى فى:

الكبرى (٧٨)، ابن ماجه (٢٤٢٧).

(٢) أحمد حسن الباقورى: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، ص ١٦.

أم أن مزية استقرار اللغة العربية ترجع إلى أهلها ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية؟! والواقع يكذب ذلك؛ فقد كان أهل العربية في موضع متأخر الشأن بجوار حضارتين عظيمين هما الفرس والروم.

وهكذا ينتهى بنا التأمل إلى أن الباحث لا يجد شيئاً مقنعاً لهذه المزية سوى أنها أثر من آثار القرآن الكريم.

صوتيات القرآن الكريم واستقرار العربية :

لقد كان التلقى الشفهي هو الأساس في انتقال القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بداية من سيدنا جبريل — عليه السلام — إلى سيدنا محمد ﷺ ، وصولاً إلى زماننا الحاضر وهكذا حتى تقوم الساعة.

ولهذه الخاصية (المشاهدة) آثار تصل إلى حد الإعجاز، لكن إلف العادة هو الذى يمنعنا أو يحجب عنا ملاحظة نواحي الإعجاز. ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها من تغير، فإن ذلك يظهر أثر القرآن في الاستقرار الصوتي للغة العربية، وكذلك في وجوه الإبداع الصوتي، على نحو ما يظهر من العرض التالى:

أولاً: الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى:

أود هنا — بداية — توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف من صالحى هذه الأمة حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية " رؤوس الآيات "، مميّزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها: " رأس "، أى مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهى ولا يهبط أبداً، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن

قَمَمٌ يَرْقَى الْقَارِئُ إِلَيْهَا، وكلما مضى في القراءة ازداد رُقِيًّا، فهو صاعد أبدًا، حيث يقال لقارئ القرآن: " اقرأ وارق، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها " (١).

ومعلوم أن رؤوس الآيات توقيفية، أى كما جاءت عن سيدنا رسول الله ﷺ .

والملاحظ في رؤوس الآيات التناسب الصوتى الذى يلفت الانتباه وتستريح له الأذن، إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التى جعلت الوليد بن المغيرة يقول بعد سماعه القرآن الكريم: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة (٢)، وهما من حسّ اللسان وحسّ الأذن.

وإذا ما أحببنا محاولة الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمى، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التى تكوّن هذه الفواصل، بهذا التناسق الصوتى المبدع، فإننا نلاحظ التالى:

— كثرة ورود الحركات، وبخاصة الطويلة (حروف المد: الألف، والواو، والياء)، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام.

— كثرة ورود الصوامت المتوسطة (النون - الميم - الراء - الواو - الياء)، وهى قريبة - من الناحية الفيزيقية - إلى طبيعة الحركات، التى تسهم فى خاصية التنغيم الشحجّ بشكل واضح.

— تسهم بعض الظواهر الصوتية فى الأداء القرآنى (المد والغنة) فى تحقيق التناسق الصوتى المبدع داخل النص القرآنى.

(١) أخرجه: أبو داود (١٦٦٤)، والترمذى (٢٩١٥).

(٢) أخرجه الحاكم، فى المستدرک: ٥٠٦/٢، ومن طريقه البيهقى، فى الدلائل: ١٩٨/٢.

وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

سؤال اعتراضى:

لكن هل هذا التناسب الصوتى من قبيل السجع، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد، ليكتسب النثر ضرباً من الموسيقى والنغم؟ أم من قبيل القافية في الشعر؟
الجواب: لا هذا ولا ذاك؛ فالفاصلة في القرآن ليست على وتيرة واحدة كما هو الحال في كل من السجع والقافية، فهي لا تلتزم شيئاً من ذلك، حيث تجرى في عدد من آيات القرآن على نمط، ثم تتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد، ومن ذلك مثلاً، قوله تعالى:

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَوَدَّ آمِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا دَلِيقًا ۝ رَجَعُ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُضُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَتَّيْنَتَهَا وَرَيْبَتْهَا وَمَا لَهَا مِنْ قُرُوجٍ ﴾

ق/ ١ : ٦

فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تودى إلى تقديم عنصرٍ أو تأخيرها، ليس رعاية للتناسق الصوتى فقط، بل رعاية للمعنى أيضاً، وهذا هو الإعجاز. ومثال ذلك، قوله تعالى: ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ وَإِلَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة/٥، فإن قلت: لم قدم العبادة على الاستعانة؟ أجابك اللغويون القدماء أصحاب الحس المرهف، وعلى

رأسهم الزمخشري، بالقول: " هو من تقدم العلة على المعلول" ^(١)، وقال أبو السعود :
" هو من باب تقدم الأشراف" ^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ الليل/١٣ ، لماذا قدّم الآخرة على
الأولى؟ والجواب: أن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها؛ فقد قامت السورة
لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذب وأعرض بالتنكيل به في الآخرة، في مقابل
الثواب الذي ينتظر من أحسن وصدق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتي
وتناسب الإيقاع في الفواصل، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال في غير هذا
النظم القرآني المعجز.

ومن قال بالتقدم لرعاية الفاصلة فقط، فهو قصور عن فهم المعنى المراد؛ فالتقدم
والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

— أيضاً الترتيب في تقدم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو
الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم - مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾
سبا/٢ .

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الحجرات/١٤ .

(١) الزمخشري: الكشاف: ٦٥/١.

(٢) أبو السعود: إرشاد العقل السليم: ١٧/١.

فقدم الرحمة في آية سبأ؛ لأنها منشأ المغفرة. أما الغفور فتقدم في كل موضع في القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصي وكفران النعم.

ثانياً: التناسق الصوتي على مستوى الصوت المفرد واللفظ والتركيب:

أول ما يلفت الانتباه أن القرآن الكريم قد خلا من التنافر في بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني: أن يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، وإليك هذه الأمثلة:

(أ) التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:

— من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها في كلمة (تدارك) ليدل على التردّي الجماعي، أو على المبالغة في الشاغل أو الاستعصاء على الهدى، من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ الأعراف/ ٣٨ .

أصل الفعل (تداركوا)، وقلبت التاء دالا وأدغمت في الدال، فلما سَكُنَتْ جِئَ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ، وَالتَّشْدِيدِ يُوْحَىٰ هُنَا بِتَدَاعِيهِمْ فِي النَّارِ مَتَزَاكِمِينَ بِغَيْرِ نِظَامٍ، بَلْ إِنْ اشْتَمَلَ التَّشْدِيدُ عَلَىٰ سَكُونِ فَحَرَكَةٌ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنْ تَزَاكِمَهُمْ فِي النَّارِ جَعَلَ بَعْضُهُمْ يَعْوِقُ بَعْضًا قَبْلَ أَنْ يَتَرَدَّوْا فِيهَا، فَكَأَنَّ النِّقْطَةَ الَّتِي تَدَاعَوْا عِنْدَهَا كَانَتْ كَعَنْقِ زَجَاجَةٍ^(١).

ومثله إيجاء التكرار في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَائِمُونَ﴾ الشعراء/ ٩٤.

(١) راجع: د. ممام حسان، رواع القرآن الكريم.

— ومن هذا أيضاً قوله تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ التوبة/ ٣٨ .

— ومنه: ﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لِآلِي هَتُولَاءِ وَلَا لِآلِي هَتُولَاءِ ﴾ الأحزاب/ ١١ ،
التردد والتكرار والتضعيف، وقوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾
الأحزاب/ ١١ ، وقوله تعالى: ﴿ قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ الشمس/ ١٤ ، أيضاً ما
يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة، من ذلك قوله تعالى:
﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا ﴾ فاطر/ ٣٧ .

فشدة ارتفاع أصوات أهل النار بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه، وتكرار ذلك
منهم لا يكفي أن يُعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، لذا جاءت تاء الافتعال لتدل
على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة لتحول بالمحاورة إلى التفخيم (لتصبح
طاء)، فيكون في تفخيمها قوة مبالغة في الفعل.

— ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ النجم/ ٢٢ . و (ضيزى)
تعني: جائزة ظلمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة
التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء - بما في الضاد من تفخيم - إلى أن
الجزور في هذه القسمة لا مزيد عليه.

— وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ البقرة/ ١٩ .

والد ب: النزول الذي له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره
لأنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء
الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.

(ب) التناسق بين إيجاء الصوت ومعنى الكلمة :

ومن التناسب بين إيجاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة^(١) قوله تعالى:

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ تَلْسِيلًا ﴾ الإنسان/ ١٨ . حيث يوحى لفظ التلسيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (تلسيل / سلاسة) من شركة في بعض الحروف.

هذا في مقابل الإيجاء في جهة الضد للمعنى السابق، كما في قوله:

﴿ الْإِخْمِيمَاءُ وَغَسَّاقًا ﴾ النبأ/ ٢٥ ، حيث إن مادة (غسق) في القرآن، منها: الغسق، والغاسق، والغساق — توحى أن القسط المشترك بين هذه المشتقات: الدلالة على أمور كريهة؛ فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق: شيء كريه لا يشرب، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويًا من إيجاء الغين والقاف هنا. ومثله في التفسير قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ المطففين/ ٧ ، وقوله تعالى:

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ العاشية/ ٦ ، والضريع: نبات شوكى وإيجاء لفظ " ضريع " في الطعام يفيد ذلاً يؤدي إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك. يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ المطففين/ ١٨ ، وقوله تعالى:

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ أَحْبَبَنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ ﴾ يوسف/ ٥١ .

(١) راجع: د. تمام حسان: من روائع القرآن الكريم.

(ج) المناسبة والتناسق بين نوع الحركة والمعنى :

مثاله قوله تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ﴾

فاطر/٣. بتأمل حركة الكاف في كلمة "يمسك" في الآية نجد أن السكون في الثانية موافق لمعنى الإمساك لما بها من إغلاق وعدم حركة، في حين أن الأولى "ممسك" مفتوحة، وهي مناسبة لمعنى الفتح.

ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في كثير من آيات القرآن:

— قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ الفاتحة/١.

الجملة تُعدُّ من مقول القول فكان مقتضاها: الحمدَ بفتح الدال، على تقدير: أقول: "الحمد لله"، فلماذا عُديل عن النصب إلى الرفع، على تقدير: قولي: الحمد لله؟

الجواب: عُديل عن النصب إلى الرفع للدلالة على أن الحمد ثابت لله تعالى أزلاً، وإن لم يحمده أحد؛ فقد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده الخلق، وعليه فالجملة خبرية— لا إنشائية — لفظاً ومعنى. وهو أولى الأقوال في هذه الجملة.

— قوله تعالى : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ القصص/٤.

التشديد في (يُذَبِّحُ) فيه دلالة على الكثرة والعنف في حدث الذبح. ولذلك جاءت على التشديد بدلاً من (يذبح) بدون تشديد.

(٣) توحيد لهجات العربية :

بسبب انعزال القبائل عن بعضها، وضعف وسائل الاتصال بينها، بالإضافة إلى العلل الخلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوء السمع وسوء الأداء؛ كان للعرب لهجات

كثيرة متباينة؛ منها ما كان لأهل الحضر، ومنها ما كان لأهل البدو وما يبيئتهم من خشونة وجفاف، ومن الشواهد المشهورة لتباين اللهجات الأمثلة التالية:

(أ) اختلاف هيئة النطق للكلمة الواحدة :

وأوضح مثال لذلك هو ظاهرة الإمالة، وأشهر أمثلتها : "الضحى"، "سجى"، "قلى"، "دعا"، بإمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة، والألف التى بعدها إلى ياء فى الأمثلة السابقة. وللإمالة ألوان متنوعة يرجع إليها فى كتب القراءات واللغة.

(ب) اختلاف معانى الكلمات :

روى أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خبير لقى النبى ﷺ وقد وقعت من يده السكين، فقال : "ناولنى السكين". فالتفت يمنة ويسرة ولم يفهم مراده، فكرر له القول وأشار إليها، فقال : ألمدية تريد ؟ فقال : "نعم". قال : أو تُسمى عندكم سكينًا ؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ^(١).

فهذا شاهد على تعدد الدوال والمدلول واحد، فجاء القرآن الكريم يصطفى من لغة العرب ولهجاتها أفضلها، ليقدم للعرب لغة واحدة فصيحة ولهجة واحدة عذبة، ولا يستعصى على أحد فهمها.

(ج) اختلاف تركيب الكلمات :

تحفل كتب اللغة بشواهد على تعدد أشكال الصياغة التركيبية للكلمات، فقضاعة مثلاً كانت تقلب الياء جيماً إذا كانت ياء مشددة أو جاءت بعد العين، وهو ما أطلق عليها اللغويون: "عجعجة قضاعة"، ومن ذلك قول شاعرهم:

(١) مسند أحمد، ٧١/٢ .

خالى عوفىؑ وأبو عالىؑ المطعمان اللحم بالعشج^(١)

يريد: أبو علىؑ؁ بدلاً من (أبو عالىؑ)؁ وبالعشى بدلاً من (بالعشج) .

وهناك أيضاً " الشنشنة" فى لغة اليمن؛ يجعلون الكاف شيئاً مطلقاً؛ فبدلاً من أن يقول الرجل : لُبَيْك؁ يقول: لُبَيْش؁ و"العننة" فى لغة تميم وقيس؛ يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً يقولون: عِدَنُ أكرمك؁ بدلاً من: إذن أكرمك؁ و"الفحفة" فى لغة هذيل؛ يقولون: علت العياة لكل عُيى؁ يريدون: حلت الحياة لكل حى؁ وبلهجتهم قرأ ابن مسعود: "عنى حين" فأرسل إليه سيدنا عمر — رضى الله عنه — :إن القرآن لم يتزل بلغة هذيل؁ فأقربى الناس بلغة قريش.

وهناك طمطمانية حمير؛ حيث كانت تنطق "ام" بدلاً من "أل" للتعريف فى صدر الكلمة. ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : "ليس من امبر امصيام فى امسفر"^(٢) والمراد: ليس من البر الصيام فى السفر؁ وغير ذلك كثير يرجع إليه فى كتب اللهجات.

ولقد أدى اختلاف هذه اللهجات وتباعدها إلى صعوبة الفهم بين القبائل؁ ويشهد لذلك قول علىؑ — رضى الله عنه — لرسول الله ﷺ؁ وقد سمعه يخاطب بنى نهد فيمن وفد عليه من قبائل العرب عام الوفود: يا رسول الله ﷺ؁ نحن بنو أب واحد؁ ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره؁ فقال له النبي ﷺ : " أدبى ربي

(١) البيت من الرجز؁ وهو فى: الكتاب ٢٨٨/٢ بلا نسبة؁ وشرح المفصل ٧٤/٩؁ ٥٠٠/١٠؁ ونسبه العينى ٥٨٥/٤؁ والشيخ خالد الأزهرى فى التصريح على التويح ٣٦٧/٢ — إلى رجلٍ من أهل البادية .

(٢) البخارى (١٩٤٦) واللفظ له؁ ومسلم (١١١٥) بلفظ مختلف.

فأحسن تأديبي" (١) .

وواضح من الحديث أن النبي ﷺ كان يخاطب كل قوم بلسانهم؛ كيما يفهموا.

(٤) إثراء وتنمية اللغة العربية :

لقد أضاف القرآن الكريم نموذجًا للتعبير بالعربية لم تعرفه العربية من قبل، نموذجًا له الخلود والبقاء لا تمسه يد التغيير والتحريف.

لقد كانت العربية قبل نزول القرآن تُصنّف إلى شعر ونثر، فلما نزل القرآن صارت نماذج التعبير اللغوي في العربية ثلاثة : قرآنًا، وشعرًا، ونثرًا.

ولا ينبغي أن يصنف القرآن تحت عنوان النثر؛ لأن القرآن ليس بنثر، ولا بشعر، إنه كلام رب العالمين.

كما استحدث القرآن الكريم أسماء جديدة، من ذلك ما يعرف بـ (الألفاظ الإسلامية) (٢) التي جاءت تعبيرًا عن المعاني الإيمانية الجديدة، التي لم يكن للعرب معرفة بها؛ من ذلك:

● **الإيمان:** كان بمعنى التصديق مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعي الذي حدده رسول الله ﷺ في الحديث: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " (٣).

● **الكفر:** كان بمعنى الستر مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعي المعروف، ومنه تعريف

(١) فيض القدير على الجامع الصغير: ١/٢٣٥. صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال عنه السخاوي: ضعيف ولكن معناه صحيح. انظر: السخاوي: المقاصد الحسنة: ص ٢٩.

(٢) راجع في هذا المعنى: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ١/٣٧.

- حجة الإسلام الغزالي بأنه: تكذيب الرسول ﷺ في شيء مما جاء به^(١).
- الصلاة: كانت بمعنى الدعاء مطلقاً، ثم صار لها المعنى الشرعي المعروف، من أفعال محددة وأقوال مخصوصة حددها الشارع.
 - الزكاة: كانت بمعنى النماء مطلقاً، ثم أصبح لها المعنى الشرعي المعروف، وهو: القدر الواجب إخراجه لمستحقّيه في المال الذي بلغ نصاباً معيناً، بشروط مخصوصة^(٢).
 - الحج: كان بمعنى القصد مطلقاً، ثم صار له المعنى الشرعي المعروف، وهو: القصد إلى بيت الله الحرام؛ لأداء أفعال مخصوصة نص عليها القرآن الكريم وبيّنتها السنة المطهرة، كالإحرام والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة، ونحو ذلك .
 - المغفرة: كانت بمعنى: الستر مطلقاً، وأصبحت بمعنى: الصفح والعفو.
- كذلك الألفاظ الاصطلاحية التي نشأت في رحاب العلوم الشرعية المرتبطة بالقرآن الكريم؛ مثل: التوحيد، الفقه، أصول الفقه، التفسير، النحو، الصرف .. إلخ. ويوضح الإمام السيوطي في "الإتقان" أن هناك أكثر من ستين علمًا من علوم العربية نشأت في رحاب القرآن الكريم؛ للمحافظة عليه من اللحن من جانب، ومن جانب آخر محاولة فهمه والوقوف على أسرار معانيه.
- لقد كان القرآن - بحق - السبب المباشر والرئيس وراء نشأة علوم العربية وكان لكل علم من هذه العلوم مصطلحاته الخاصة به.

(١) الغزالي: فيصّل التفرقة بين الإسلام والزندقة: ص ١٣٤.

(٢) د. محمد بكر إسماعيل: الفقه الواضح: ١/٤٦٣، ٥٨٣.

ومن جوانب إثراء العربية:

أ- الرقى بدلالات كثير من الألفاظ^(١)؛ مثل:

— الرسول: كانت تطلق على شخص يحمل رسالة من إنسان إلى إنسان آخر، ثم ارتقت دلالتها في الإسلام، وأصبحت تطلق على الإنسان الذى يكلفه الله برسالة إلى البشر، مثل رسل الله: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

— الكرسي: ارتقت دلالته في رحاب القرآن الكريم من خلال دلالته في الآية الكريمة: ﴿ وَيَسِعُ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ البقرة/ ٢٥٥ .

ب- إضالة أغراض جديدة للتعبير:

من أهم هذه الأغراض الدعوة إلى المثل العليا والأخلاق الحميدة، والقصد في الغنى والفقر وعدم التهاوت في طلب الدنيا والإقبال على الآخرة والرغبة فيها، ونحو ذلك من المعاني الإيمانية.

(٥) تهذيب اللغة العربية :

أ - فقد نُحى القرآن الكريم عن اللغة التقعر في الكلام، والغريب، والألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع.

وإن من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلى يرى كثيراً من الكلمات الحوشية، من ذلك: جحيش، و "مستشزرات"، و "جحلنحج"، و "البخصات"، و "الملطاط"، و"الهعجع"، و"افرنقعوا" وغير ذلك كثير.

(١) راجع: د. إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ، ص ٩٠.

من ذلك أيضًا ما رواه القالى فى "أماله" لأبى محلم الشيبانى فى أواخر القرن الثانى من كتاب له إلى بعض الحدائين فى نعل له، قال هذا المتقعر:

" دَنِّها، فإذا هَمَّتْ تَأْتِدِن، فلا تُخَلِّها تُمَرِّحِد، وقبل أن تَقْفَعِلْ، فإذا اتدنت فامسحها بخرقة غير وكيّة، ولا جَشِيّة، ثم امعسها معسًا رقيقًا، ثم سنّ شفرتك وأمهِها، فإذا رأيت عليها مثل الهَبْرَة فسن رأس الإزميل .. إلخ" (١).

ب - أيضًا نحى القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ التى تعبر عن معانٍ لا يُقرُّها الإسلام، من ذلك:

١- المرباع: وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.

٢- النشيطة: وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.

٣- المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى أسواق الجاهلية.

٤- قولهم للملوك: " أبيت اللعن "

ومثل ذلك كثير، يرجع إليه فى بطون كتب التراث.

(٦) سعة انتشار اللغة العربية :

بنزول القرآن ودخول الناس فى دين الله أفواجًا من شتى بقاع الأرض؛ اتجه المسلمون من غير العرب إلى تعلم العربية؛ رغبة فى أداء العبادات والشعائر الدينية بها وقراءة القرآن بالعربية؛ لأن قراءة القرآن الكريم تعبد الله تعالى؛ لذا فقد انتشرت اللغة العربية انتشارًا ما كان ليتحقق لها بدون القرآن الكريم.

(١) أحمد حسن الباقورى: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، ص ٦٢.

(٧) القرآن مفجّر علوم العربية :

من أجل خدمة القرآن الكريم، ومحاولة تيسير فهمه ونطقه على المسلمين الأعاجم، ولصيانته من اللحن والتحريف؛ قامت جهود فريدة لخدمة هذا الكتاب، فنشأت علوم لخدمة القرآن بصورة مباشرة، هي^(١): علوم القرآن، لدراسة كل ما يتصل بالقرآن من مكى ومدنى، وأسباب نزول، وأول ما نزل وآخر ما نزل والقراءات القرآنية .. ونحو ذلك.

يضاف إلى هذا قيام علوم^(٢) استُخدمت كأدوات لفهم هذا الكتاب، مثل علوم النحو والصرف والبلاغة .. ونحو ذلك.

وكما كان للمفسرين دورٌ بارزٌ في تفسير آيات القرآن الكريم؛ فقد شارك معهم اللغويون بدورٍ مميز؛ حيث تناولوا لغات القرآن الكريم، من ذلك: "لغات القرآن" للأصمعي (ت ٢١٣هـ)، "لغات القرآن" للفراء (ت ٢٠٧هـ)، كما تناولوا غريب القرآن الكريم، من ذلك: "غريب القرآن الكريم" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

وكان للنحويين أيضًا مشاركة فعالة على نحو ما نجد عند الأخفش والكسائي والفراء في مؤلفاتهم تحت عنوان: "معاني القرآن".

(١) ذكر السيوطي في كتابه "التحبير في علم التفسير" مائة واثنين من الأنواع، وجعلها ثمانين نوعًا على سبيل الإدماج، في "الإتقان"، وذكر الزركشي في كتابه "البرهان" سبعة وأربعين نوعًا.

(٢) راجع: ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٠٥.

الفصل الثاني

اللغة

تعريفها وأهم خصائصها

اللغة Language

تعددت تعريفات اللغة عند القدماء والمحدثين، وركزت كل مجموعة على النواحي المهمة - من وجهة نظرها - وأبرزتها في التعريف.

ومن أهم التعريفات- عند القدماء- التي تعبر عن حس لغوي مرهف ودقة ملاحظة، تعريف ابن جني: "حدّ اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(١).

ونال هذا التعريف اهتمام اللغويين العرب المحدثين^(٢)؛ لأنه ضم أكبر قدر من الحقائق المهمة عن اللغة: (الطبيعة الصوتية، الطبيعة الاجتماعية ..).

وتعريف "اللغة" في علم اللغة الحديث - على تنوع مدارسه - يلتقى مع تعريف ابن جني لها حول هذه الحقائق الهامة، لكنه أضاف إليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

ومن بين التعريفات الحديثة للغة نختار هذين التعريفين:

أ - تعريف اللغوي السويسري (دي سوسير):

" نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل

(١) ابن جني: الخصائص: ٣٣/١.

(٢) من أبرز هؤلاء: أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين ، في: علم اللغة العام ، وأستاذنا الدكتور محمود فهمي حجازي ، في: مدخل إلى علم اللغة، والأستاذ الدكتور حلمي خليل، في: مقدمة لدراسة علم اللغة.

بينهم، ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته " (١) .

ب- تعريف روى. سى. هجمان:

" اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما " (٢) .

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الوقوف على أهم الملامح المميزة للغة:

١- الطبيعة الصوتية للغة.

٢- الطبيعة الاجتماعية للغة.

٣- اللغة متغيرة.

٤- اللغة مكتسبة.

٥- اللغة نسق.

(1) *De Saussure: Courses in General Linguistics* PP. 7 - 150.

(٢) انظر: روى. سى. هجمان: اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة: د. داود حلمي أحمد السيد (مقدمة المترجم): ص ١٥.

أهم خصائص اللغة

أولاً: الطبيعة الصوتية للغة:

من الحقائق الأساسية التي أكدها علم اللغة الحديث: الطبيعة الصوتية للغة فالصوت اللغوي هو الصورة الحية للغة، واللغة التي لا تُنطق لغة ميتة، ولا تغني الكتابة عن الواقع الصوتي للغة، وبشأن اللغة العربية فلقد كان للقدماء بصرٌ باللغة وحسٌ مرهف، فقد أدركوا الحقيقة الصوتية للغة؛ ونلمح ذلك واضحاً من تعريف ابن جني السابق؛ حيث يُعرف ابن جني اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية، فالأصوات المقصودة هنا هي الصوت اللغوي حيث يصدر من الإنسان نوعان من الأصوات:

الأول: صوت غريزي فطري، كالبكاء والضحك.

الثاني: صوت عرقي اصطلاحى مكتسب، وهو الصوت اللغوي.

فالطفل ينزل من بطن أمه يبكي بفطرتة، لا يحتاج لأحد أن يعلمه البكاء أو الضحك، بينما يحتاج إلى تعلّم أصوات اللغة حسب لغة الجماعة التي ولد فيها.

ولقد جاء القرآن الكريم بالصورة الصوتية المثلى لما كانت عليه اللغة العربية في العصر الجاهلي، وظلت هذه الصورة تنتقل بالرواية الشفوية حتى العصر الحاضر بمستوى من الدقة لم يحظ به نص لغوي آخر، مما أدى إلى استقرار أصوات اللغة العربية، إلى حد كبير، وأصبح التطور الصوتي بها ضئيلاً إذا ما قورن بالتطور الصوتي الذي لحق باللغات الأخرى.

يضاف إلى هذا أن للصوت في اللغة العربية - في رحاب القرآن الكريم - قيمة

فنية، فضلاً عن المعايير الدقيقة والضوابط المحددة لهذا الصوت.

يتجلى هذا في اهتمام العلماء العرب^(١) بعلم الأداء لآيات القرآن الكريم، حيث وضعوا معايير لسرعة نطق الصوت اللغوي، فصنّفوا تلاوة آيات القرآن من الناحية الصوتية باعتبار الزمن المستغرق في النطق إلى مستويات:

- ١- التحقيق.
- ٢- الترتيل.
- ٣- الحذر.
- ٤- التدوير.

ولقد سبق العرب المسلمون العصر الحديث في محاولة التغلب على قصور الكتابة عند تسجيل الواقع الصوتي بأمانة دون زيادة أو نقص، فكانت عنايتهم بعلم الرسم والضبط، فوضعوا من اصطلاحات الضبط للفظ القرآني ما يشير إلى مواضع الإخفاء أو الإظهار أو القلقة، وغير ذلك، وقام علم كامل لخدمة هذا المجال هو "علم الرسم والضبط"^(٢).

هذه الرعاية للجانب الصوتي كان للعرب المسلمين السبق والرّيادة فيها، ومن الأمانة العلمية أن نذكر لهم هذا، ولذلك لا نغالي هنا حين نوضح حقيقة هامة ترتبط بها حياة اللغة العربية: وهي أن حياة اللسان العربي مرتبطة بالقرآن الكريم.

(١) الاهتمام بالأداء القرآني أمر تعبدى، فضلاً عن كونه أمراً لغوياً، حيث إن تعلم القرآن قائم على التلقى والمتابعة الشفوية، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ القيامة/١٨.

(٢) راجع في هذا: إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي: دليل الحيران (شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن).

الشيخ علي محمد الضباع: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين.
قدرى غانم: دراسة لغوية في رسم المصحف.

الصوت الإنساني

طاقة تعبيرية بلا حدود

انتهى البحث اللغوي إلى تأكيد الطبيعة الصوتية للغة، واهتم في هذا الإطار بظواهر تسهم في الكشف عن معانٍ ودلالات متنوعة؛ كاستخدام التنغيم للدلالة على معانٍ مختلفة كالاستفهام والطلب والأمر، وحالات الغضب والرضا، والدهشة، والتعجب، ونحو ذلك من دلالات، مثل تنغيم التحية ودلالاتها المختلفة؛ فقد تقال بأسلوب ونمط يظهر منه السخرية أو العتاب لموظف تأخر، وقد تقال بأسلوب ونمط جاد يظهر منه الاحترام والتقدير، وقد تقال بنمط فيه رقة وعذوبة، للتعبير عن المودة والمحبة، ونحو ذلك من دلالات.

وبالإضافة إلى هذه الدلالات فإننا نلتقى بدلالات أخرى للصوت الإنساني فإذا نظرنا للصوت الإنساني من زاوية نفسية، تظهر لنا دلالات يحسها الإنسان؛ فمن صوت المتحدث يمكنك أن تشعر به وأن تدرك فرحه أو حزنه أو مرضه أو صحته، أو أنه حديث عهد باليقظة من نومه، أو أنه لم يدخل حياة اليقظة بعد، ويمكنك أن تدرك من صوت الإنسان عتابه ولومه، ومن الصوت أيضًا يمكن أن تدرك مدى استقراره وثباته في موقفه، ومدى اهتزازه وتوتره وعدم ثقته بنفسه أثناء الحديث، كما يظهر من نبرة الصوت كبر المتحدث أو تواضعه وغضبه وحنقه، أو خوفه واضطرابه، ومن صوت المتحدث يمكن أن تدرك مدى اقتناعه بما يقول، ومدى حماسه لذلك.

ومن الدلالات الاجتماعية للصوت الإنساني: إمكانية تصنيف المتحدثين إلى بيتاتهم الاجتماعية من خلال طريقة النطق للصوت اللغوي؛ فانت تحكم على

المتحدث بأنه مصري أو مغربي أو سعودي من خلال لهجته، ويمكنك داخل إطار ضيق أن تميز بين بيئتين داخل دولة واحدة، فأنت تستطيع أن تدرك الفرق بين القاهري والصعيدى من طريقة النطق بالكلمات لدى كل منهما.

ومن الصوت الإنسانى يمكنك التمييز بين لغات طبقات اجتماعية مختلفة وذلك من خلال ارتفاع الصوت بأداء جهورى فى بعض البيئات، مثل أصحاب بعض الحرف، فى مقابل انخفاض الصوت وخروجه بدرجة هادئة عند مستويات أخرى أرقى تعليماً وأكثر حظاً من الثقافة.

ومن درجة الصوت يمكنك التمييز بين الذكر والأنثى، والطفل والشاب والشيخ الهرم، هذا فضلاً عن استخدام البصمة الصوتية فى العلم الحديث لتحديد صاحبها فى المعمل الجنائى، أو لطلب الرقم فى التليفون، أو للإملاء على الكمبيوتر ليتولى الكتابة مباشرة عن طريق البصمة الصوتية.

ثانياً: الطبيعة الاجتماعية للغة:

وظيفة اللغة والطبيعة الاجتماعية لها:

من القضايا اللغوية المهمة التي اختلف العلماء فيها وتباينت فيها آراؤهم: وظيفة اللغة والأغراض التي تؤديها، ولما كانت اللغة وسيلة وأداة تستعين بها العلوم الأخرى كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع ، فقد أدى هذا إلى اهتمام أهل هذه العلوم باللغة ؛ ولذلك ظلت فترة من الزمن في رحاب ميادين الفلسفة والمنطق وعلم النفس، وكانت مبادئ اللغة تسير وفق معايير هذه العلوم.

ويرى أصحاب المدرسة العقلية- من أصحاب الفلسفة والمنطق- أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الأفكار ونقل الخبرات الإنسانية، وأن الإنسان لا يستطيع التفكير بدون اللغة.

ويحلل جيفونز *jevones* وظيفة اللغة إلى ثلاثة أغراض، هي:

- ١- كونها وسيلة للتفاهم والتواصل.
- ٢- كونها أداة مساعدة للتفكير.
- ٣- كونها أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها^(١).

وبتأمل هذه الأغراض التي ذكرها جيفونز للغة، نراها تخص المفكرين فحسب ولا تشمل الجماعة اللغوية كلها، والواقع اللغوي ينفي أن الناس تتكلم للتعبير عن فكر فقط.

ولا يختلف السلوكيون- من علماء النفس- عن الفلاسفة في قصر وظيفة اللغة على مجالهم، حيث رأوا أن الوظيفة الأساسية للغة هي التأثير والإقناع

(١) أ. يسرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع (الترجمة العربية)، ص ٨.

والتعبير عن العواطف، ومن أبرز اللغويين تأثرًا بهذه المدرسة السلوكية: بلومفيلد الذى تأثر بآراء فايس *Weiss*.

وفى مقابل المدرسة العقلية هناك مدرسة أخرى، هى المدرسة الاجتماعية التى ركزت على الطبيعة الاجتماعية للغة، فاللغة مرآة المجتمع؛ ترتبط بالجماعة فى تقدمها وتخلفها، أى أن اللغة تتأثر بأهلها، ففى قوتهم قوة لها وفى ضعفهم ضعف لها!!.

ومن أبرز أنصار هذه المدرسة اللغوى الفذ يسيرسن *Yespersen*، الذى يقرر أن اللغة لا تستخدم للتعبير عن الأفكار، بقدر ما تستخدم للتواصل الاجتماعى والتعاون بين أفراد الجماعة^(١).

فعبارات التحية والاعتذار والتهنئة فى المناسبات الاجتماعية، تؤدى احترامًا للتقاليد الاجتماعية، بل ويختار الإنسان منها ما يناسب كل بيئة رعاية للجماعة!! وأيضًا العبارات الخاصة بتوزيع الأعمال، وطلب المساعدة، وطلب العمل .. إلخ، كل هذه العبارات لا تحمل فكرًا جديدًا كان يجمله السامع، بل هى للترابط الاجتماعى والتعاون الجماعى.

وتؤمن هذه المدرسة باستقلال علم اللغة عن الاعتماد على معايير ومبادئ العلوم الأخرى، وأنه ينبغى أن يقوم علم اللغة على حقائق اللغة ذاتها؛ كى نصل إلى نتائج صحيحة؛ لأن الخلط بين اللغة ومبادئ العلوم الأخرى يودى بنا — فى الأعم الأغلب — إلى نتائج مضللة بعيدة عن الصواب.

(١) المرجع السابق، ص ٥٦ .

تعقيب على وظيفة اللغة:

أرى أن اختلاف اللغويين حول وظيفة اللغة إلى مدارس متعددة (العقلية، والسلوكية، والاجتماعية) ناشئ عن اختلاف المنطق الذى تبدأ منه كل مدرسة معالجة هذه القضية؛ فاهتمام الفلاسفة والنفسيين بجوانب المنطق والباعث والدافع والتفكير، وأهمية اللغة للتعبير عن كل ذلك، جعلهم يذهبون إلى أساسية وظيفة اللغة كمُعبرٍ عن الفكر والمشاعر، فهذه نقطة اهتمامهم، وكان من حق من خالفهم الرأى أن يطارحهم السؤال:

إن كانت وظيفة اللغة بهذه الصورة تنطبق تمامًا على لغة المفكرين وعلماء النفس والفلسفة، فماذا عن جموع جماهير الجماعة اللغوية متنوعى الثقافة والوعى؟ إن فى هذا تضييقًا لوظيفة اللغة، ولعل هذا هو الذى دفع أصحاب المدرسة الاجتماعية- وهم يهتمون بأفراد الجماعة اللغوية جميعًا- أن يذهبوا إلى أن الوظيفة الأساسية للغة هى التواصل والتعاون والترابط الاجتماعى.

وبالتأمل غير المضغوط بأدلة إحدى المدرستين (العقلية، والاجتماعية)، ومع مراعاة الحقائق التى أشارت إليها كل مدرسة، يمكن أن نلمح- بوضوح- أن وظيفة اللغة تؤدى الجانب العقلى والجانب الاجتماعى. فالتواصل والترابط الاجتماعى لا يخلو من منطق وفلسفة، ونرى أن ذلك يتحقق بمستويات مختلفة حسب درجة الثقافة والوعى لدى المتحدث، كما أن التعبير عن الأفكار والمشاعر لا يخلو من جانب اجتماعى، ولما كان الجانب الاجتماعى هو الذى يبرز هنا ويتفوق على غيره من الجوانب؛ لشموله الجماعة اللغوية بأسرها، فإنه يستحق الصدارة، وأن تكون الوظيفة الأساسية للغة هى الوظيفة الاجتماعية، دون إغفال دور اللغة المهم فى التعبير عن الجوانب العقلية والسلوكية.

ثالثاً: اللغة متغيرة :

ترتبط اللغة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، فهي المرآة التي تعكس كل مظاهر التغير والتحول في المجتمع: رقيّاً كان أو انحطاطاً، تحضراً كان أو تخلفاً .. لذا كان التغير سنة جارية في سائر اللغات الحية وإن اختلفت نسبته.

ويقع التغير اللغوي في المستويات اللغوية كلها: من أصوات وصرف وتراكيب ودلالة، ويُدرس كلُّ في بابهِ، ويهتم الباحثون بدراسة دوافع وأسباب هذا التغير ومظاهره ونتائجه ... إلخ.

ومن الأمثلة على هذا التغير:

(٩) التغير الصوتي : وهو التغير الذي يقع في مستوى الصوت المفرد (الحرف) أو الحركة، ومن أمثله التغير الصوتي للأصوات الأسنانية في الفصحى في مصر " ذ ث ظ "

ذ ← ز، في مثل / ذكر : زكر — الذين : اللزين.

ث ← س، في مثل / ثورة: سورة — تُم : سُم.

ظ ← إلى صوت بين الظاء والزاي المفخمة.

ويزداد التغير لهذه الحروف في العامية المصرية المعاصرة، فنلاحظ التالي:

ذ ← د، في مثل / الذئب: الديب — ذيل: ديل.

ث ← ت، في مثل/ الثوم: التوم — ثلاثة : تلاثة.

ظ ← ض، في مثل/الظل: الضل — الظهر: الضهر.

(٢) التغير الصرفي : وهو التغير الذى يقع فى مستوى الكلمة، ومن أمثلته:

اسم الفاعل من الفعل قرأ : قارئ، لكن المعاصرين ينطقونه (مقري). واسم المفعول من الفعل الأجوف (دان): مدين، لكن المعاصرين ينطقونه: مديون.

ومما ينبغى أن يشار إليه هنا الخلط الواضح فى ضبط عين المضارع^(١) ، فلا يهتم بها فى حديثه ولا يراعيها إلا قليلاً، ومن أمثلة ذلك:

المضارع		الماضى
الصواب	الخطأ الشائع	
ينقل؛ لأنها من باب: نصرَ ينصُرُ	ينقِل	نَقَلَ.
يهدف؛ لأنها من باب: نصرَ ينصُرُ	يَهْدِف	هَدَفَ
يكسب؛ لأنها من باب: ضربَ يضربُ	يكسب	كَسَبَ

(٣) التغير التركيبى : وهو التغير الذى يقع فى مستوى الجملة:

وله وجوه كثيرة وأنماط متباينة، فقد لا يكون التغير فيه خروجاً عن قواعد اللغة العربية، ولكن المعنى المعبر عنه بهذا التركيب أو ذاك معنى مستحدث، ومن أمثلة ذلك ما يلى^(٢):

(١) يلعب دوراً هاماً، ويقال به بالإنجليزية:

- He plays an important part

(١) راجع: د. محمد محمد داود: الصوائت والمعنى فى العربية (دراسة دلالية ومعجم)، ص ٤٨.

(٢) د. كمال بشر: دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى، ط ٢، ١٩٧١، ص ٢٦١.

(٢) كلام للاستهلاك المحلي، ويقابله بالإنجليزية:

- *For local consumption.*

وهنا نمط آخر من التغيير التركيبي، يكون التغيير فيه مخالفاً لقواعد اللغة العربية من ذلك ما كان متأثراً باللغة الأجنبية؛ كما نلاحظه في الأمثلة التالية:

● أنا كمصري، أنا كمسلم ... إلخ. وهذا النمط مصوغ على نمط التعبير الإنجليزي^(١) :

(I am) as an Egyptian ، (I am) as a Moslem.

ومن أمثله أيضاً:

● كلما اجتهدت كلما حصلت على مال أكثر، فهي مصوغة على نمط:

The more you work, the more you get more money.

● دخل علىّ بينما كنت أقرأ، مصوغة على نمط:

He came in while I was reading.

● دعني أنظر في الأمر

Let me look.

وهناك نمط آخر فيه تغيير للموقعية وترتيب الكلمات والأدوات، من ذلك العبارة: سوف لا أسافر ، بدلاً من : لن أسافر، قد لا يجوز، بدلاً من: ربما لا يجوز.

وهناك أنماط أخرى خاصة بتعدى الفعل ولزومه، ومن ذلك:

الفعل " أكد " يتعدى بدون حرف جر، ويكثر استعماله في العربية المعاصرة متعدياً

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٣.

بحرف الجر "على"، في مثل قولهم:

● أكد على الحقيقة ، أكد على الأمر .

والصواب : أكد الحقيقة، وأكد الأمر.

(٤) التغير الدلالي :

وأكثر ما يقع من تغير في اللغة يكون في المستوى الدلالي، وذلك بسبب التوسع في استعمال الألفاظ لمعان جديدة ودلالات مستحدثة، وللتغير الدلالي أسبابه ودوافعه، ومظاهره ونتائجه، ومن أمثلة التغير الدلالي ما يلي:

(١) كلمة (جيل - أجيال)، كان استعمالها في القدم^(١) في مجال الأحياء: نباتية أو حيوانية أو بشرية، في حين أصبحت الكلمة في العربية المعاصرة تستعمل في مجال الجمادات في عالم الكمبيوتر، في مثل الشاهد التالي:

● تم تطوير أجيال حديثة من الكمبيوتر تستوعب كل المعطيات^(٢).

● الأجيال التالية من القطارات اليابانية الفائقة السرعة المعروفة باسم القطار الرصاصة، ليس الهدف منها أن تكون أسرع بل أن تكون أكثر راحة^(٣).

(٢) ربت^(٤): ورد في القدم بمعنى التربية، وتطورت دلالته في المعاصر إلى الدلالة الحركية التي تتم بواسطة اليد ويصاحبها شيء من مشاعر الود والحنان والعطف.

(١) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٧٦.

(٢) الأهرام ١٢/٦/١٩٩٩، العدد ٤١٠٩٥، السنة ١٢٣، ص ٥.

(٣) الأهرام ١٢/٦/١٩٩٩، العدد ٤١٠٩٥، السنة ١٢٣، ص ٥.

(٤) راجع بتوسع: د. محمد محمد داود: ألفاظ الحركة في العربية المعاصرة، (دراسة دلالية

(٣) زَفَّ^(١): حدث التطور الدلالي لهذا الفعل من خلال تثبيت الدلالة المجازية وغياب الدلالة الأصلية؛ فالدلالة الأصلية للمادة " زَفَّ " هي السرعة، ثم استعير لحركة العروس لما فيها من خفة وفرح (سرعة معنوية)، وقد عملت العربية المعاصرة على تثبيت هذه الاستعارة، وتغييب الدلالة الأصلية، ولم يرد الفعل (زَفَّ) في العربية المعاصرة إلا مقترناً بملمح الفرح المصاحب للحدث (الحركة).

والعربية المعاصرة غاب فيها تمامًا الاستعمال الأصلي للكلمة، وبقي الاستعمال المجازي ثابتًا وتحول إلى حقيقة؛ حتى أصبح الذهن - عند إطلاق الكلمة - لا ينصرف إلا إليه.

(٤) نهش: تطورت دلالاته في المعاصر من العض دون الجرح (الدلالة القديمة) إلى معنى: حركة الأنياب والأسنان في جسد آخر للأخذ من لحمه أو تجريحه.

(٥) هرش : تطورت من معنى المهارشة وتقاتل الكلاب إلى معنى: حك الجلد باليد أو الأظفار.

(٦) وثب : تطورت دلالاته في المعاصر من الهبوط، والقيام إلى معنى القفز.

(٧) القناعة: استعمالها في القدم كان في مجال الرضا النفسي، في حين أصبحت تستعمل في العربية المعاصرة بمعنى الاقتناع، وهو من مجال الرضا العقلي، من ذلك الشاهد التالي:

وإني لأعتقد الآن بعد أن سرت معك على درجة واحدة من القناعة
بصدق القاعدة التي أسلفناها^(٢).

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) د. طه الدسوقي: الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة: ص ٣٨٧.

رابعاً: اللغة مكتسبة:

لا يولد الإنسان متكلمًا بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذى نشأ فيه؛ فمن نشأ فى مجتمع عربى يكتسب العربية، ومن نشأ فى مجتمع إنجليزى يكتسب الإنجليزية، وهكذا.

وهناك جانبان أساسيان لعملية اكتساب اللغة عند الإنسان؛ هما:

(١) الجانب الفطرى (اللا إرادى):

وهو القدرة الذهنية، ويطلق عليها (الملكة اللغوية)، ونعنى بها القدرة التى أودعها الله فى الإنسان فجعلته مهياً لاكتساب اللغة، فجعل له أعضاء النطق والسمع، سواء فى ذلك ما كان ظاهراً مباشراً منها كالحنجرة واللسان والشفيتين للنطق، والأذنين للسمع ... إلخ، أو ما كان غير ظاهر كالأجزاء المسئولة عن النطق فى المخ والأعصاب، ونحو ذلك، ووجود هذا الجانب أساسى ومهم فى العملية اللغوية^(١).

(٢) الجانب المكتسب (الإرادى):

وهو جانب مرتبط بالبيئة؛ حيث يكتسب الطفل لغة من نشأ بينهم؛ فمن نشأ بين عرب يتحدث العربية، ومن نشأ بين أهل الإنجليزية يتحدث الإنجليزية، وهكذا، ويدخل جانب التقليد بقدر كبير فى عملية الاكتساب؛ حيث يتم اكتساب اللغة من الجماعة اللغوية بكل سمات وملامح الواقع اللغوى لهذه الجماعة من صحة أو خطأ، وما بينهما من درجات التفاوت والتباين.

(١) انظر: د. مصطفى فهمى: أمراض الكلام، ص ٩ - ٢٨.

خامسًا: اللغة نسق :

لكل لغة نسقها الخاص على المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي.

فعلى المستوى الصوتي: نجد أن هناك تباينًا واضحًا بين أصوات كل لغة وأخرى فلكل لغة نسقها الصوتي الخاص بها، من نطق كل صوت (فونيم) بصورة محددة، بالإضافة إلى وجود صور صوتية للصوت الواحد (فونيم)، مثل التفخيم والترقيق في العربية ودرجاتهما المختلفة للصوت الواحد.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الصور الصوتية الخاصة بدرجات التفخيم لصوت الخاء في العربية، على النحو التالي:

- ١- خَا (خالدين) مفتوح وبعده ألف، (أعلى درجات التفخيم).
- ٢- خَ (خَير) مفتوح وليس بعده ألف، (الدرجة الثانية).
- ٣- خُ (خُلود) مضموم، (الدرجة الثالثة).
- ٤- خْ (أخْبَارها) ساكن، (الدرجة الرابعة).
- ٥- خ (خيانة) مكسور، (أدنى الدرجات).

والفرق بين صورتين صوتيتين لصوت واحد بين التفخيم والترقيق، على نحو ما نجد في حرف الراء في العربية:

١- (رَ) مفخم، كما في كلمة: رَبّ.

٢- (رِ) مرقق، كما في كلمة: رجال.

وتأليف الأصوات (فونيميًا) مع بعضها لتكوين الكلمات يتحكم فيه أيضًا النسق الصوتي الخاص بكل لغة، على نحو ما نجد في العربية من تنافر بعض الحروف وصعوبة اجتماعها متواليًا في كلمة واحدة؛ مثل: ذ، ظ، ث.

وعلى المستوى الصرفي: من حيث بنية الكلمة، نجد لكل لغة نظامها الخاص في بناء الكلمات؛ فالعربية مثلاً تميل إلى الاشتقاق، على نحو ما نجد في المشتقات التي يمكن اشتقاقها من مادة (ك ت ب)، فيكون منها: كاتب، مكتوب، مكتب، مكتبة... إلخ، في حين تميل الإنجليزية إلى الإلصاق في اشتقاق الكلمات عن طريق إضافة السوابق، مثل: *un, re* أو إضافة اللواحق مثل: *s, ed, ly, ing*.

وعلى المستوى التركيبي: فكل لغة لها نسقها الخاص في ارتباط الكلمات ببعضها لتكوين جمل تؤدي معنى؛ فالعربية مثلاً تعرف نوعين من الجمل: الفعلية والاسمية، في حين تقتصر الإنجليزية على الجملة الاسمية فقط، وتتميز العربية بخاصية الإعراب. أيضاً في أدوات الربط بين الكلمات والجمل، نجد أداة العطف (و) تستخدمها العربية قبل كل معطوف عند تكرار العطف، مثل: " أحب محمداً وأحمد وإماماً "، في حين تقتصر الإنجليزية على وضع أداة العطف *and* قبل المعطوف الأخير فقط، مثل: *I love Mohamed, Ahmed and Emam.*

وعلى مستوى التراكيب الصفري: مثل التركيب الإضافي، والصفة والموصوف؛ فكل لغة لها نسقها الخاص بها، كما يظهر من المثالين التاليين:

نوع التركيب	العربية	الإنجليزية
التركيب الإضافي	جامعة القاهرة	Cairo University
الصفة والموصوف	الموضوع الأول	The First Subject

وعلى المستوى الدلالي: نجد لكل لغة نسقها الخاص بها؛ فالتعبير بالفعل المضارع في العربية يفيد التجدد والاستمرار، والتعبير بالماضي لتأكيد وقوع الحدث، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت للمعنى، فهو أقوى في الدلالة.

أيضًا ترتبط المعاني بثقافة المجتمع التي تشكل نمط تفكيره وسلوكه. وما يُعبّر عنه من المعاني في لغة بكلمة واحدة، قد يعبر عنه في لغة أخرى بأكثر من كلمة وذلك على نحو ما يظهر من الأمثلة التالية:

في الإنجليزية	في العربية
<i>It is too far</i>	هيهات
<i>He is as strong as a lion</i>	هو قوى كالأسد
<i>I will never meet him</i>	لن أقابله
<i>What about ?</i>	عَمَّ؟

الفصل الثالث

اللغة واللهجة واللحن

اللغة واللهجة

لعل أقدم معنى لكلمة اللهجة هو ما ذكره ابن منظور في لسان العرب: الولوع بالشيء واعتياده^(١). وتعدد دلالات الكلمة، ومن بينها دلالتها على جرس الكلام، وبين المعنيين صلة: وهى دلالة اعتياد الشيء.

اللهجة اصطلاحاً:

التأمل لجمهور المتحدثين للغة واحدة- كالعربية أو الإنجليزية مثلاً- يرى أنماطاً متباينة من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة بين أبناء هذه اللغة، وكل نمط له خصائصه اللغوية الخاصة التي تميزه عن غيره من الأنماط داخل اللغة الواحدة، مع اشتراك جميع هذه الأنماط في جملة من الخصائص اللغوية العامة التي تجمع بينها.

فعلى مستوى اللغة العربية نجد أن النمط اللغوي المصرى يختلف عن السودانى عن المغربى ... إلخ، وإن كانت كل هذه الأنماط تجمع بينها صفات وخصائص لغوية عامة تجعلها فى إطار لغة واحدة متميزة عن غيرها.

فالمصرى يقول: تليفون، والخليجى يقول: هاتف، للدلالة على الآلة المعروفة.

والمصرى يقول: بطيخ، والليبيى يقول: حَبْحَب، للدلالة على الثمرة المعروفة.

والمصرى يقول: ما اعرفش، والسعودى يقول: ما ادرى، للدلالة على نفي العلم.

والمصرى يقول: ماشى، والعراقى يقول: صار، للتعبير عن الموافقة.

والمصرى يقول: كويس، والعراقى يقول: خوش، للدلالة على جودة الشيء

والرضا عنه.

(١) لسان العرب: مادة (ل ه ج) .

بالإضافة إلى الاختلافات الصوتية الواضحة بين قطر وآخر بل داخل القطر الواحد، من ذلك تحول القاف إلى الجيم القاهرية في صعيد مصر: قال : جال.
وعلى مستوى اللغة الإنجليزية تجد النمط اللغوى الأوربي يختلف عن الأمريكى^(١).
وهذا التمايز والتغاير بين الأنماط داخل اللغة الواحدة دعا اللغويين إلى التعرف على الخصائص اللغوية (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) لكل نمط من الأنماط التى تتباين داخل اللغة الواحدة.

ومجموع الخصائص اللغوية لكل نمط تمثل: "اللهجة" *Dialect*؛ فاللهجة يمكن تعريفها بأنها: نمط من الاستخدام اللغوى داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها فى جملة من الخصائص اللغوية العامة.

ويلتقى هذا التعريف مع تعريف الدكتور إبراهيم أنيس للهجة بأنها:
"مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة".

(١) يظهر فى الكتب الدراسية التى تتناول الإنجليزية- التمييز بين الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية، والإنجليزية الهندية، والإنجليزية الأسترالية؛ فعلى المستوى الصوتى وضعت مؤلفات لتمييز النمط الأمريكى فى النطق، من ذلك: *Sounds of American "Accent English"* وهو كتاب مدعم بأشرطة صوتية ويهتم ببيان النظام الصوتى للإنجليزية الأمريكية، وفى الكتب الخاصة بقواعد اللغة الإنجليزية نجد ملحقات لبيان الاختلافات بين الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية، من ذلك: القائمة الموحدة بكتاب *Fundamentals of English Grammer*، كذلك نجد فصلاً كاملاً فى كتاب:

Language: its structure and use
.بعنوان: *British and American varieties p, 404*

وتعرض اللهجات للمؤثرات الاجتماعية والسياسية والدينية والحضارية وغيرها من مؤثرات الحياة المختلفة، وترتبط بأهلها: تضعف بضعفهم، وتموت باندثارهم وتوزعهم وتشتتهم، وفي المقابل تقوى اللهجة ويكون لها سيطرة ملحوظة حين يرقى أهلها ويصبحون في موقع التأثير في غيرهم فكرياً وعلماً ولغة لدرجة تستقل فيها اللهجة عن أخواتها من اللهجات حتى تصير لغة قائمة بذاتها، لها خصائصها اللغوية التي تميزها حتى عن اللغة التي انحدرت عنها.

إن اختلاف الألسنة إلى لغات ولهجات ورد في القرآن الكريم على أنه من آيات الله الجارية بين الناس، قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغَاتِكُمْ﴾ الروم/ ٢٢ .

ويتمدد مدلول اختلاف الألسنة في الآية ليشمل اللغات المختلفة، كما يشمل - أيضاً- اللهجات المتباينة، فهو من قبيل اختلاف الألسنة.

ومن اهتمامات علم اللغة الحديث دراسة اللهجات المختلفة مع ربطها بالمناطق الجغرافية، وأثمرت هذه الدراسات وضع أطالس لغوية^(١)، على نحو ما أنجزه في ألمانيا *George wenker*، وفي فرنسا *jules Gillieron*، وفي إيطاليا: *Jud*، وفي إنجلترا *Hons Kurath*.

يضاف إلى دراسات اللهجات جغرافياً دراستها اجتماعياً؛ لبحث علاقة اللهجات بالعمر والجنس والمهنة.

(١) د. عبده الراجحي: فصول في علم اللغة، ص ١٢١.

لهجة الفرد *Idiolect*:

كما تتنوع اللغة حسب المجتمعات إلى لهجات، يتنوع- أيضاً- الأداء اللغوي بين الأفراد الذين ينتمون إلى لهجة واحدة؛ فهناك فروق فردية في الأداء اللغوي بين فرد وفرد، وإن كانت هذه الفروق تأتي غير واضحة لغير المتخصص وتعود هذه الفروق الفردية- في الأداء اللغوي- إلى عوامل عديدة، منها ما هو عضوي يتصل بجهاز النطق عند الإنسان؛ حيث تتباين قدرات جهاز النطق بين إنسان وآخر، ومن هذه العوامل ما هو اجتماعي، ومنها ما هو نفسي.

بل يصل الأمر في الدقة إلى ملاحظة اختلاف أداء الفرد للنص الواحد بين مرة وأخرى؛ استجابة لمؤثرات داخلية في نفسه وجسده، أو لمؤثرات خارجية في البيئة التي حوله؛ فلو قام رجل بأداء كلمة في حفل مهيب، وبعد أن انفض الحفل قام الرجل نفسه بأداء نفس الكلمة في حجرة مغلقة بدون جمهور، فإن الأداء يختلف.

ويلحظ هذا في أكثر النصوص تقنية من حيث الأداء الصوتي، وهو القرآن الكريم، فقارئ القرآن حين يتلو آيات في محفل، ثم يكرر الآيات نفسها في ظروف أخرى تجد أن الأداء به فروق وإن كانت طفيفة، إلا أن الحاذق من المتخصصين يلمح هذه الفروق.

العلاقة بين اللغة واللهجة:

هي علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى تجمع بينها؛ فنجد في العربية قديماً لهجات خاصة بالقبائل: تميم، طيء، الحجاز، هذيل... إلخ، وكلها تنتمي إلى العربية.

ويقع الترادف في الاستعمال اللغوي بين اللفظتين: اللغة، واللهجة؛ من ذلك ما أورده ابن جني في "الخصائص" عنواناً لأحد أبواب الكتاب، قال فيه:

"باب اختلافات اللغات وكلها حجة" (١).

وكذلك ابن فارس في كتابه "الصاحي" أورد باباً بعنوان: "اختلاف لغات العرب من وجوه" (٢).

وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغات القبائل: لغة تميم، لغة هذيل، لغة الحجاز، لغة طيء، ويقصدون باللغة في مثل هذه المواضع: "اللهجة".

أيضاً روى الزبيدي: قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء:

أخبرني عما وضعت مما سميتة عريية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أعمل على الأكثر، وأسمى ما خالفني لغات (٣). يريد باللغات هنا: اللهجات.

وامتد استعمال اللغة بمعنى اللهجة خلال القرون، فنجد من تراث القرن الثامن الهجري عند ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) في كتابه "كشف المعاني" يقول: "قد علم أن القرآن نزل بأفصح لغات العرب وكلامها" (٤). ويريد بـ "لغات العرب": لهجاتها.

(١) ابن جني: الخصائص، ج ٢ / ص ١٢.

(٢) ابن فارس: الصاحي في فقه اللغة، القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩١٠ م.

(٣) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٣٤.

(٤) ابن جماعة: كشف المعاني، تحقيق د. محمد محمد داود، ص ٥٠.

اللهجة واللحن:

وكما يقع الترادف بين اللغة واللهجة، فإنه يقع — أيضاً — بين اللحن واللهجة. واللحن في الاستعمال اللغوي له دلالات متعددة: فيرد بمعنى "إمالة الشيء عن جهته"^(١)، وهي الدلالة العامة للكلمة، ثم تحددت هذه الدلالة من خلال السياقات المختلفة، فكانت للكلمة الدلالات التالية^(٢): الغناء وترجيع الصوت والتطريب، التورية، الخطأ في اللغة، الفطنة، معنى القول وفحواه، اللهجة الخاصة.

والدلالة الأخيرة هي المقصودة هنا، وبينها وبين المعنى العام للكلمة صلة، وهو معنى الميل؛ فاختلاف اللهجة عن اللغة يعد ميلاً عنها بوجه ما من وجوه استعمالها في كلام العرب؛ ومن شواهد هذه الدلالة قول الأعرابية الكلبية^(٣):

وقومٌ لهم لحنٌ سوى لحن قومنا وشكلٌ وبيتٌ لله لسنا لشاكلةُ

وقول أبي مهدي: " ليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى " ^(٤).

اهتمام القدماء بجمع اللهجات المختلفة:

نالت اللهجات عناية القدماء، فبدلوا جهداً دؤوباً في جمعها وتدوينها، ولا سيما تلك اللهجات التي وردت بالقرآن الكريم، ويذكر ابن النديم في "الفهرست"^(٥) ما ألف تحت عنوان: لغات القرآن، ومن ذلك:

(١) لسان العرب: مادة (ل ح ن) .

(٢) عبدالعزيز مطر: لحن العامة، ص ١٧ .

(٣) لسان العرب: مادة (ل ح ن) .

(٤) لسان العرب: مادة (ل ح ن) ، الزجاجي: مجالس العلماء: ص ٣ .

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٣ ، ١٠٠ ، ١٤١ .

لغات القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ولغات القرآن لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، ولغات القرآن للأصمعي (ت ٢١٦هـ)، ولغات القرآن لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، وغيرهم.

ويذكر أيضًا صاحب "الفهرست" ما ألف تحت عنوان: "كتاب اللغات" ^(١)، ومن أشهر هذه المؤلفات:

"كتاب اللغات" لكل من: يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، وأبي زيد الأنصاري، الأصمعي ... وغيرهم.

هذا بالإضافة إلى كتب النوادر ^(٢)، مثل كتاب "النوادر" لكل من: يونس بن حبيب، البصري (ت ١٨٢هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، وأبي عبيدة وغيرهم.

أيضًا تم جمع لهجات قبائل بعينها، من ذلك: لغات هذيل، لابن الأشعث النحوي.

واقصر جهد القدماء على الجمع والتدوين دون توفر لدراسة اللهجات لغويًا، وينبغي الإشارة هنا إلى أننا في العربية أمام نوعين من اللهجات:

أولاً: لهجات ماتت واندثرت: لأنه كان ينظر إليها على أنها لهجات مدمومة؛ لذا كان الشعراء والأدباء يترقبون عنها ^(٣)، وأصدق دليل على هذا هو قلة شواهد هذه اللهجات في الشعر الجاهلي قلة تصل إلى حد الندرة، يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

" كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة

(١) ابن النديم، الفهرست: ص ٥٣، ٦٣، السيوطي: بغية الوعاة: ٣٣٣/٢، المزهر: ٩٦/١.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة: ٢٣٦/٢، ابن النديم، الفهرست: ص ٦٣، ٦٨، ٩٨.

(٣) محمد محمد يوسف الطحللاوي: الشعر الجاهلي وأثره في تفسير معاني القرآن الكريم، ص ٤٠.

أُخالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة؛ لينالوا إعجاب سامعيهم ولا يكونوا موضع سخرتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضّل شاعر على شاعر في تلك المناظرات إذا كان القياس مختلفاً وأداة القول متباينة " (١).

وأهم هذه اللهجات المذمومة، هي:

- ١- الكشكشة: وهي إبدال الكاف شيئاً، فيقولون: عليش، بدلاً من عليك، وأشهر من تكلم بها: قبيلة تميم.
 - ٢- الكسكسة: وهي زيادة سين بعد كاف المؤنث في حال الوقف، فيقولون: مِنْكِسْ، بدل: مِنْكِ، وأشهر من تكلم بسها: تميم وربيعة وهوازن ومضر.
 - ٣- الشنشنة: وهي إبدال الكاف شيئاً مطلقاً، فيقولون: لَبَيْشَ بدلاً من لبيك، وتنسب إلى اليمن.
 - ٤- العنعة: وهي إبدال الهمزة عيناً، وتنسب إلى تميم وقيس وأسد، ومثالها: عن، بدلاً من: أن.
 - ٥- الفحفحة: وهي إبدال الحاء عيناً، فيقولون: عَتَّى، بدل حتى، وتنسب إلى هذيل وثقيف.
 - ٦- التلثة: وهي كسر حرف المضارعة بالفعل المضارع، فيقولون: نَعْلَم، يشهد، ونسبتها إلى تميم وقضاعة وقريش.
 - ٧- الطمطمائية: وهي إبدال لام التعريف ميماً، فيقولون: امصيام، بدلاً من الصيام، وتنسب إلى تميم ودوس واليمن وحمير.
- وغير ذلك من اللهجات التي عرفتها الحياة العامة في الجاهلية، بعيداً عن لغة الأدب.

(١) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص ٣٩.

ثانياً: لهجات حفظها القرآن من الاندثار:

نالت اللهجات العربية في القرآن الكريم اهتمامات اللغويين والباحثين في علوم القرآن؛ لاعتبارين هما:

١- قوة الصلة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية^(١)؛ حيث كانت القراءات تيسيراً على القبائل المختلفة في عاداتها النطقية، ويؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ:

"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأى ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا"^(٢).

٢- إن من أوثق الشواهد التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة اللهجات هي القراءات القرآنية، المشهور منها والشاذ؛ لأنها تعبر عن الواقع الحى للظواهر الصوتية والصرفية والنحوية للهجات العربية.

لهذا كانت القراءات القرآنية خير مرجع يصور الاختلافات بين اللهجات؛ فمثلاً: قوله تعالى: ﴿ فَتَنْظِرُهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة/٢٨٠ .

قرأ الجمهور: (نَظْرَةٌ) بكسر الظاء، وهي لغة قريش.

وقرأ مجاهد والضحاك: (نَظْرَةٌ) بسكون الظاء، وهي لغة تميم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ التوبة/٧٢ .

(١) راجع: د. إبراهيم أنيس: في اللهجات القرآنية، د. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية.

(٢) مسند أحمد: ٤٠٠٢٤/١٢.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، تفسير الآية، ٣٤٠/٢.

قرئ: (رضوان) بكسر الراء، وهي لغة الحجازيين، وقرئ بضمها وهي لغة تميم^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالَى ﴾ النساء/ ١٤٢ .

قرأ الجمهور : (كُتَالَى) بضم الكاف وهي لغة الحجازيين، وقرأها الأعرج بالفتحة، وهي لغة تميم وأسد^(٢).

نشأة اللهجات:

ارتباط اللغة بالمجتمع يجعلها تتأثر بما يمر به المجتمع من أحداث وظروف، فالظروف الاجتماعية، والسياسية، والحضارية، والجغرافية، كلها تؤثر في اللغة.

العوامل السياسية تؤثر في اللغة؛ لأن اختيار اللغة الرسمية في البلاد من أقوى العوامل المؤثرة على اللغة، فالنظام اللغوي الذي تفرضه حكومة أى دولة على الشعب كلفة رسمية للتعامل بها في مجالات الثقافة والعلوم والأدب، يجعل هذا النظام اللغوي هو النظام الفصيح، في حين يعتبر النظام اللغوي الذي يقتصر استخدامه على الحياة اليومية لهجة أو عامية^(٣)، وإن كانت اللغة العربية لها خصوصية في هذا المقام، فارتباطها بالقرآن الكريم جعلها مصونة من مثل هذه التأثيرات.

العوامل الاجتماعية لها دور بارز أيضاً في نشأة اللهجات؛ فالناس داخل المجتمع الواحد متفاوتون في أمور كثيرة، فقد توجد الطبقات الأرستقراطية، والطبقات الصناعية الحرفية، والطبقات التجارية، والطبقات العلمية، ويتنوع الأداء اللغوي ويتميز بخصائص لغوية تتباين من طبقة إلى أخرى.

(١) محمد فهد خاروف: الميسر في القراءات الأربعة عشر، ط١، دار ابن كثير ١٩٩٥، ص١٩٨.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط: ٣ / ٣٧٧.

(٣) راجع: د. محمود فهمي حجازي: مقدمة في علم اللغة، ص ١٤.

والعوامل الجغرافية لها دور أيضاً في نشأة اللهجات وبخاصة في القديم؛ فالحضري يختلف بيئته عن الريفى، والمناطق المعزولة تظل محافظة على لهجتها، فى حين تكون المناطق المتواصلة مع غيرها عرضة للتأثير؛ على نحو ما نجد عند سكان السواحل مثلاً، مثل مدن القناة، والإسكندرية، نجد عندهم ما يميز لهجتهم عن لهجة القاهرة مثلاً.

والعوامل الحضارية لها دور مؤثر كذلك، فلا شك أن العلم والثقافة لهما دور بارز فى تكوين الشخصية وتشكيلها عقلياً ونفسياً، ويكون لهذا التشكيل أثره على لغة الإنسان.

الفصل الرابع

علم اللغة

النشأة والملاحم والمناهج والصلة بالعلوم الأخرى

تاريخ الدرس اللغوى

تساؤلات حول النشأة:

لما كانت اللغة قديمة قدم الإنسان، فلاهتمام بها موغل في القدم أيضاً، فلقد شغل العلماء تفكيرهم لعدة قرون بالبحث عن نشأة اللغة الإنسانية، وما أقدم لغة في العالم؟ وهل نشأت جميع اللغات من مصدر واحد (اللغة الأم)؟ وما اللغة المستخدمة في الجنة، وكيف تتابعت الكلمات منذ البدء؟

تساؤلات عديدة مرت بالتجارب والنقاش الذى يعود إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف عام مضت، ولم يتوصل أحد للإجابة الشافية عن هذه التساؤلات الحائرة حول نشأة اللغة.

وأخذت الأجيال المتعاقبة تطرح التساؤلات نفسها دون الوصول إلى إجابة يقينية. وفى القرن التاسع عشر - فى عام ١٨٦٦م - أصدرت الجمعية اللغوية بباريس قانوناً يمنع مناقشة هذا الموضوع فى الندوات واللقاءات العلمية التى تقام بشأن اللغة؛ وذلك لأن علم اللغة الحديث يتناول اللغة تناولاً علمياً، يقوم على المنهجية والدقة والتعامل مع الواقع اللغوى الحى (المنطوق)، أما المسائل التى هى فى علم الغيب وبخاصة تلك اللغات التى اندثرت؛ فالكلام فيها من قبيل الظن فهو احتمالى وليس يقينياً. لذلك عدل علم اللغة الحديث عن البحث فى نشأة اللغة إلى دراسة اللغة فى واقعها الحى المنطوق.

لكن مع ذلك استمرت المحاولات، وعاد الاهتمام - فى العصر الحاضر - بالتعرف على نشأة اللغة، وذلك فى ضوء اكتشافات الآثار والتقنيات الحديثة للتحليل، التى توحى إلينا ببعض الملامح عن موضوع نشأة اللغة.

البداية الجادة للدرس اللغوي:

أ- في الغرب:

ظهرت في الغرب مدرستان أساسيتان هما: اليونانية واللاتينية، وكان اليونانيون هم أصحاب السبق في العمل اللغوي، كما ارتبط عملهم بالفلسفة، دون ارتباط بالواقع اللغوي الحي على ألسنة الناس عامة، وربما كان الدافع لهم وراء ذلك هو الاتجاه الفلسفي لفكرة المثال أو الأتموذج، ومازال تأثير الفكر الفلسفي على الدرس اللغوي واضحًا في أعمالهم أو في ما نقل عنهم حتى الآن.

أما بشأن اللاتينيين فقد حذوا حذو اليونانيين بداية، ثم انصرفوا للغتهم وعدّوها مثالاً يُحتذى، فحاولوا الوصول إلى معايير وقواعد عامة يمكن أن تطبق على كل اللغات، فحاولوا وضع ما يسمى بالقواعد العالمية.

وانطلقت كل هذه الأفكار في أنحاء أوروبا، فكان لها الأثر الواضح في الدرس اللغوي، ومازال بعضها جاريًا في مدارس العلم هناك حتى الآن.

ب- في الشرق:

وإذا نظرنا إلى الشرق وجدنا مدرستين بارزتين، ارتبط فيهما الدرس اللغوي بالدين وكتبه المقدسة، وهما:

الهنود: وارتبط الدرس اللغوي عندهم بكتابهم المقدس.

والعرب: وارتبط الدرس اللغوي عندهم بالقرآن الكريم.

ولقد تفوق الهنود على اليونانيين واللاتينيين في مجال الدراسة اللغوية، بفضل الدراسة الوصفية للغة السنسكريتية (لغة الدين والأدب عند الهنود) (١)، واعتبر

(١) د. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهنود، ص ٨٤.

كتاب بانيني *Panini* (القرن الرابع ق. م): " القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية " طفرة في الدرس اللغوي، وبداية جادة لدراسة اللغة دراسة وصفية حتى اعتبره علماء اللغة المحدثون رائداً للنحاة الوصفيين القدماء^(١).

أما بشأن العرب؛ فمن الأمانة العلمية أن نلفت الانتباه إلى حقيقة هامة، وهي أن جهود العرب في الدرس اللغوي — في الفترة من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي — تمثل فترة سخية في نشأة علوم اللغة^(٢) عند العرب، التي نشأت تحت تأثير دافعين واضحين هما:

(١) خدمة الإسلام والمحافظة على القرآن الكريم من اللحن، وتيسير سبل فهمه وقراءته على غير العرب ممن دخلوا في الإسلام من الأعاجم. ويذكر الإمام السيوطي أنه قد نشأ أكثر من خمسين نوعاً^(٣) من علوم اللغة التي قامت لخدمة القرآن الكريم.

(٢) خدمة اللغة العربية؛ للتغلب على الثنائية الموجودة في الواقع اللغوي الحي على ألسنة العرب، المتمثل في تيارين:

أ — الفصحى: وهي النموذج الذي يمثل اللغة العامة أو المشتركة، التي يمكن أن تتعامل بها كل القبائل في إطار معايير محددة من القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

(1) *Robins, A short History of Language, P. 205.*

(٢) أهمل الأوروبيون عند تسجيل تاريخ علم اللغة جهود العرب في هذه الفترة، في حين أنهم أشاروا إلى جهود اليهود مثلاً في وصفهم لقواعد النحو العبري.

انظر: *Robins: A short History of Linguistics*

(٣) انظر: السيوطي، الإتيقان، مكتبة نزار الباز: مكة المكرمة، ط ١، ١٩٩٦، ص: ٤، ٥.

ب — اللهجات المختلفة: التي تختلف باختلاف البيئات والقبائل العربية، فنشطت همة العلماء العرب لجمع المادة اللغوية للغة العربية، عن طريق الرواية الشفوية، من أهل اللغة الأصليين ووضعوا حدودًا لعملية جمع المادة؛ فحددوا البيئة المكانية وكذلك الزمانية، وحددوا القبائل التي يصح الأخذ عنها.

ومع أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وبدايات القرن التاسع عشر انتقلت الدراسات اللغوية إلى عهد جديد، وكان من أبرز هذه الجهود التي تمثل نقطة تحول في الدرس اللغوي جهود اللغوي الألماني جريم *Jacob Grimm* (١٧٨٧-١٨٦٣ م)، الذى نظر في اللهجات معتمدًا على اللسان الحى المنطوق، بعد أن كان البحث اللغوي يعتمد على اللغة المكتوبة فى القدم، وكان المنهج فيها خليطًا من الأفكار: معيارى وتاريخى، ووصفى، دون تفريق بينها.

ثم سيطرت الدراسات اللغوية المقارنة على الفكر الأوربى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وظل البحث فى الدرس اللغوى على هذا النحو يعانى الخلط المنهجى، حتى جاء اللغوى السويسرى دى سوسير (ت ١٩١٣ م)، الذى يعد فى نظر معظم اللغويين الرائد الأول لعلم اللغة الحديث، ولا يعنى هذا أنه المبدع لكل الأفكار اللغوية، فقد سبقه اللغويون الذين جاءوا قبله بأفكار لغوية، لكنها جاءت متناثرة فى بطون الكتب أو غير واضحة المنهج.

وقد ظهرت أفكار دى سوسير فى كتاب جمع مادته تلامذته، وتم نشره فى عام ١٩١٦ تحت عنوان: " محاضرات فى علم اللغة العام " *Cours de Linguistique generale*، وهو كتاب يتسم بالصعوبة والتعقيد، ويُلاحظ فيه تجاوزات غير قليلة فى استخدام المصطلحات؛ فهناك اضطراب فى استخدامها بالكتاب يصل إلى حد التضارب.

وتدور أفكار دي سوسير ومبادؤه اللغوية - في عمومها - حول هدفين:

الأول: تصحيح بعض الآراء الزائفة التي كانت تشيع عند التقليديين من اللغويين.

الثاني: محاولة تخلص البحث اللغوي من تبعيته للعلوم الأخرى.

ويتلخص فكر دي سوسير في أن اللغة حقيقة اجتماعية *Social Fact* تخضع للتحليل العلمي، على أنها نظام بنيوي تتحدد قيمة كل عنصر فيه بالإشارة إلى وظيفته، أى إلى علاقته بالعناصر الأخرى في هذا النظام، بالإشارة إلى خواصه اللغوية فيزيائية كانت أو سيكولوجية، ولذلك يعود الفضل لكتاب دي سوسير في إرساء أربعة أسس، هى:

١- التفريق بين المنهج الوصفي والتاريخي تفريقاً محددًا وواضحًا؛ فقد ميز بين البعدين الأساسيين للدراسة اللغوية:

البعد الأول: الدراسة التزامنية *Synchronic*.

البعد الثاني: هو الدراسة التاريخية *Diachronic*، التي تعالج فيها تاريخياً عوامل التغير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن.

٢- التفريق بين اللغة *Lingua* والكلام *Parole*، بوصف اللغة نظاماً مجرداً مختزناً في ذهن الجماعة اللغوية، في حين أن الكلام نشاط فردي تطبقى للنظام اللغوي.

٣- تحديد العلاقة بين الدالّ والمدلول (فكرة الاعتبارية والعرفية في اللغة).

٤- التركيز على اللغة المعينة في إطار النظرة البنائية (التركيبية).

علم اللغة

يطلق مصطلح علم اللغة على العلم الذى يدرس اللغة دراسة علمية تعتمد على الدقة والوضوح والشمول والمنهجية، ويدرس اللغة لذاها. وله مسميات أخرى عديدة أشهرها وأهمها: علم اللسان، واللسانيات، والألسنية، والألسنيات، واللغويات، محاكاة للفظ الإنجليزي *Linguistics*^(١).

أسباب تعدد التعريفات:

يمكن إجمال أهم أسباب تعدد تعريفات علم اللغة فيما يلي:

١- تعدد مصادر وضع المصطلح:

حيث يسهم فى وضع المصطلح: أفراد الباحثين، والجامع اللغوية، وكذا الهيئات التى تقوم على خدمة اللغة، كالجمعيات اللغوية المختلفة، كل له دوره فى هذا، لكن دون تنسيق بين هذه المصادر أو اتفاق فيما بينها. ومن هنا تتعدد المصطلحات اللغوية تعدداً يصل بنا إلى مشكلات خطيرة مثل الغموض واللبس والتداخل بين المصطلحات.

٢- تعدد الترجمات للمصطلح الأجنبى الواحد:

لولا ذكر المقابل الأجنبى أمام الترجمة- فى حالات كثيرة- لما أمكن تحديد المعنى المطلوب، ولعل ما أورده الدكتور أحمد مختار عمر من تتبع للمقابلات العربية- فى المؤلفات اللغوية- لثلاثة من المصطلحات اللغوية الإنجليزية.

(١) د. كمال بشر: دراسات فى علم المعنى (السيمانتيك)، ص ٨٣.

د. أحمد مختار عمر، محاضرات فى علم اللغة الحديث، راجع: الفصل الأول: ضبط منهجية مصطلح الألسنية، وفيه مناقشة للقضية برمتها.

(Phoneme- Phone - Allophone) خير شاهد على تعدد الترجمات

للمصطلح الواحد، كما يظهر من الجدول التالي^(١):

المصدر	Phone	Allophone	Phoneme	م
دراسة الصوت اللغوي	فون	ألفون	فونيم	١
قاموس اللسانيات	صوت	صوت متعلمي	صوت	٢
دروس في علم أصوات العربية	—	—	صوت / صوت	٣
معجم علم اللغة النظري	صوت لغوي / صوت كلامي	ألفون / متغير صوتي	فونيم / فونيمية / صوتيم / صوت مجرد	٤
معجم مصطلحات علم اللغة الحديث	صوت كلامي	ألفون	فونيم	٥
المصطلح اللساني	—	يد صوتية	صوتية	٦
مفاتيح الألسنية	—	—	صوت	٧
مجلة الفكر العربي	—	—	مستصوت / فونيم / لافظ	٨

٣- استخدام مصطلحات قديمة بمعنى جديد:

إعادة استخدام مصطلحات قديمة استقر معناها وثبتت بدلالة محددة في القلم فاستخدامها بمعنى جديد في المعاصر يؤدي إلى اللبس بين المعنيين القلم والجديد، على

(١) د. أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، ص ٣٣.

نحو ما نجد في مصطلح "فقه اللغة" مثلاً، فهو في التراث العربي القديم يستخدم بمعنى معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها، على نحو ما جاء عند ابن فارس في كتابه "الصاحي في فقه اللغة"، وعند الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية"^(١).

في حين يُعدّ مصطلح "فقه اللغة" في البحث المعاصر ناقصاً.

وكذلك يقع اللبس في مصطلح "علم اللغة"، الذي يستخدم في التراث العربي بمعنى دراسة الألفاظ ومدلولاتها وتصنيفها في معجمات وكتب، فهو يقابل مصطلح "علم التصريف" الخاص بدراسة بنية الألفاظ كما أشار ابن خلدون وغيره، في حين يطلق المصطلح في المعاصر على دراسة اللغة بكل مستوياتها دراسة علمية.

ويحتل مصطلح "علم اللغة" في الدراسات اللغوية المعاصرة مكان الصدارة؛ لشيوع استعماله ووضوح مدلوله لدى الباحثين، وإن كانت هنالك ملاحظات لبعض الباحثين حول استخدامه، منها: اختلاطه مع مصطلح "فقه اللغة"، وعدم التحديد الدقيق لمجاله، حيث تتعدد أوصافه؛ فهناك علم اللغة الحديث، علم اللغة العام...^(٢) إلخ.

على أن هذه الملاحظات يمكن استدراكها، ولا تنال من استقرار المصطلح وشيوعه بين اللغويين والدارسين في الوقت الحاضر.

(١) ابن فارس: الصاحي في فقه اللغة، الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، السيوطي: المزهر، ٨/١٠.

(٢) د. أحمد مختار عمر: محاضرات في علم اللغة الحديث، ص ٢٥.

ملامح البحث اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث

في البحث اللغوي الحديث تدرس اللغة دراسة علمية تعتمد على الواقع الحى المنطوق، وهو لا يخص لغة بعينها بل يهتم باللغات كلها، ويدرس اللغة لذاتها؛ من أجل تقديم وصف كامل ومحدد وواضح يكون وسيلة لغاية أبعد، هى الحصول على معلومات عن اللغة بشكل عام، وبيان وظائفها المختلفة على أساس اشتراك جميع اللغات فى جملة من الحقائق فى أولها الحقيقة الصوتية للغة، والطبيعة الاجتماعية لها، وأن أى لغة لا بد لها من نظام تتابع من خلال الأصوات لتكوين كلمات، وتتابع الكلمات من خلال هذا النظام لتكوين جمل تفيد معنى.

وعلم اللغة الحديث يبحث اللغة بوصفها ظاهرة صوتية، والكتابة تابعة، ولا يمكن بحث الكتابة بمعزل عن الواقع اللغوي المنطوق.

والبحث اللغوي بحث علمى وليس انطباعياً أو إبداعياً فنياً^(١)؛ ولا مجال للخيال هنا، والباحث مطالب بالدقة فى تحديد المصطلحات المستخدمة فى بحثه: (مصطلحات الأصوات، ومصطلحات الصرف، ومصطلحات النحو ومصطلحات الدلالة)، بالإضافة إلى المصطلحات الجديدة.

كذلك ينبغى الحذر من استخدام مصطلح قديم وإطلاقه على معانٍ جديدة مغايرة لمعناه القديم.

كما تطلب الدقة فى التعبير عن الحقائق والظواهر محل الدراسة، بعيداً عن اللغة الأدبية، حتى لا ندخل إلى مجال التأويل.

(١) فى الأعمال الإبداعية الفنية يكون للقيم الجمالية حضور واضح، ويكون الأسلوب اللغوي المستخدم معتمداً على المجاز بفروعه المختلفة، ولا يميل إلى التصريح بل يستخدم التلميح لما يريد.. على عكس الأسلوب العلمى.

كما تعنى العلمية أيضاً: وضوح المنهج، وتحديد المادة.

وعلى الباحث أن يحذر خلط المناهج؛ لأنه يودى به إلى نتائج مضللة. وكذلك عدم تحديد المادة وبيئتها المكانية والزمانية يصل بنا إلى نتائج لا تعبر عن الواقع اللغوى.

والبحث اللغوى يبحث كل مستويات اللغة بلا حدود: اللغة الفصيحة، واللهجات، واللغة القديمة، واللغة المعاصرة، واللغة العلمية، واللغة الأدبية .. إلخ. فالبحث اللغوى الحديث يشمل جميع أساليب اللغة وكل مستويات الاستعمال فيها، ولا يقتصر على الأساليب الأدبية والفنية فقط.

ولما كان البحث اللغوى من مجالات البحث العلمى^(١)؛ فإنه يتوجه إلى الموضوع الجديد الذى يسجل إضافة فقط، وذلك لتفادى تكرار الجهود دون طائل، مع التركيز على المشكلات والتحديات التى تواجه اللغة بسبب تطور الحياة؛ كى تواكب اللغة تطور الحياة ونموها فى شتى نواحيها.

ومن السمات العلمية فى البحث اللغوى : التماسك، وذلك أن يكون البحث كلاً متكاملًا، تتكامل أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض، وأن يكون بعيدًا عن التكرار، بل يكون بنىة متماسكة، بحيث إذا حذفت منه كلمة أو فقرة سقط البحث وانهار.

ومن دواعى العلمية فى البحث اللغوى أيضاً: ألا يدخل الباحث بحثه بأحكام مسبقة، بل يدخل بحثه معتمداً على الملاحظة الدقيقة لواقع اللغة، وما تعطيه من نتائج ينبغى أن تتوفر فيها صفة الاطراد، أى على الباحث أن يكون موضوعيًا،

(١) د. أحمد مختار عمر: محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص ٥٥.

غير متأثر بركام الأفكار الخاطئة حول اللغة، ولا ينبغي للباحث أن يتناول موضوعاً لغوياً بالبحث بأدوات ناقصة، أو مادة غير كاملة .. ونحو ذلك، أو أن يكمل ناقصاً بظنه، فالعلم حقائق، ومن هنا استبعد كثير من الدراسات اللغوية من البحث اللغوى الحديث، مثل بحث: هل اللغة توقيفية أم اصطلاحية؟ والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وموضوع نشأة اللغة: متى نشأت؟ وهل هي توقيف أم اصطلاح؟ وما إلى ذلك من موضوعات هي إلى المنطق والفلسفة أقرب؛ لأنها في حكم الغيب بالنسبة لنا، ولا قدرة للباحث على الإلمام بجوانبها المختلفة، فالله أعلم بحقيقتها.

ومن دواعى العلمية في البحث اللغوى الحديث: عدم اللجوء إلى التعليلات المنطقية لتفسير الظواهر اللغوية، بل ينبغي الاعتماد على سلوك اللغة نفسها كما تكلم بها أهلها واستقرت على ألسنتهم، فالباحث اللغوى مهمته وصف الحقائق وتحليلها والاستنباط منها، وليس من مهمته فرض القواعد أو محاكمة الواقع اللغوى.

ومن سمات العلمية في البحث: ألا يبحث الدارس عن دليل يوافق رأيه فقط، بل يبحث أيضاً عن الدليل الذى يعارض فكرته.

ولقد أنجز البحث اللغوى الحديث تقدماً ملحوظاً؛ لأنه نجح في صياغة منهج إيجابى، ونجح في معرفة طبيعة الحقائق التى يخضعها للتحليل^(١).

وفي النهاية: لعله من المفيد التركيز على صفتين أساسيتين للدراسة العلمية للغة، وهما: التجريد، والتعميم أو الشمول^(٢)؛ حيث تمثل هاتان الصفتان جوهر المنهج العلمى فى دراسة الظواهر؛ من أجل الوصول إلى المعايير والضوابط التى تحكم الظاهرة موضوع البحث.

(١) د. محمود فهمى حجازى: أصول النبوية فى علم اللغة: مقال فى مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الأول، ص ٨٩.

(٢) د. حلمى خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ٧.

علم اللغة والعلوم الأخرى

ظلت النظرة إلى اللغة في الماضي على أنها من علوم الأدوات والوسائل، وليست من علوم الغايات، حتى بدايات القرن التاسع عشر. وفي رحاب البحث اللغوي الحديث ارتقت اللغة درجة أعلى، وصارت من علوم الغايات، بالإضافة إلى كونها من علوم الوسائل، وصار علم اللغة من أهم العلوم الاجتماعية التي تهتم بالسلوك الإنساني - على تنوعه - أثناء اتصاله بالآخرين.

ولما كانت اللغة نقطة التقاء بين علم اللغة وشتى فروع المعرفة، فقد أدى هذا إلى التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللغوية الحديثة تستعين بالعلوم الأخرى؛ رغبة في الكشف عن أسرار النظام اللغوي بكل مستوياته، على نحو ما يظهر في استعانة اللغويين بعلم التشريح وعلم الفيزياء في دراسة نطق الصوت اللغوي وصفات الصوت اللغوي الفيزيائية، وأثرها في السمع، ووضوح الصوت اللغوي، والعوامل المؤثرة في ذلك.

ومن جانب آخر فإن فروع المعرفة الأخرى، تستعين باللغة كوسيلة ووعاء لهذه العلوم، فنشأت فروع معرفية حديثة عند نقطة الالتقاء بين هذه العلوم واللغة وفاءً بحاجة هذه العلوم من اللغة، وكل علم يركز على زوايا اهتمامه بالقدر الذي يكفيه، ومن خلال البحث العلمي الحديث الذي يعتمد على المنهجية الموضوعية والتجريد والشمول - تقدمت هذه العلوم التي تقع في المجال المشترك بين اللغة وفروع المعرفة الأخرى.

ولتعدد وتنوع فروع المعرفة بصورة قد تضيق عن الحصر؛ فقد تعددت هذه العلوم إلى الدرجة التي جعلت أحد مؤتمرات علم اللغة التطبيقي يتفق على أهم

فروع هذا العلم على نحو ما ذكره الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، وفيما يلي بيانٌ بأهم الفروع كما وردت في كتابه^(١):

- ١- تعليم اللغة الأم واللغات الأجنبية.
- ٢- الاختيارات اللغوية.
- ٣- التخطيط اللغوى.
- ٤- علم اللغة التقابلى.
- ٥- صناعة المعجم.
- ٦- محاولة وضع لغة عالمية.
- ٧- التحليل الأسلوبى.
- ٨- الإلقاء وعيوب النطق.
- ٩- أنظمة الكتابة.
- ١٠- علم اللغة الإحصائى.
- ١١- علم اللغة الاجتماعى.
- ١٢- علم اللغة النفسى.

ومهما يكن من أمر، فإن من المفيد أن تكون لدينا رؤية شاملة لرؤوس المعارف والعلوم التى تهتم بعلم اللغة، ويهتم بها.

وقد جرت عادة اللغويين على تصنيف علم اللغة إلى قسمين كبيرين هما:

علم اللغة النظرى، وعلم اللغة التطبيقى، ولكل قسم فروع متعددة، وتحت كل فرع تفرعات جزئية، وهكذا، وفيما يلي رسم توضيحى لهذا التصنيف.

(١) د. أحمد مختار عمر: محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص ٥٥.

علم اللغة الحديث

التطبيقي (يتناول شق نروع المعرفة)

- ١- علم اللغة الاجتماعي
- ٢- علم اللغة النفسي
- ٣- علم اللغة الجغرافي
- ٤- علم اللغة الإعلامي
- ٥- علم اللغة السياسي
- ٦- علم اللغة الآل
- ٧- علم اللغة الطلي
- ٨- علم اللغة المسكوي
- ٩- علم اللغة التعليمي (طرق تدريس، تحليل أخطاء)
- ١٠- علم اللغة والترجمة (تقابل، تصحيح المناهج)
- ١١- علم اللغة الأثرولوجي.

النظري

باعتبار النهج

- وصفي - تاريخي
- مقارن - تقابلي
- معياري - بنوي
- تصنيفي..... إلخ

باعتبار المادة

- أصوات صرف
- تراكيب دلالة

وفيما يلي تعريف ببعض هذه الفروع، وبخاصة في جانب علم اللغة التطبيقي؛
لصلتها الوثيقة باللغة من جانب، وقدمها بين الفروع الأخرى من جانب آخر.
وأهم هذه العلوم:

(١) علم اللغة الاجتماعي *Sociolinguistics*.

(٢) علم اللغة النفسي *Psycholinguistics*.

(٣) علم اللغة الأنثروبولوجي *Anthropological Linguistics*.

(٤) علم اللغة الجغرافي *Geo linguistics*.

(٥) علم اللغة السياسي *Institutional Linguistics*.

(١) علم اللغة الاجتماعي *Sociolinguistics*:

اللغة مرآة المجتمع، تعكس كل مظاهره: من حضارة ورقى، أو تخلف وتأخر فهي شديدة الصلة بكل نواحي المجتمع، لذلك نالت اللغة اهتمام اللغويين من زاوية أنها ظاهرة اجتماعية، وأصبح لها علم يبحث مسائلها وعلاقاتها بالمجتمع ويعرف هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعي *Sociolinguistics*، ويدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع، إنه ينتظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية^(١).

وقد أحرز علم اللغة الاجتماعي إنجازات لها قيمتها في الدراسات اللغوية الحديثة، من خلال دراسته للغة في سياقها الاجتماعي، وطرق تفاعل اللغة مع المجتمع، والطرق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لمؤثرات اجتماعية^(٢).
وأما عن قضايا هذا العلم فهي كثيرة ومتنوعة، يأتي في قمتهما

(١) د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص ٤١.

(٢) *Crystal, Linguistics, P. 252*.

اللهجات *Dialects* المختلفة، والفروق الاجتماعية بين الطبقات، التي تؤدي إلى تباين اللهجات، وربما زاد هذا التباين حتى أصبحت كل لهجة لغة مستقلة وأوضح مثال على هذا؛ اللغات: الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية والرومانية، فقد كانت في الأصل لهجات مختلفة للغة اللاتينية.

كذلك يهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة المحظور من الكلام *Tabooed words* ^(١).

كذلك من اهتمامات علم اللغة الاجتماعي دراسة اللغة والجنس ^(٢)، ودراسة الخصائص اللغوية للغة الرجال والخصائص اللغوية للغة النساء، سواء من حيث درجة حدة الصوت، أو ارتفاعه، أو نوع الكلمات المحظورة على كل منهما ... الخ.

(٢) علم اللغة النفسي *Psycholinguistics*:

من نتائج أفكار تشومسكي اللغوية: إنها نقلت البحث اللغوي من الاقتصاد على الوصف والتحليل دون التفسير، إلى محاولة تفسير الظواهر، وتفرقة بين القدرة اللغوية *Competence*، والأداء *Performance*. واهتم العلماء بدراسة العقل البشري ودوره في العملية اللغوية، لمحاولة تفسير الظواهر اللغوية من خلال علم النفس الإدراكي، ومن أهم موضوعات هذا العلم محاولة التعرف على قدرة الطفل على اكتساب اللغة: متى، وكيف؟

كذلك من اهتمامات علم اللغة النفسي ^(٣) : دراسة العلاقة بين اللغة والفكر ودراسة عيوب الكلام وسبل التغلب عليها.

(١) د. كريم حسام الدين: المحظورات اللغوية.

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين.

(٣) اقرأ في هذا العلم: د. داود عبده: دراسات في علم اللغة النفسي.

من اهتمامات هذا العلم أيضاً: بحث كيفية فهم الجمل والكلمات، وسرعة الفهم، وخطوات الفهم، وعوامل صعوبة الفهم، ومن اهتماماته أيضاً: تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية، وطبيعة التذكُّر، وأسلوب استدعاء المخزون اللغوي من الذاكرة، أو ما يعبر عنه بالمعجم الذهني. وهكذا يشمل هذا العلم كل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة، وعند المتلقى عقب صدور اللغة.

(٣) علم اللغة الأنثروبولوجي *Anthropological Linguistic*

العلاقة بين اللغة والثقافة من أهم الموضوعات التي نالت اهتمام علماء اللغة الأنثروبولوجيين، ومجال الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافة للكشف عن سلوكيات الناس المتأثرة بالأشكال الثقافية المختلفة، فالثقافة في نظرهم أسلوب حياة. ومن هنا فإن للغة مكاناً بارزاً في الدرس الثقافي، فإلى جانب كونها وعاء للمعرفة والفكر والثقافة فهي - أيضاً - مرآة لثقافة المجتمع، ترقى برفيقه وتنحدر بانحداره؛ فللغة اتصال وعلاقة بالمستوى الثقافي للجماعة.

أيضاً للغة دور في تشكيل ثقافة المجتمع وأسلوب تفكيره؛ حيث إن الثقافة واللغة^(١) كليهما تلعبان دوراً مهماً في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة *Ethnic Groups*.

(٤) علم اللغة الجغرافي *Geo linguistics*

علم اللغة الجغرافي يدرس اللغة من زاوية المكان دون اعتبار لعنصرى الزمن، والعائلة اللغوية، وإنما يربط هذا العلم "علم اللغة الجغرافي" الدراسة التي تختص بالتوزيع اللغوي في المكان (الأطالس اللغوية) بالظروف الاجتماعية والثقافية.

(١) اقرأ في هذا الموضوع: د. كريم زكي حسام الدين: القرابة، مكتبة الأنجلو، ط ١، ١٩٩٠.

وعليه، فعلم اللغة الجغرافي يدرس توزيع اللغات البشرية على المواقع المختلفة من الكرة الأرضية، ويدرس كذلك نوع المتحدثين لكل لغة وعددهم ومستواهم الاجتماعي والثقافي، وتحديد مجالات النفوذ اللغوي للغات التي لها سيطرة على لغات أخرى بسبب التفوق الحضاري لأهلها، كالإنجليزية مثلاً في الوقت الحاضر، كذلك يدرس مكانة كل لغة اجتماعياً، وعليه فيمكن تحديد: اللغة الرسمية واللغة الأم، واللهجة المحلية، واللهجة الحرفية ... إلخ.

(٥) علم اللغة السياسي *Institutional Linguistics*

علم اللغة السياسي أحد فروع علم اللغة الاجتماعي التي نالت اهتماماً ملحوظاً في العصر الحديث، ويهتم هذا العلم بدراسة جوانب الخطاب السياسي^(١) والتعرف على خصائصه اللغوية، وذلك للوقوف على أهم العناصر والخصائص اللغوية التي تدعم هذا الخطاب، فيهتم بدراسة أسلوب التحريض والإثارة وأهم سمات الخطاب السياسي - حيث تفيد الدراسات اللغوية أنه: ذو عبارات قصيرة، ويتجنب التطويل، ويستخدم الألفاظ المؤثرة والواضحة، ويتجنب الألفاظ الغامضة، ويلجأ أيضاً إلى التضاد والمفارقة.

كما يدرس علم اللغة السياسي وسائل التأثير على المستمع من حيث اللغة مثل: التكرار، واستعماله الفني في التحريض، وكيف تصنع الشعارات؟ وكيف نستطيع - عن طريق اللغة - تعمية المسائل وتضليل الأفكار؟ وطرائق التضليل المختلفة، والسمات والملامح الأسلوبية الخاصة بكل مجتمع وبكل شريحة داخل المجتمع الواحد.

(١) راجع: جورج كلاوتس، لغة السياسة، ترجمة: ميشيل كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط٢،

المنهج الحديثة لدراسة اللغة

المنهج من أهم سمات الدراسة العلمية كما سبق أن أشرنا. وقد أنجز علم اللغة الحديث تقنين مجموعة من المناهج لدراسة اللغة، وكل منهج من هذه المناهج يسد حاجة يتطلبها الواقع اللغوي؛ فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللغوي للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغير اللغوي عبر الزمن، والبعض الآخر ينهض بهدف التأصيل اللغوي وتصنيف اللغات إلى أسرات لغوية، وبعضها يأتي لتحقيق غايات تربوية في مجال تعليم اللغات.

وعلم اللغة الحديث يستخدم المناهج الأربعة التالية:

١- المنهج الوصفي *Descriptive Method*.

٢- المنهج التاريخي *Historical Method*.

٣- المنهج المقارن *Comperative Method*.

٤- المنهج التقابلي *Contrastive Method*.

وفيما يلي موجز عن كل منهج من المناهج السابقة:

(١) المنهج الوصفي:

يقوم هذا المنهج على وصف اللغة " لغة محددة " في زمن محدد ومكان محدد ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها، فالمنهج الوصفي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة، أو محاكمة لها أو إقحام المنطق في تفسير وتأويل الظواهر اللغوية. وعلى الباحث هنا أن يحدد مستوى اللغوي المقصود بالدراسة لظاهرة لغوية محددة صوتياً أو صرفياً أو تركيبياً أو دلالياً؛ وذلك لأن عدم تحديد زمن الدراسة أو مكانها أو المستوى اللغوي المدروس، كل ذلك يؤدي إلى الخلط ويصل بالباحث إلى نتائج مضللة؛ فهذا التحديد من دواعي الدقة التي تتطلبها الدراسة العلمية.

فالمنهج الوصفي- إذن - يسجل الواقع اللغوي تسجيلاً أميناً؛ بهدف الكشف عن حقائق النظام اللغوي بمستوياته المختلفة.

وتمثل الدراسة الوصفية للغة خطأً أفقيًا تظهر فيه العلاقات بين العناصر اللغوية، متميزة عن حقائق النظام اللغوي بمستوياته المختلفة.

إذا أراد الباحث دراسة ظاهرة محددة في العربية المعاصرة مثل: ظاهرة الغموض في العربية المعاصرة مثلاً، فعليه أن يحدد مستوى الدراسة من بين المستويات التالية:

١- الغموض في المستوى الصوتي.

٢- الغموض في المستوى الصرفي.

٣- الغموض في المستوى التركيبي.

٤- الغموض في المستوى الدلالي.

أيضاً يدخل ضمن إطار تحديد المستوى: تحديد المستوى اللغوي للبحث (الفصحي أم العامية)، والخطوة التالية هي تحديد زمن الدراسة: (خمسة سنوات-عشر سنوات... إلخ)، حسب المدة التي يراها كافية للوفاء بحاجة البحث.

ثم عليه أن يحدد مكان الدراسة: في مصر، أم في الوطن العربي كله... إلخ.

ثم عليه أن يحدد مصادر المادة من اختيار الشرائح التي تمثل العربية المعاصرة تمثيلاً صادقاً: (جرائد - روايات ... إلخ).

ثم يبدأ في جمع المادة حتى يتأكد من جمع مادة كافية لدراسة الظاهرة موضوع البحث، بشرط الالتزام أثناء الجمع بالحدود الزمانية والمكانية والمستوى اللغوي للبحث.

ثم يبدأ بعد ذلك في التحليل، من واقع المادة التي بين يديه؛ فلا يسجل أحكاماً مسبقة، ولا يتأثر بأحكام قديمة عن اللغة أو عن الظاهرة، ويستخدم في ذلك

نظريات البحث الحديثة، فمثلاً في المستوى الدلالي هنالك نظريات للتحليل الدلالي أهمها:

● المجال الدلالي *Semantic Field*.

● السياق *Context*.

● التحليل التكويني *Compenential analysis*.

وبعد التحليل يصل إلى وصف دقيق يعبر عن سلوك هذه الظاهرة، ويخرج بنتائج بحثه.

(٢) المنهج التاريخي *Historical Method*:

يقوم هذا المنهج على دراسة لغة محددة عبر الزمن، للكشف عن التغير اللغوي على المستويات الصوتية والصرفية والتركييبية والدلالية.

ويعتمد المنهج التاريخي على المنهج الوصفي الذي يأتي ممهداً للدراسة التاريخية، فعلى سبيل المثال يمكن لنا تناول ظاهرة لغوية بالبحث التاريخي بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي (فترتين متقاربتين) ، أو بين العصر الجاهلي والعصر الحديث (فترتين متباعدتين) ، أو تناول الظاهرة من العصر الجاهلي، مروراً بكل العصور حتى العصر الحديث (فترات متعاقبة)؛ فتأتي الدراسة الوصفية بكل أبعادها: (تحديد الزمن، تحديد المكان، تحديد المستوى، تحديد الظاهرة اللغوية، التزام المنهج العلمي وما يتطلبه من دقة وموضوعية)؛ لإنجاز وصف الواقع اللغوي لكل عصر من العصور، ثم يأتي بعد ذلك دور الدراسة التاريخية التي ترصد التغير اللغوي.

ويطمح اللغويون العرب المعاصرون إلى إنجاز معجم تاريخي للغة العربية يؤرخ لألفاظها، على أساس من الشواهد الموثقة، وذلك بدءاً بأقدم نص وردت فيه الكلمة، حتى أحدث استخدام لها، كما في معجم أكسفورد التاريخي في اللغة الإنجليزية.

ولنضرب لذلك مثلاً:

في دراسة للباحث حول كلمة (المغفرة) — باستخدام المنهج التاريخي — قام الباحث بالخطوات الآتية:

البدء بالدراسة الوصفية الكاملة لاستعمالاتها في العصر الجاهلي من خلال نصوص الشعر الجاهلي وكذلك النثر الجاهلي، وتحديد الدلالات الحسية والدلالات المعنوية، ثم تعيين أقدم دلالة للكلمة من بين الدلالات الحسية، ثم ملاحظة العلاقة بين هذه الدلالة وبين جميع الدلالات الأخرى للكلمة، مع اعتبار الدلالات الأكثر شيوعاً.

وأسفر بحث دلالة المغفرة عن تعيين أقدم دلالة حسية لدلالة المغفرة، وهي "الستر والتغطية"، ثم انتقل البحث إلى العصر الإسلامي والدراسة الوصفية الكاملة للنصوص اللغوية خلال هذا العصر، وبخاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر الإسلامي، وتم تحديد دلالات الكلمة من خلال تلك النصوص وظهر من البحث أن معنى "العفو والصفح" استقر وثبت بفضل شيوع استعماله في القرآن الكريم.

ثم أتى دور الدراسة التاريخية بالمقارنة بين دلالات الكلمة في العصرين الجاهلي، والإسلامي؛ لرصد التغير الدلالي بكل وجوهه.

وأسفر البحث عن تعيين التغير الدلالي للكلمة، حيث تحول معنى الستر والتغطية إلى معنى العفو والصفح، وقد مهد المعنى القديم للدلالة الجديدة، ثم امتد البحث بالكلمة إلى العربية المعاصرة^(١).

(١) راجع: د. محمد محمد داود: المغفرة (دراسة دلالية)، مجلة علوم اللغة، العدد الأول -

المجلد الثالث، س٣- ص١٥٥ : ٢٠٤.

(٣) المنهج المقارن^(١) *Comparative Method*:

يقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتماء هاتين اللغتين أو تلك اللغات إلى أسرة لغوية واحدة، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة؛ وذلك رغبة في تصنيف اللغات إلى أسر وفروع لغوية، ويقوم هذا التصنيف على أوجه التشابه في المستويات اللغوية (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) بين اللغات موضع التصنيف.

كما تهدف الدراسة المقارنة إلى التوصل إلى اللغة الأم - *Language-Proto* لكل أسرة لغوية، وهي لغة من صنع الباحثين ولا وجود لها في الواقع.

أيضاً تهدف الدراسة المقارنة إلى تأصيل المواد اللغوية في المعاجم، على نحو ما أنجزه الأوربيون، ذلك مثل معجم فالد — بوركوني *Walde Porkony* لأسرة اللغات الهندوأوروبية، وهو معجم بالألمانية، ومعجم المترادفات في اللغات الهندوأوروبية، الذي صنفه بك *Buck* طبقاً للمعاني:

A dictionary of selected synonyms in the principles into European Language.

(٤) المنهج التقابلي *Contrastive Method*:

في إطار المدرسة الوصفية لدراسة اللغة نشأ حديثاً المنهج التقابلي، لخدمة أهداف تربوية في جانب علم اللغة التطبيقي في مجالات متعددة: أهمها مجال تعليم اللغات، فثمة صعوبات تصادف من يتعلمون لغة أخرى (لغة ثانية) بالإضافة إلى لغتهم الأم، وهذه الصعوبات ناتجة عن الاختلاف الموجود بين نظام اللغة الأم ونظام اللغة الثانية.

(١) راجع: د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص ٢١.

فمن المهم أن يؤخذ في الاعتبار أن اكتساب لغة جديدة لا يتم بمعزلٍ عن العادات اللغوية للغة الأم التي استقرت في ذهن المتعلم؛ وذلك لأن أعضاء النطق - وكذلك الجزء الخاص باللغة في العقل - حدث لها أمران:

أ - تكيف كل منها على النظام الخاص باللغة الأم بمستوياته كلها (صوتية، و صرفية، وتركيبية، ودلالية).

ب - حدث بين العقل وأعضاء النطق ما يسمى بالتوافق الذهني العضلي في القدرة على أداء اللغة الأم.

ولنضرب بعض الأمثلة للدراسة التقابلية في مجال تعليم اللغات فيما بين العربية والإنجليزية:

١- على المستوى الصوتي: هنالك فرق بين صوت الراء في العربية وبين صوت "R" في الإنجليزية، والعادة اللغوية للعربي في نطق الراء العربية التي تتسم بالتكرار تغلبه حين ينطق بـ "R" الإنجليزية.

صوت الباء في العربية صوت واحد (فونيم واحد)، على حين نجد له في الإنجليزية صوتين مختلفين: "B - P" ولكل منهما فونيم له خصائصه النطقية. وفي المقابل فإن الأصوات (ض، ع، خ، ق) تمثل صعوبة أمام الإنجليزي حين يتعلم العربية.

٢- وعلى المستوى التركيبي: نجد أن الإنجليزي حين يتعلم العربية يتأثر بنسق الإنجليزية في تركيب الصفة والموصوف؛ فالتعبير العربي " جميل جداً " بالإنجليزية هو: *Very nice*، وقد تعود ذهنه على تقدم الصفة، فيقول:

"جداً جميل"، " جداً عظيم"، وفي التركيب الإضافي نجد أن العربي تغلبه عادته اللغوية في تقدم المضاف على المضاف إليه في مثل (جامعة القاهرة)، فيقال بالإنجليزية: *Cairo university* في حين أن العربي يخطئ وينطق: *University Cairo*.

وعلى الدارس أن يفرق بين المنهج التقابلي وبين المنهج المقارن، فإن كان المنهج المقارن يقارن بين لغتين أو أكثر، فإنه يضع شرطاً أساسياً لهذه الدراسة المقارنة وهو انتماء هذه اللغات المقارن بينها إلى أسرة لغوية واحدة، في حين أن المنهج التقابلي يقابل بين لغتين، سواء أكانت اللغتان من أسرة واحدة أم من أسرتين مختلفتين، فيمكن القيام بدراسة تقابلية بين العربية والإنجليزية (أسرتان مختلفتان) أو بين العربية والعبرية (أسرة واحدة).

أيضاً يشمل المنهج التقابلي دراسة لهجة محلية واللغة الفصحى داخل لغة واحدة^(١)؛ بهدف تيسير تعلم الفصحى وتذليل الصعوبات التي تواجه من يتعلمون الفصحى من أبناء هذه اللهجة.

يضاف إلى هذا إمكانية الإفادة من المنهج التقابلي في مجال الترجمة، وتقديم أهم أوجه الشبه والاختلاف، وأيضاً أهم الخصائص لكل من اللغتين موضوع الترجمة، مما يساعد في إيجاد المكافئ في حالة الترجمة^(٢).

كما يمد المنهج التقابلي المجالات التطبيقية للفنون بمادة على درجة كبيرة من الأهمية في المسرح والقصة والتمثيلية.. ونحو ذلك.

وظهرت في الآونة الأخيرة دراسات في العربية^(٣) تعتبر بدايات مهمة في الدراسات التطبيقية الخاصة بالمنهج التقابلي، وتشير البوادر إلى مستقبل عظيم لهذا المنهج؛ وفاءً بحاجة الواقع في التغلب على صعوبات تعلم اللغات في إطار المنافسة اللاهبة بين لغات الحضارة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية... وغيرها.

(١) راجع : د. محمود فهمي خجازي: مدخل إلى علم اللغة ، ص ٢٦ .

(٢) يوحين . اى . نيدا: نحو علم الترجمة، ترجمة: ماجد النجار، ص ٧٦.

(٣) انظر: د. البدر اوى زهران: علم اللغة التطبيقي في المجال التقابلي.

مستويات البحث اللغوى

يتناول البحث اللغوى الحديث كل المستويات اللغوية: الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية. وهذا التقسيم لتيسير الدراسة والفهم لجوانب اللغة، أما واقع اللغة المنطوق فلا يعرف هذا التقسيم، فالكلام المنطوق تتكامل فيه كل هذه المستويات، وتأتى دفعة واحدة. وفيما يلي شيء من التوضيح لكل مستوى من مستويات البحث اللغوى:

(١) المستوى الصوتى :

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى الأصوات- التى يتكون منها الكلام- باعتباريات مختلفة:

الاعتبار الأول: أنها وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقها، وهو ما يهتم به علم "Phonetics"، ويهتم هذا العلم ببيان مخرج كل صوت وطريقة نطقه وصفة الصوت، وذلك دون ربطه بالمعنى، ويشمل هذا العلم ثلاثة أنواع^(١) من دراسة الصوت اللغوى:

أ - علم الأصوات النطقى:

الاهتمام هنا بالعنصر الأول لعملية النطق، وهو المتحدث، ف يتم دراسة المخارج. وهذا الفرع هو أقدم فروع الدراسة الصوتية، وقد سجل هذا الجانب تقدماً ملحوظاً بفضل العلوم الطبية الحديثة، التى أدت إلى الكشف عن طبيعة أعضاء النطق، وإن كان تصوير المخرج ساعة نطق الصوت بوساطة الأشعة، ورغم هذا التقدم يعترض البحث- فى هذا العلم- بعض المحاذير، حيث إنه لا يمكن التحريب على الإنسان.

(١) د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة، ص ٣٨.

ب - علم الأصوات الفيزيائي:

والاهتمام هنا ينصبُّ على الوسط الذي ينتقل فيه الصوت، وطبيعة الأصوات نفسها. والتقدم في هذا الجانب كبير، ولا تقف في طريقه عقبات أو محاذير كالجانب الأول.

ج - علم الأصوات السمعي:

يتوجه الاهتمام في هذا العلم إلى العنصر الثالث في عملية الكلام، وهو السامع أثناء تلقي الأصوات، وتحديد أى الأصوات أكثر إسماعًا وأبها أقل، وهكذا...

الاعتبار الثاني: هو دراسة الصوت باعتباره وحدة في نسق صوتي، ويهتم به علم "Phonology"؛ حيث يربط بين الصوت وطرق تشكيله ووظائفه، فربط الصوت بالمعنى من أهم سمات هذا العلم، ويهدف البحث الفونولوجي إلى تحديد العناصر الصوتية المكونة للكلمة، في ضوء التمييز الموضوعي بين الوحدة الصوتية *Phneme*، والصورة الصرفية *Allophone* على أساس التقابل الدلالي؛ فالفرق بين (نال) و (قال) فرق صوتي متمثل في الوحدة الصوتية "ن" والوحدة الصوتية "ق"، وهو فرق يؤثر في المعنى، في حين أن تعدد درجات الاختلاف في وحدة صوتية مثل: "اللام" بين درجات التفخيم والترقيق في السياقات الصوتية المختلفة كل هذه الدرجات تعد صوراً صوتية *Allophone* لا تؤثر في المعنى.

وكلا العلمين "*Phonetics*"، و "*Phonology*" يتكاملان.

ومن ثمرات علم اللغة الحديث دراسة أسلوب تتابع الأصوات المفردة لتكوين المقاطع *Syllables*، فكل لغة لها نسقها الخاص في تكوين المقطع، ويرتبط بدراسة المقطع دراسة النبر *Stress*، ويقصد به درجات ارتفاع الصوت؛ حيث تتباين المقاطع

في درجة ارتفاع الصوت، ويأخذ التنغيم الصوتي *Inotnation* للكلمات وأثره في المعنى دوراً بارزاً في الدراسة الصوتية الحديثة.

كما يهتم الدرس الصوتي الحديث بدراسة التغيرات الصوتية، على تنوعها وتصنيفها؛ لمعرفة نسق كل لغة في هذه التغيرات الصوتية.

أهم اتجاهات البحث الصوتي في علم اللغة الحديث

فيما يلي إشارة موجزة لأهم اتجاهات البحث الصوتي في علم اللغة الحديث:

(١) علم الأصوات الوصفي:

ومن أهم قضاياها: البحوث الخاصة بالللهجات العربية الحديثة، وقد أُنجزت عدة رسائل في هذا الشأن، بالجامعة الأمريكية.

(٢) علم الأصوات التاريخي:

ومن أهم قضاياها: بحث التغير الصوتي في لغة بعينها، في أزمنة مختلفة.

ويُصنّف التغير الصوتي وفق معايير متنوعة:

أ- التغير في الصوت المفرد: مثل التغير الذي حدث في صوتي "الطاء" و"القاف" في العربية^(١).

ويدخل في هذا القسم: الصوامت، والحركات (قصيرة وطويلة).

ب- التغيرات الصوتية المقيدة (المشروطة) سياقياً، ومنها:

١- المماثلة: كما في صيغة (افتعل):

(١) راجع: ص ٧١ من هذه الدراسة.

اضطرب ← اضطرب

اصطنع ← اصطنع

تحولت التاء إلى طاء لمماثلة الحرف المجاور لها (الضاد والصاد) في صفة التفخيم.

٢- المغايرة: كما في: كَيْل ← كعبل.

٣- القلب المكاني: نحو: مسرح ← مرسح.

أرانب ← أنارب.

مع مراعاة أن يكون التصنيف للأصوات وفق مجموعات صوتية واحدة: أسنانية-
لثوية ... إلخ، ومراعاة الخصائص الصوتية: مهموس- مجهور... إلخ.

ثم في داخل كل هذه التصنيفات ينبغي تحديد موقع التغير الصوتي الحادث في
الكلمة: هل هو في أول الكلمة، أم في وسطها، أم في آخرها؟

أيضاً من الأمور التي يجب مراعاتها: مراعاة سياق التغير: هل حدث بتأثير الصوت
السابق، أم بتأثير الصوت اللاحق؟

(٣) علم الأصوات المقارن:

ومن أهم قضاياها بحث الأصوات في إطار أسرة لغوية واحدة، وما كتبه
بروكلمان عن "علم اللغات المقارن في اللغات السامية" يعد مثلاً واضحاً ودقيقاً
في هذا الصدد.

(٤) علم الأصوات التقابلي وتحليل الأخطاء:

ومن أهم قضاياها هذا العلم: الدراسة الصوتية لهجة العامية في مقابل اللهجة
الفصيحة. والدراسة الصوتية للغة ما في مقابل لغة ثانية يراد تعليمها لأبناء اللغة الأم،
ومن الجوانب التطبيقية في الدراسة الصوتية: دراسة عيوب النطق التي تعود لسبب

لغوى، مع وضع الحلول للتغلب عليها. كذلك ما يخص جوانب الأداء الصوتي، بوجوه المختلفة، والأمر هنا خاص بالأصوات المفردة، ومواضع النبر، والتنغيم، والوقف... إلخ.

(٢) المستوى الصرفي:

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى الكلمة خارج التركيب، فيدرس صيغ الكلمات من حيث بناؤها، والتغيرات التى تطرأ عليها من نقص أو زيادة، وأثر ذلك فى المعنى. والبحث اللغوى الحديث يتعامل مع مسائل الصرف على أساس صوتى بدلاً من اعتماد القدماء على الكتابة فى تحديد الكلمة؛ فكل مجموعة من الحروف تكتب مجتمعة وتأخذ شكلاً مستقلاً فى الكتابة اعتبرها القدماء كلمة، فى حين يتعامل البحث اللغوى الحديث مع الوحدة الصرفية *Morpheme*.

أيضاً من الحقائق التى أنجزها علم اللغة الحديث تحليل الأنماط الصرفية الخاصة بكل لغة أو لهجة، بقصد الوصول إلى أسلوب كل لغة فى بناء كلماتها. كما يهتم علم اللغة الحديث بدراسة التغيرات الصرفية التى تطرأ على بناء الكلمة لاعتبارات صوتية.

(٣) المستوى التركيبى :

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى دراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء فى هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء فى الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية.

يضاف إلى هذا عناية البحث اللغوى الحديث على مستوى التركيب *Syntactic* بدراسة التراكيب الصغرى، مثل: المضاف والمضاف إليه، النعت والمنعوت، تركيب الفعل مع حرف الجر أو الظرف، التعبيرات السياقية، التعبيرات الاصطلاحية.

وأهم فرق في بحث الجملة بين القدماء والمحدثين هو تخلص المحدثين من التأثير بنظرية العامل، واتجاههم إلى دراسة الوصفية لعناصر الجملة، التي تعتمد على الواقع المنطوق، ومعرفة دور هذه العناصر في المعنى؛ ومن هنا أصبح تفسير الظواهر النحوية يقوم على أساس وصفى بدلاً من الاعتماد على المنطق والتأويلات التي تخرج باللغة من إطارها إلى علوم ومجالات أخرى.

(٤) المستوى الدلالي :

يتناول البحث اللغوي في هذا المستوى دراسة المعنى بكل جوانبه: (المعنى الصوتي وما يتصل به من نبر وتنغيم، والمعنى الصرفي، والمعنى النحوي، والمعنى المعجمي، والمعنى السياقي)؛ وذلك لأن المعنى اللغوي هو حصيلة هذه المستويات كلها.

ومع دراسة المعنى وجوانبه يهتم البحث الدلالي بالقضايا التالية:

تغير المعنى، وأسباب هذا التغير، ومظاهر هذا التغير، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وصناعة المعجمات بأنواعها.

العلاقة بين المستويات عند القدماء والمحدثين:

أ - عند القدماء:

حدث خلط واضح عند القدماء بين المستويات اللغوية^(١)، بالإضافة إلى أنه لم تتوفر لديهم نظرة متكاملة للعلاقة بين المستويات اللغوية، اللهم إلا هذه المسائل المتفرقة التي تبدو فيها بعض ملامح الربط بين المستويات، من ذلك ما نجده عند سيبويه حين فسّر ظاهرة الإدغام تفسيراً صوتياً، لكن الإدغام صورة واحدة من صور الإبدال. ولقد أطلق القدماء وبخاصة في القرون الأولى من الهجرة، وبالتحديد مع بداية القرن

(١) راجع في هذا المعنى بتوسع: د. كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث، ص ١٤٩.

الثاني الهجرى، على المستويات اللغوية اسمين اثنين هما: النحو، وعلوم العربية^(١)، والنحو - كما في تعريف ابن جنى - هو: " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتصغير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة "^(٢).

ورغم جمع العلمين (النحو والصرف) في كتاب واحد، ورغم اختلاط مسائل دراسة الصرف والنحو في القلم، إلا أن الحقيقة التي ينبغي تأكيدها: هي عدم إقامة القدماء علاقة واضحة بين العلمين، بحيث تفيد المستويات اللغوية بعضها من بعض مما يساعد على تحليل كثير من الظواهر اللغوية المختلفة.

وميّز المتأخرون بين المستويين: المستوى النحوى، والمستوى الصرفى، وظهر مصطلح "الصرف" عند السكاكى (ت ٦٢٦هـ) عند حديثه عن الأحكام الخاصة ببنية الكلمة في كتابه "مفتاح العلوم"^(٣).

ب - عند المحدثين:

يتعامل البحث اللغوى الحديث مع المستويات اللغوية، على أنها متكامل؛ فكل مستوى يرتبط بالآخر ويفيد منه، ولا يجوز الفصل بينها أو الاكتفاء بواحد منها في معالجة أى قضية لغوية، وذلك لأن النص اللغوى كلٌّ لا يتجزأ^(٤). فالصرف يعتمد على الأصوات فى كثير من مسائله، ومن أظهر الأمثلة على ذلك: ظاهرة الإعلال والإبدال. والنحو يعتمد على الأصوات والصرف معاً، وتعمل المستويات كلها لخدمة المعنى؛ إذ هو الهدف الأساسى من النص.

(١) د. محمود فهمى حجازى: علم اللغة العربية: ص ٦٠.

(٢) ابن جنى : الخصائص ٣٤/١.

(٣) د. محمود فهمى حجازى: علم اللغة العربية، ص ٦٤.

(٤) راجع: د. كمال بشر: التفكير اللغوى بين القدم والجديد، ص ١٤٩.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

الفصل الخامس

أصوات العربية

بين النظرية والتطبيق

الأصوات اللغوية في العربية

يميز العلماء قديماً وحديثاً بين نوعين من الأصوات:

١- **الصوائت:** وتعرف في العربية بالحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)، بالإضافة إلى أصوات المد (ألف المد، وياء المد، وواو المد)، ويطلق عليها حديثاً "الحركات الطويلة".

٢- **الصوامت:** وأطلق عليها العرب مصطلح (الحروف الأصول)، وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتاً، يدخل فيها الواو غير المدة، والياء غير المدة.

أولاً : الصوائت:

للقدماء حس مرهف بهذا التمييز، حيث أطلقوا على مخارج حروف المد: المخرج المقدر، أو الجوفية، أو الهوائية، والذي أضافه المعاصرون هو تحديد ملامح إضافية تميز مخرج كل حركة من الحركات (الفتحة، والضمة، والكسرة) من خلال تحديد موضع اللسان وموضع الشفتين أثناء النطق بكل حركة، ويلحق بذلك: ألف المد، وياء المد، وواو المد.

فالفتحة، وألف المد: يكون وسط اللسان هو الجزء الأعلى.

والضمة، وواو المد: يكون آخر اللسان هو الجزء الأعلى مع أخذ الشفتين شكل الاستدارة تقريباً.

والكسرة، وياء المد: يكون أول اللسان هو الجزء الأعلى.

والحق أن هذه الملامح التي أضافها المعاصرون لم تكن خافية على القدماء، بل هي حاضرة في الجانب الشفهي عندهم، ولعلمهم اكتفوا بجانب التلقى دون الكتابة،

بسبب أن القرآن الكريم قائم على التلقى الصوتى والمتابعة الحية من لحظة نزوله على رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ القيامة / ١٨ .

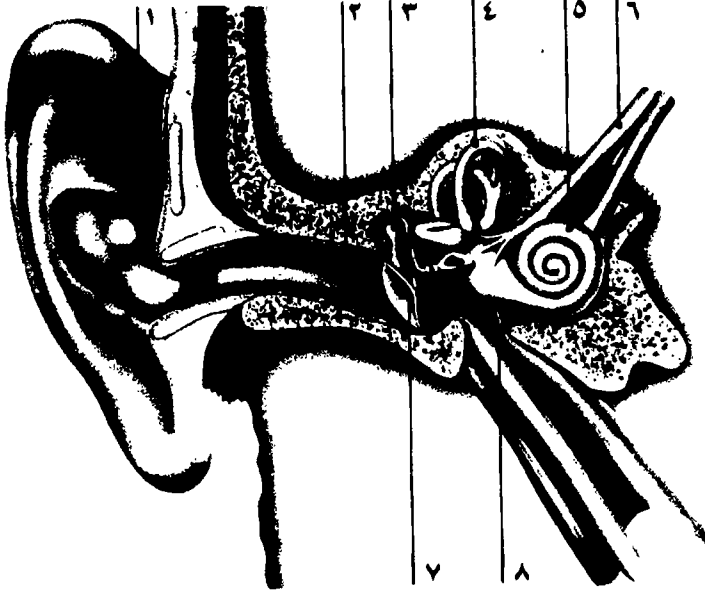
ثانياً: الصوامت:

هى الحروف (الأصوات) الصامتة، وهى التى تقبل حركة من الحركات، ويرجع اختلاف المحدثين عن القدماء فى وصف هذه الأصوات إلى تقدم علم التشريح وعلم الأصوات التجريسي ، مما أتاح للمحدثين تفاصيل أكثر دقة، فمَيَّزُوا بين الحلق والحنجرة واللهاة، وقد سجل القدماء حسهم الدقيق بهذه التفرقة حيث مَيَّزُوا بين أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق.

السمع

يشترك في إنجاز عملية السمع أعضاء عديدة، مثل: الأذن الخارجية والأذن الوسطى، والأذن الداخلية، كذلك الجزء الخاص بعملية السمع^(١) في المخ.

رسم جهاز السمع



- ١ - الأذن الخارجية
- ٢ - القناة السمعية
- ٣ - العظام السمعية
- ٤ - القنوت الهلالية
- ٥ - العزلون
- ٦ - عصب السمع
- ٧ - غشاء الطبلية
- ٨ - قناة استاكيوس

ويعتبر السمع^(٢) أم الملكات الإنسانية لعظيم تأثيره في اكتساب المعارف الإنسانية وقد جاء في القرآن الكريم في مقدمة الحواس الإدراكية، قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ ﴾ الملك/٢٣.

(١) راجع: د. وفاء البيه: أطلس أصوات اللغة العربية، ص ١٦٣.

(٢) المتأمل لأهمية السمع يرى أن كثيراً من المعارف والثقافات وعمليات الفهم والإدراك، يلعب

السمع فيها دوراً بارزاً، وبخاصة الغيبات.

مجال إدراك الصوت:

استطاعت التقنية الحديثة قياس الشدة والتردد وغيرها من الخصائص الفيزيائية في الموجات الصوتية، كذلك قياس إدراك الصوت.

ويتحدد مجال إدراك الصوت بالأذن البشرية بين حد أدنى للتردد يقدر بحوالى (٢٠) عشرين ذبذبة في الثانية، ويحد أعلى للتردد يقدر بحوالى (٢٠٠٠٠) عشرين ألف ذبذبة في الثانية، والأصوات التي يكون ترددها أقل من الحد الأدنى لا تدرکها الأذن البشرية، والأصوات التي يكون ترددها أعلى من الحد الأعلى لا تميزها الأذن.

مع تأثر مدى إدراك الصوت بالأذن بعوامل عديدة مثل: المرض، والشيخوخة والعوامل النفسية؛ كالخوف الشديد، ونحو ذلك.

= كما أن السمع أسبق نشأة من الكلام، وتمتع حاسة السمع بمميزات لا تتأتى للحواس الأخرى: (البصر، واللمس، والشم .. إلخ)، حيث تعمل حاسة السمع في الليل والنهار، وعبر المسافات البعيدة.

ولإدراك خطورة حاسة السمع وأهميتها يكفى المقارنة بين إنسان أعمى وآخر أصم؛ فالنبوغ عند فاقدى البصر كثير، بينما نراه نادراً جداً بين الصُّمِّ، حتى وإن كانوا مبصرين.

والعملية الكلامية تدين للسمع في كثير من جوانبها:

● فبدون السمع لن يستطيع الإنسان أن يكتسب الأصوات اللغوية، فالأصم لا يكتسب مهارة الكلام كمن هو متمتع بسمع جيد.

● وبدون السمع لن نستطيع أن نحدد صحة الصوت اللغوى عند النطق به وأنه استوفى صفاته من التفخيم أو الترقيق، والهمس أو الجهر ... إلخ.

● وبدون السمع لن نستطيع أن نحدد الدرجة المناسبة لارتفاع الصوت أثناء الكلام حتى لا يكون الكلام خفيضاً لا يسمع بوضوح، وحتى لا يكون الكلام صياحاً يؤذى الأذن ويسبب الإزعاج والتشويش.

تصنيف الأصوات حسب قوة الإسماع

كما صنف العلماء الأصوات اللغوية على حسب المخرج، هناك فريق من العلماء صنفوا الأصوات اللغوية حسب قوة الإسماع.

فبدراسة ملمح قوة الإسماع للأصوات اللغوية المختلفة، يوصف الصوت الذي يسمع من أبعد مسافة بأنه أقوى الأصوات إسماعاً، في حين أن الصوت الذي لا يسمع إلا من أقصر مسافة من المتكلم يكون أضعف الأصوات إسماعاً.

وفي العربية تأتي الحركات القصيرة (الفتحة، والكسرة، والضمة)، والحركات الطويلة- التي يطلق عليها القدماء مصطلح حروف المد (ا، و، ي) - في قمة المنحنى لقوة الإسماع، في حين أن الصوت الصامت (الحرف الذي يقبل حركة) يظل صامتاً ولا يخرج إلى حيز الوضوح السمعي إلا بواسطة (حركة)، ومن هنا سميت الحركة بالصائت، أى: التي تجعل الصامت يصوت ويكُون له قوة الوضوح السمعي. والخصائص السماعية لأصوات العربية^(١)، يمكن تركيزها في الخلاصة التالية:

(١) أصوات عديمة الإسماع: وهى الأصوات الانفجارية المهموسة، مثل: صوت الكاف وصوت التاء، في العربية.

(٢) أصوات قوة إسماعها درجة واحدة: وهى الأصوات الانفجارية المجهورة مثل: أصوات: الجيم، والطاء، والهمزة، والباء والذال، في العربية.

(٣) أصوات قوة إسماعها درجتان: وهى الأصوات الاحتكاكية المهموسة وتتفاوت قوة إسماعها حسب قوة الكلام، مثل: صوت السين، وصوت الفاء وصوت الهاء، في العربية.

(١) راجع: د. عبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة، ص ١٣٤،

د. سعد مصلوح: السمع والكلام، ص ٣١٣، ٣١٤.

(٤) أصوات قوة إسماعها ثلاث درجات: وهى الأصوات الاحتكاكية، مثل: صوت الزاى، وصوت الذال، وصوت الضاد، وصوت الغين، فى العربية.

(٥) أصوات قوة إسماعها أربع درجات: وهى الأصوات الأنفية والجانبية والمجهورة، مثل: صوت الميم، وصوت النون، وصوت الراء فى العربية.

(٦) أقوى الأصوات إسماعاً: وهى أصوات الحركات وحروف المد، ولذلك سميت صوائت، كما سبقت الإشارة.

والذى ينبغى الإشارة إليه هنا فى هذه الخلاصة التى تميل إلى جانب التطبيق أكثر من ميلها إلى الجانب النظرى هو أن مهارة الأداء الصوتى تبدأ بالسمع الجيد، الذى يدرك صفات أصوات الحروف المنطوقة بدقة ووضوح، ويستطيع أيضاً أن يميز الفروق الصوتية الدقيقة بين أصوات الحروف متقاربة المخرج متشابهة الصفات، مثل: التمييز بين: (ق - ك)، (ت - ط)، (ث - س)، (ز - ذ).

وهذا يدفعنا إلى الوعى بأهمية وجود نماذج تُتخذ أسوة وقدوة كمصادر للسمع الجيد؛ كى يتربى عند المستمع الحس السمعى المريف، ويحدث اختزان فى المخ للملامح المميزة لصوت كل حرف من الحروف، فإذا ما حاول الإنسان التكلم كان فى الذهن نموذج ناجح يتخذه مثالاً يحتذيه، فتأتى محاولة النطق قريبة من هذا المثال قريباً يضمن لها النجاح، أو تأتى مطابقة له؛ فىكون لها التفوق والانطلاق، وقد تتجاوزها بملامح جمالية فوق مستوى الصحة المطلوب.

وبشأن أصوات اللغة العربية، فإننا نتمتع بوجود نموذج مثال له القمة فى الصحة والجمال والإبداع، بل والإعجاز، إنه القرآن الكريم، حيث يتم تلقى القرآن من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة، مع وجود المعايير والضوابط التى تضمن صحة النطق وتحفظها فى إطار متناسق، ومجال أحكام التلاوة القرآنية يقوم بهذه المهمة.

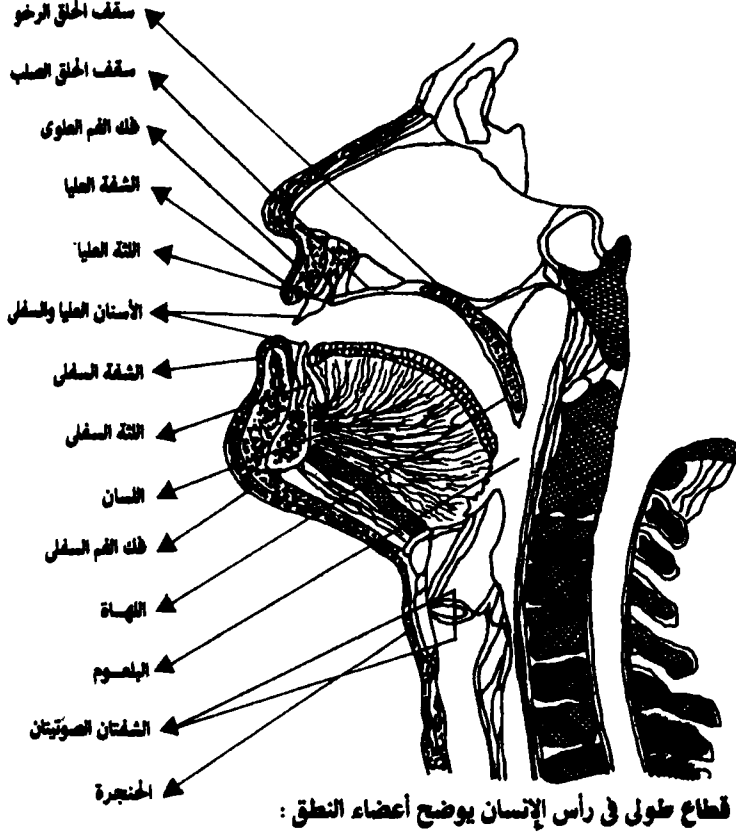
وبالإضافة إلى هذه القمة والمثال المعجز، هناك في كل عصر متحدثون فصحاء
نبهاء يُشهد لهم من أهل اللغة والأداء بكفاءتهم الصوتية المتميزة، فليتخذ
الطالب من هؤلاء الأفاضل مثلاً يُحتذى، يستمع إليهم، ويحاول أن يتلمس
هديهم في نسق النطق الصحيح، حتى تتحقق له مهارة الأداء.

جهاز النطق:

يشارك في إنتاج الصوت اللغوي أعضاء عديدة من جسم الإنسان: (الرتتان لإنتاج
تيار الهواء، والحنجرة، والحلق، واللسان، والشفة، والأسنان،
والشفتان، والخيشوم)، وقبل هذا كله؛ هناك المخ حيث يوجد مركز السيطرة الذي
ينظم عملية النطق ويحدد درجة الصوت المطلوب، وكل ما يتصل به من صفات،
وهذه الأعضاء منها الثابت؛ مثل الأعضاء التي بالفك العلوي، ومنها المتحرك؛ مثل
الأعضاء التي بالفك السفلي، وعضلة اللسان، واللسان التي عند الحنجرة.

انظر الشكل التوضيحي لجهاز النطق في الصفحة التالية:

جهاز النطق*



* الرسم مأخوذ من: د. وفاء البيه، أطلس أصوات اللغة العربية: ص

.١١١٢

مخارج الأصوات الصامتة:

ومخارج الأصوات الصامتة في العربية ستة عشر، بيانها كالآتي:

المخرج الخاص (المحدثون)	الصوت	المخرج الخاص (القدماء)	المخرج العام
الحنجرة — ^(١) اللهة	ء، هـ ع، ح غ، خ	أقصى الحلق وسط الحلق أدنى الحلق	الحلق
—	ق	أقصى اللسان مما يلي الحلق	اللسان ويشمل عشرة مخارج خاصة
—	ك	أسفل أقصى اللسان	
—	ج، ش، ى	وسط اللسان مع الحنك الأعلى	
—	ض	الحافة الخلفية للسان عند محاذاة الأضراس	
—	ل	الحافة الأمامية للسان	
—	ت، د، ط	ظهر طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	
—	ث، ذ، ظ	ظهر طرف اللسان مع رؤوس الثنايا العليا والسفلى	

(١) وضع شرطة أفقية في خانة المحدثين يعني: نفس المخرج عند القدماء .

—	ن	طرف اللسان تحت مخرج اللام مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا	تابع اللسان
—	ر	طرف اللسان مائلاً إلى ظهره مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا	
—	ص، ز، س	طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا	
—	ف	بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا	الشفتان
—	ب، و، م	ما بين الشفتين	
—	الغنة بمراتبها المختلفة	التجويف الأنفي	الخيشوم

صفات الأصوات

يقصد بصفات الأصوات: الخواص والملامح المميزة لكل صوت، من همس أو جهر، وشدة أو رخاوة، واستعلاء أو استفال، وإطباق أو انفتاح، وغير ذلك من الصفات التي تحدد الحالة التي يكون عليها الصوت عند النطق به.

ورحم الله القدماء من علماء الأمة الأوائل؛ فقد كان لهم بصر وبصيرة بصفات الأصوات العربية، وبحسهم اللغوي المرهف استطاعوا تحديد معظم صفات الأصوات العربية بدقة ووضوح.

ومع القفزات الواسعة للعلم التجريبي في المجال الصوتي أتيح لعلماء العربية في العصر الحديث الإفادة من علم الأصوات التجريبي *Experimental Phonetics* في تحديد صفات الأصوات بصورة دقيقة وواضحة؛ مما يعطينا ضوابط ومعايير تساعدنا على نطق صوت كل حرف نطقاً صحيحاً، كما يصون اللسان من الخلط بين أصوات الحروف المتشابهة لتقاربها في المخرج.

أولاً: الصفات التي لها ضد:

(١) الهمس والجهر:

صفتان متخالفتان بحسب اهتزاز الأوتار الصوتية، فالجهر صفة ناتجة عن تذبذب واهتزاز الأوتار الصوتية خلال النطق بصوت معين، في حين أن الهمس صفة ناتجة عن عدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت.

ويمكن إدراك الفرق بين الصوت المهموس والجهور عند النطق، بوضع اليد على مقدم الرقبة أو الجبهة، أو وضع أصبعين، كل أصبع في أذن، حيث نسمع صدى واضحاً لاهتزاز الأوتار الصوتية في الأصوات المجهورة، كما في صوت (ز) مثلاً، في حين أننا لانسمع هذا الصدى ولا الطنين في حالة الأصوات المهموسة، كما في صوت (س) مثلاً.

وتتوزع حروف الهجاء العربية بين الهمس والجهر على النحو التالي:

(أ) الأصوات المهموسة: ثلاثة عشر صوتاً؛ هي: (ء ، ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ).

وتجمع في قولنا: (أقط، فحته، شخص، سكت).

ويلاحظ هنا زيادة ثلاثة أحرف على ما ذكره القدماء، هي: (ء ، ق ، ط)،

وتفسير ذلك يكون بأحد احتمالين:

الأول: تطور صوتي: القاف والطاء في النطق العربي مع توالي القرون.

الثاني: عدم دقة القدماء في تحديد صفة الهمس والجهر بسبب عدم معرفتهم بالوترين الصوتيين، ويتأكد لنا ذلك بتأمل تعريف سيبويه وابن الجزرى للصوت المهموس بأنه: كل حرف جرى معه النفس بسبب ضعف الاعتماد على المخرج^(١)، وعلى هذا المعيار (معيار جريان النفس) تكون الحركات (الصوائت) في مقدمة الأصوات المهموسة، لخروجها مع تيار هواء طليق لا يعترضه شيء.

لكن الحركات (الصوائت) أصوات مجهورة عند سيبويه وابن الجزرى وسائر القدماء والمحدثين أيضاً.

أما صوت الهمزة فلم تكن صفاته واضحة لدى القدماء بسبب نقص معرفتهم التشريحية للحنجرة والحلق وغيرهما.

(ب) الأصوات المجهورة: وتضم خمسة عشر صوتاً، هي باقى أصوات العربية بعد استبعاد الأصوات المهموسة:

(ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي).

(٢) الشدة والرخاوة والتوسط والتركيب:

معيار الشدة والرخاوة يرجع إلى درجة الاعتراض لتيار هواء الزفير.

ومعيار التوسط خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك.

ومعيار التركيب المزج بين صوتين. وفيما يلي تفصيل لهذه الصفات:

(١) سيبويه، الكتاب: ٢/٢٨٤، ابن الجزرى: النشر في القراءات العشر: ١/٢٠٢.

(أ) الشدة (الانفجارية) :

يقصد بها خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، أى أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضاً تاماً، وحروف الشدة ثمانية، هي: (ء، ب، ت، د، ض، ط، ق، ك)، وتجمع في قولنا: (أطلق ضد بكت)، والقدماء يضمون إلى هذه الأصوات الشديدة صوت "الجيم المعطشة"، والصواب أنها صوت مزجى مركب من انفجارى واحتكاكى، أى هو صوت مزدوج.

(ب) الرخاوة (الاحتكاكية) :

يقصد بها خروج الصوت مستمراً في صورة تسرب للهواء محتكاً بالمخرج، أى أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضاً متوسطاً، وحروف الرخاوة هي: (ث، ذ، ظ، ح، ع، م، هـ، خ، غ، ش، س، ز، ص).

(ج) التوسط :

يقصد به خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك عند المخرج، ولذلك أطلق عليها الأصوات المائعة، وهى: (الراء، اللام، الميم، النون) وتجمع في قولنا: (لن مر). والقدماء يضمون إلى الأصوات المتوسطة حرف العين (لن عمر)، في حين أن النطق المعاصر لها يجعلها ضمن الأصوات الرخوة؛ لاحتكاك الهواء بأقصى الحلق، فهى (أى العين) تماثل صوت الحاء فى الرخاوة، والصفة المميزة بينهما هى الهمس أو الجهر، فالعين مجهورة فى حين أن الحاء مهموسة.

(د) التركيب:

ويقصد به أن يكون الصوت مزيجاً من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك)، وهي صفة خاصة بحرف "الجيم المعطشة"، كما تنطق في تلاوة القرآن الكريم.

والتعطيش يعني أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين وسط اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى (الغار)، ثم ينفرج فجأة، ولما كانت المساحة التي يشغلها اللسان من الحنك الأعلى كبيرة نسيباً، إذا قيست بالاحتباس عند اللثة مثلاً، فإن انفصال ظهر اللسان عن الحنك الأعلى لا يحدث متزامناً؛ وبذلك يتخلف أثر احتكاكي يقويه الناطق بعض التقوية لتكون الجيم مركبة من بعض الشدة وبعض الرخاوة، ولذلك جرى رسم هذه الجيم في الكتابات الأجنبية برمزين هما: (*dj*)، فالرمز (*d*) لقيمة الشدة، والرمز (*j*) لقيمة الرخاوة^(١).

(١) برتيل الملمرج: علم الأصوات، ترجمة ودراسة د. عبدالصبور شاهين، ص ١١٤.

(٣) الإطباق والانفتاح:

معيار الإطباق والانفتاح هو وضع اللسان عند النطق بالصوت.

أ- الإطباق:

يُقصد بالإطباق وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينطبق اللسان على الحنك الأعلى، آخذاً شكلاً مقعراً، بحيث تكون النقطة الخلفية هي مصدر الصوت في حالة الإطباق، وحروفه هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.
ويتولد عن الإطباق صفة التفخيم لصوت الحرف المطبق.

ب- الانفتاح:

هو أيضاً وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث يفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى ويخرج الهواء من بينهما، وتكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصوت.

وحروف الانفتاح هي باقى حروف الهجاء، بعد إسقاط حروف الإطباق الأربعة.

(٤) الاستعلاء والاستفال :

معيار الاستعلاء والاستفال هو نفس معيار الإطباق والانفتاح ، والفرق بين الإطباق والاستعلاء هو وضع اللسان، فيكون الإطباق بارتفاع اللسان حتى ينطبق على الحنك الأعلى، في حين أن الاستعلاء يحدث بارتفاع اللسان إلى أعلى، لكن دون انطباق على الحنك الأعلى.

والعلاقة بين الإطباق والاستعلاء علاقة عموم وخصوص، فكل مطبق مستعلٍ وليس العكس.

أ - الاستعلاء:

صفة لبعض الأصوات الحلقية، وهي: "القاف والغين والحاء"، حيث يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظاً مفخماً.

وحروف الاستعلاء هي: "خص ضغط قظ"، وهذه الحروف تشمل حروف الإطباق الأربعة: "ص، ض، ط، ظ"، فبين الاستعلاء والإطباق علاقة عموم وخصوص، وإن كان المحدثون يميزون بينهما، فالعلاقة علاقة تمايز وتباين ويتولد عن صفة الاستعلاء صفة التفخيم.

ب - الاستفال:

وفيه يكون وضع اللسان أسفل في قاع الفم، وذلك في بقية أصوات الحروف العربية بعد استبعاد أصوات الاستعلاء.

(٥) التفخيم والترقيق:

صفتان متخالفتان بحسب غلظ الصوت، فالصوت الغليظ هو الصوت المفخّم وهي صفة متولدة عن صفتي الاستعلاء والإطباق، فجميع أصوات الاستعلاء والإطباق مفخّمة دائماً في العربية، وهي: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق).

وقد يأخذ التفخيم درجات من القوة على حسب السياق الصوتي الذي يرد فيه، وهناك أصوات أخرى في العربية تفخّم في سياقات صوتية وترقّق في سياقات أخرى، وهذه الأصوات هي: اللام والراء.

مواضع تفخيم الراء وترقيقها:

الراء مفخمة في أغلب سياقاتها، وذلك إذا كانت مفتوحة، أو مضمومة، أو ساكنة بعد فتح أو ضم، كما في: (رَبِّ، رُوح، بَرْد، قُرْط)، أما الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فترقق؛ كما في: (رِسَالَة، فِرْعَوْن).

مواضع تفخيم اللام وترقيقها:

اللام مرققة دائماً إلا في لفظ الجلالة فإنها تُفخَّم إذا سبقها مفتوح أو مضموم؛ كما في: (مِنَ اللَّهِ، فَضْلُ اللَّهِ)، فإذا سبقها مكسور رقت؛ كما في: (بِاللَّهِ).

الأصوات المرققة:

بعد استبعاد الأصوات المفخمة (الإطباق، والاستعلاء) وحالات تفخيم اللام والراء، فإن باقى أصوات العربية مرققة.

(٦) الإذلاق والإصمات:

الإذلاق من الذَّلَق، ومعناه: الطرف، ومنه أطلق مصطلح الإذلاق على الأحرف التي تخرج من طرف اللسان: (ل، ن، ر)، والتي تخرج من طرف الشفة: (ب، ف، م). وتتميز أصوات هذه الأحرف بخروجها في سهولة ويسر.

والإصمات لغة: هو المنع، واصطلاحاً: ثقل نسي في النطق بحروف العربية المتبقية بعد استبعاد أحرف الذلاقة.

وللقدماء ملاحظتان بشأن صفتي الإذلاق والإصمات:

الأولى: شيوخ أحرف الذلاقة بدرجة أكبر من شيوخ حروف الإصمات في كلمات العربية.

الثانية: منع انفراد حروف الإصمات في كلمة من كلمات العربية الرباعية أو الخماسية، فكل كلمة عربية على أربعة أو خمسة أحرف لا بد أن يكون فيها مع الأحرف المصمتة حرف أو أكثر من حروف الذلاقة.

ومن هنا قال اللغويون بأعجمية كلمة (عسجد)^(١)؛ لأنها رباعية وختلت من أحرف الذلاقة.

ثانياً: الصفات التي لا ضدها:

١- الصَّفِير:

يقصد به شدة وضوح الصوت في السمع، بسبب الاحتكاك الشديد في المخرج، فيخرج الصوت مصحوباً بدرجة من الصفير، وأصواته ثلاثة: (الصاد، الزاي، السين).

٢- التكرير:

صفة خاصة بالراء، وينبغي الحذر من المبالغة في تكرار الراء بتوالي ضربات اللسان مما ينشأ عنه راء مكررة، وليس صوت الراء المطلوب ظهوره.

٣- التفشى:

هو صفة ناتجة عن وضع اللسان عند النطق بالشين، حيث يشغل مخرجها مساحة كبيرة ينتج عنه انتشار الهواء في الفم، فلا ينحصر مرور الهواء في مخرج الشين فقط، ولولا هذا التفشى لصارت الشين سيناً.

(١) عسجد. معني: ذهب.

٤ - اللين:

اللين صفة لصوتى الواو والياء حال سكونهما، ويكون ما قبلهما مفتوحاً؛ كما فى: (خَوْف، بَيْت).

٥ - القلقة:

وهى صفة خاصة بتلاوة القرآن الكريم، وتكون فى أصوات: (ب، ج، د، ط، ق)، المجموعة فى كلمتى: (قطب جد)، بشرط أن تكون هذه الأصوات ساكنة، ولها مراتب ثلاث.

٦ - الاستطالة:

وهى صفة خاصة بصوت الضاد، والمراد بها استطالة المخرج واتصاله بمخرج اللام الجانبية، ويتبع استطالة المخرج استطالة الصوت، حيث يستغرق زمناً أكبر.

ظواهر صوتية

المقطع Syllable:

هو وحدة صوتية مكونة من عدد من الحروف والحركات تتصف بالتماسك النطقى، ويصنف المقطع بحسب اعتبارين، هما:

(١) طول المقطع:

• فالمقطع القصير: لا يزيد على صوتين؛ مثل: المقاطع الثلاثة: (ك، ت، ب) فى الكلمة: كتب.

• والمقطع المتوسط: يشتمل على ثلاثة أصوات فى مثل: (يَدُّ، دَمُّ)، أو صوتين، أحدهما حركة طويلة (حرف مد) فى مثل: "فا، دا" من الكلمتين: "فاهم، دارس".

• والمقطع الطويل: يشتمل على أربعة أصوات؛ كما في: "فَجْر" (ف + فتحة + ج + ر)، "رادّ" (ر + حرف الألف {حركة طويلة} + د + د + د).

أو يشتمل على ثلاثة أصوات أحدها حركة طويلة (حرف مد)؛ كما في: "لوم" من كلمة (معلوم)، "ثوب" من كلمة (مكتوب).

(٢) نهاية المقطع:

• مقطع مفتوح: إذا انتهى بحركة قصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة)، كما في: بَ (لعب)، بُ (يكتب)، بٍ في حرف الجر (بِ).

• مقطع مغلق: إذا انتهى بصوت حرف صامت (أى ليس بحركة ولا حرف مد) مثل المقاطع: "فَهْم، عَصْر، درس، عِلْم، فَن".

أنواع المقاطع في العربية:

تعرف العربية إجمالاً خمسة أنواع من المقاطع؛ هي:

النوع الأول: مقطع قصير مفتوح، وهو عبارة عن: صامت + حركة قصيرة مثل: "و، ك".

النوع الثاني: مقطع متوسط مفتوح، وهو عبارة عن: صامت + حركة طويلة (حرف مد) مثل: "يا، في".

النوع الثالث: مقطع متوسط مغلق، وهو عبارة عن: صامت + حركة قصيرة + صامت مثل: "بَل، هَل".

النوع الرابع: (أ) صامت + حركة طويلة (حرف مد) + صامت، مثل: "عاش، حال، نام".

(ب) صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل: "أمر".

النبر Stress :

يأتي النبر عند القدماء بمعنى الهمز؛ جاء في اللسان: "النبر همز الحرف"^(١).
ويأتي النبر عند المعاصرين بمعنى ارتفاع شدة الصوت ونغمته، مما يؤدي إلى وضوح نسبي لصوت أو مقطع بين الأصوات والمقاطع المجاورة له على مستوى الكلمة، فالصوت المنبور أو المقطع المنبور، يتطلب عند النطق به طاقة أكبر من بقية الأصوات أو المقاطع داخل الكلمة.

ولعل إشارات القدماء بمصطلح "مطل الحركة"^(٢) الذي ورد عند ابن جني، وأطلق عليه سيبويه: "إشباع الحركة"، قريب - بوجه ما - من دلالة النبر عند المعاصرين.

وتفيدنا دراسات اللغويين المعاصرين أن النبر في العربية مرتبط ببنية الكلمة، حيث يرتبط بالمقطع، فالكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال فيها للحديث عن مقطع منبور وآخر غير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائماً، ولكن قواعد النبر نحتاجها في الكلمة التي تحتوي على مقطعين فأكثر.

ويمكن ملاحظة موقع النبر داخل الكلمة من خلال الضوابط التالية^(٣):

١ - إذا توالى عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول فيها منبوراً، ففي كلمة: "كَتَبَ" نجد ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، أولها منبور.

٢ - إذا ضمت الكلمة مقطعاً طويلاً واحداً، يكون النبر على هذا المقطع الطويل؛ كما في كلمة: "كِتَابٌ"، نجد النبر على المقطع الثاني.

(١) لسان العرب: مادة (ن ب ر).

(٢) ابن جني، الخصائص: ٣ / ١٢٦ / ١٢٧.

(٣) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص ٤٨.

٣- إذا ضمت الكلمة مقطعين طويلين، يكون النبر على أولهما؛ كما في كلمة: "كاتب"، نجد مقطعين طويلين، أولهما مفتوح، والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول.

أمثلة من القرآن على الأخطاء في النبر وأثره في المعنى:

(١) قوله تعالى:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ القصص/٢٤ ، إذا قرئت كلمة "فسقى"

بنبر الفاء، يكون الفعل مشتقاً من "الفسق" لا من "السقى".

(٢) كذلك قوله تعالى:

﴿ فَكَسَتْ قُلُوبَهُمْ ﴾ الحديد/١٦ ، إذا قرئت كلمة "فكست" بدون نبر الفاء

صار الفعل مشتقاً من "الفقس"، لا من "القسوة".

(٣) وكذلك قوله تعالى:

﴿ بَيِّنَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ الزلزلة/٤ .

إذا تحول النبر عن اللام في "لها"، يجعل الكلمتين: "أوحى ، لها" كلمة

واحدة: "أوحالها"، بمعنى "الوحل"، وهذا نهاية فساد المعنى.

(٤) وكذلك قوله تعالى:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ البينة/٨ .

إذا تحول النبر عن الراء في "رضوا" يصبح الفعل مشتقاً من "رَضَ"، وليس

من "رَضِيَ"، وهذا فساد في المعنى أيضاً.

وهناك نبر يختص بفصاحة التلاوة ولا يترتب عليه معنى، مثل: " وما هم ، ولا هم"، فتحول النبر عن الهاء في "هم"، يجعل الكلمتين كلمة واحدة في النطق، وهذا عيب في فصاحة الأداء.

التنغيم

يطلق على ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلونه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وذلك للدلالة على معان مقصودة، مثل: الاستفهام، والطلب، والأمر، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة، والتعجب، واللهفة، والشوق ... إلخ.

ويشير المعاصرون إلى أن القدماء لم يهتموا بظاهرة "التنغيم الصوتي"، ولعل الذى دفع اللغويين المعاصرين لهذا القول هو عدم تقعيد اللغويين القدماء لظاهرة التنغيم، وإلا فنحن أمام تأملين لأمرين في غاية الأهمية:

(١) الحديث الوارد عن أبي موسى الأشعري- رضى الله عنه- عندما علم هذا الصحابي أن رسول الله ﷺ كان يسمعه عند تلاوته للقرآن، فقال: لو كنت أعلم أنك تسمعي يا رسول الله ﷺ لحيرته لك تحبيراً^(١)؛ والتحبير لون من التجويد والتحسين والترزين، والتنغيم وسيلة من وسائل ذلك، وقوله ﷺ: "اقرأوا القرآن بلحون العرب"^(٢).

(٢) المقامات الخاصة بالأداء الفنى عند العرب في القراءة والغناء من: البياتي، النهاوند، الصّبا، الحجاز، الرّصد... إلخ، ولكل مقام طرق عديدة ووجوه متباينة، ألا ينتهى كل ذلك إلى التنغيم؟ إذن فقد عرفت العرب التنغيم، لكنها لم تُقَعِّدْ له، واعتمد فيه على السماع.

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء- ترجمة أبي موسى الأشعري: ٢٥٨/١.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، برقم (٧٢١٩)، البيهقي: شعب الإيمان، برقم (٢٦٤٩).

ما يستفاد من التنغيم هو أن يراعى المتحدث المعاني - التي يتحدث عنها، فما يحتاج إلى الفرح والسرور لا يستوى في الأداء الصوتي مع ما يقتضى الحزن والأسى، وما يحتاج القوة والشدة لا يستوى في الأداء مع ما يقتضى الرحمة والعطف، وما يعبر عن الاستفهام لا يستوى مع ما يعبر عن الإخبار والتقرير... وهكذا.

الوقف

تمهيد:

ثمة فرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة فيما يخص الأداء، فعلى مستوى اللغة المكتوبة ليس هنالك من ضرر إذا طاللت الجملة وتباعدت الفواصل (علامات الترقيم) بين الكلام، وذلك لأن وسيلة إنجاز المكتوب هي اليد ووسيلة إدراكه والتعامل معه هي العين، ولا يصيب اليد ولا العين إعياء ولا تعب إذا ما طاللت الفواصل بين الكلام، في حين أن الكلام المنطوق تتأثر فيه أطراف الموقف الكلامي بطول الجملة وقصرها.

فالمتحدث وطول نفسه أو قصره يتأثر بطول الجملة، وأيضاً سَمِعَ المستمع يتأثر بطول الجملة، فالجمل الطويلة ترهق المستمع في إدراك علاقات الكلام بعضه ببعض، وتصبح الدلالات غير واضحة في بعض الأحيان.

ولما كانت اللغة المنطوقة تميل إلى تجزئة الكلام، لذلك كان باب الوقف أثناء الكلام من أهم قضايا الأداء الصوتي، واجتهد المهتمون بالكلمة المنطوقة لوضع ضوابط محددة ومعايير علمية للوقف.

يسعفنا في هذا القرآن الكريم؛ فهو النص اللغوي القائم على التلقى والانتقال من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفهية.

تعريف الوقف في الكلام المنطوق:

الوقف في اللغة: الكفُّ والسكون، ومنه: دلالة توقف الصوت، بمعنى انقطاعه، ويمكن تعريف الوقف بأنه: سكتة عن الكلام يؤخذ معها نفس ومدتها في الحديث العادي قدر ما يستغرقه النفس الواحد (ثوان معدودة) وقد تطول

كما في تجويد القرآن الكريم ترتيباً، وقد تقصر أثناء الحديث العادى فى الوقف المعلق الشبيه بالسكنة اللطيفة فى تلاوة القرآن الكريم.

وعلى مستوى أعضاء النطق يعد الوقف فرصة للتزود بالهواء واستعداد أعضاء النطق لإنتاج الكلام من جديد، كما يأتى الوقف لتنسيق التابع الصوتى. وكما يوظف النبر والتنغيم لخدمة المعنى؛ فكذلك الوقف يوظف لخدمة المعنى بوجه مختلفة.

أهم أنواع الوقف:

وفى إطار التلاوة القرآنية؛ قسّم العلماء الوقف إلى: لازم، وجائز، وممنوع، وذلك باعتبار المعنى، ويمكن الرجوع لقواعده فى آخر المصحف.

وفى إطار الحديث المنشور يمكن تمييز الوقف إلى الأنواع التالية:

- ١- الوقف التام: ويكون عند تمام المعنى، ويأتى فى نهاية الجملة فى النثر العادى، وعند آخر البيت فى الشعر (القافية)^(١)، ويقع على رؤوس الآى فى القرآن الكريم غالباً، وضابطه فى علامات الترقيم النقطة.
- ٢- الوقف المعلق: وهو أشبه بالسكنة اللطيفة فى القرآن الكريم، إلا أنه يختلس نفساً قصيراً هنا فى الوقف المعلق، مع نبر الكلمة التى بعد الوقف لإعطائها بروزاً صوتياً لصالح المعنى. يحتاج إلى مهارة فى أدائه كى يتحقق الهدف منه، وضابطه فى علامات الترقيم الفاصلة المنقوطة (؛).

(١) فى بعض القوافى قد لا يتم المعنى فى نهاية البيت بل يكون تمام المعنى فى البيت التالى، وهذا هو الذى يسميه العروضيون التضمين، وهو من عيوب القافية. انظر: الخطيب التبريزى: للكافى فى علمى العروض والقوافى، ص ١٦٦.

٣- الوقف التفسيري: ويطلق عليه "وقف القاعدة"، لارتباطه بقواعد اللغة العربية، وأكثره شيوعاً الذي يأتي بعد الحالات التالية:

- بعد القول: قال أحمد: الله أكبر.
- بعد النداء: يا محمد، اتق الله.
- بعد القسم : والله، لأستسهلن الصعب لإدراك النجاح.
- بعد الشرط: قال بشار بن بُرد^(١):

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك، لم تلقَ الذي لا تعاتبه

- بعد أحرف الجواب: لا، أجل، نعم، بلى.
- لبيان العدد والنوع: مثل: أولاً:
- أنواع المعارف: الضمير، العلم... إلخ.

٤- الوقف الفني: وهدفه إثارة السامع ولفت انتباهه، والتشويق...، ونحو ذلك، ويحتاج إلى مهارة. ويصاحب هذا الوقف النبر والتنغيم، وتوظيفه لرعاية المعنى يحتاج إلى حسٍّ مرهف في الأداء.

٥- الوقف القبيح: وهو الوقف الذي يؤدي إلى خلل في المعنى، كمن يقف على كلمة الصلاة في قوله تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

النساء/٤٣ .

(١) البيت في: الأغاني، ٣/١٩٧، ط. دار الكتب العلمية.

ويشمل الوقف القبيح كل حالة لا يجوز الوقف فيها لشدة الارتباط بين الكلمات؛
كما في الآتي:

- ١- لا يجوز الوقف بين الفعل والفاعل.
- ٢- لا يجوز الوقف بين (الفعل والفاعل) والمفعول به.
- ٣- لا يجوز الوقف بين المضاف والمضاف إليه.
- ٤- لا يجوز الوقف بين الصفة والموصوف.
- ٥- لا يجوز الوقف بين اسم الإشارة وبدلته.
- ٦- لا يجوز الوقف بين أداة الاستثناء والمستثنى.
- ٧- لا يجوز الوقف بين الأدوات التي تسبق الاسم، والاسم الواقع بعدها.
- ٨- لا يجوز الوقف بين الأدوات التي تسبق الفعل، والفعل الواقع بعدها.

الجانب التطبيقي في الوقف:

كى يتحقق للمودى مهارة الوقف ينبغي ملاحظة التالى:

- ١- كن حذراً من الوقوع فى الوقف القبيح، ولا حتى اضطراراً بسبب ضيق النفس، ويتأتى ذلك باللجوء فى التعبير إلى الجملة القصيرة التى لا تجهد النفس، ولا توقعك فى اضطرار قطع الجملة؛ فيختل المعنى أو تأتى الكلمة الأخيرة مجهداً صوتياً بسبب ضيق النفس.
- ٢- اجتهد فى التدريب على الوقف باستخدام التنغيم والنبر بما يتناسب مع المعنى.
- ٣- أثناء التدريب على الوقف ينبغي التفرقة العملية فى الأداء الصوتى بين أنواع الوقف المختلفة: المعلق، التام، الفنى ... إلخ.

فن الأداء الصوتي

كثيراً ما ننجذب إلى شخصيات محببة إلينا في أدائهم الصوتي، في محاضراتهم أو أحاديثهم خلال الإذاعة أو المحافل العامة، وتحيا الكلمة على ألسنتهم فيصل المضمون إلينا وتتأثر بهم كثيراً، في حين أن نفس الكلام قد يلقيه شخص آخر فتموت الكلمة على لسانه، فلا تتأثر به، ولذلك أسباب وعوامل بعضها سيكولوجي (نفسى) وبعضها عضوى .. وغير ذلك.

لكننا هنا نتعرض لنوع معين من تلك الأسباب والعوامل، وهى العوامل اللغوية وإليك أهم هذه الأسباب وراء حياة الكلمة أو موتها على لسان المتكلم:

(١) الواضوح، ويشمل:

أ- النطق الواضح بالنسبة للحرف: ويقصد به خروج كل حرف من مخرجه وهنا ينبغي الحذر من الخلط بين النثائيات في الحروف العربية:

(رَبَّتَ - رَبَّطَ)	ط	ت
(ثُمَّ - سَم)	س	ث
(بَعْدَ - بَعْض)	ض	د
(ذَلَّ - زَلَّ)	ز	ذ
(قَدَرَ - كَدَرَ)	ك	ق

ب- النطق الواضح بالنسبة للكلمة: فتتطق الكلمة كاملة بكل أجزائها، فلا يأتي الحرف الأخير ضعيفاً أو يغيب بالمرّة عن الوضوح الصوتي؛ فيخرج الكلام ناقصاً أو مبهماً.

(٢) سرعة النطق:

فالسّعة الزائدة ترهق المستمع في المتابعة للمتحدث، وقد ينصرف المستمع بالمرّة عن المتحدث؛ لعجزه عن الملاحقة والمتابعة، وتظهر هذه الصورة حين يتكلم المتكلم كلاماً محفوظاً كأنه يقرؤه من كتاب، فالتمهّل مطلوب، لكن دون أن يصل إلى البطء المملّ.

(٣) ارتفاع الصوت:

ارتفاع الصوت لدرجة تتجاوز حدود إسماع المتلقى المقصود، يُعدُّ عيباً خطيراً يشوش على المستمع وعلى فهمه واستقباله لهذا الكلام، حتى عدّه البعض لونهاً من العدوان على الفكرة والمعنى، وعدّه بعض آخر لونهاً من العجز عن الأدلة والبراهين، كما عدّه بعض ثالث تعبيراً عن عدم الثقة بالنفس، وينبغي أن نفرّق بين ارتفاع الصوت والصياح، وبين حرارة النطق لتخرج الكلمة محملة بالمشاعر.

(٤) سلاسة اللفظ ووضوحه:

قد يصادف المتحدث ألفاظاً غير مألوفة صعبة النطق، وللمتحدث طريقتان في التعامل معها:

الأولى: استبدالها بكلمات سهلة مألوفة للمستمع، وهذا سلوك سلكه واصل بن عطاء في خطبته المشهورة "منزوعة الرأء"، حيث كان لا يستطيع نطق الرأء

نطقاً سليماً، فقد كان ينطقها غيناً، فاستطاع بمهارته أن يخلص منها
كلامه^(١).

(١) خطب يوماً عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق سنة ١٢٦هـ : شبيب بن شيبه، وخالد بن صفوان، والفضل بن عيسى، ثم تلاهم واصل، فارتجل هذه الخطبة وعراها من حرف الراء، وهذا نصها: "الحمد لله القدم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذى علا فى ذنوه، ودنا فى علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يورده حفظ ما خلق ولم يخلق على مثال سبق، بل أنشأه ابتداءً، وعدّله اصطناعاً، فأحسن كل شىء خلقه، وعمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه تواضع كل شىء لعظمته، وذل كل شىء لسلطانه، ووسع كل شىء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة، وهو السميع العليم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، إلهاً تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصى فيحلم، ويُدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون. وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية وصحة طوية، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالسته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلغ ما ألكته، ونصح لأمته، وجاهد فى سبيل الله، لا تأخذه فى الحق لومة لائم، ولا يصدده عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفياً على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلى الله على محمد، وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأتمى، وأجل وأعلى صلاة صلاحها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله، والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، وأحضكم على ما يُدنيكم منه، ويُزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة فى معاد، ولا تُلهيكم الحياة الدنيا بزينتها وخُدعها، وفواتن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شىء منها يزول. فكم عايتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبالها، وأهلكت من حنح إليها، واعتمد عليها! أذاقتهم حلواً ومزجت لهم سُماً. أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوتقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا السلا؟ قبضتهم بمخيلها، وطحتهم بكلكلها، وعضتْهم بأنيابها، وعاضتهم من السعة

الثانية: التدريب الكافي على الكلمة الصعبة غير المألوفة، حتى تلين على اللسان مع وضعها في سياق واضح يساعد في فهمها واستنباط معناها، وهذا الأسلوب مناسب للكلمات الصعبة التي لا يمكن استبدالها، حيث الكلمة أساسية في الموضوع.

(٥) الرتابة:

الرتابة لون من الجمود في الأداء، بمعنى جريان الصوت على وتيرة واحدة وخلو الكلام من تنوع التنغيم *Intonation*. بما يتناسب مع المعنى، فيكون بنغمة واحدة من أوله إلى آخره؛ مما يؤدي إلى الملل من جانب، ومن جانب آخر فالرتابة تدفع المستمع إلى السرحان والانصراف والغفلة عن المتحدث.

وفي الممارسة والتدريب على تنوع التنغيم، ما بين نغمات صاعدة وأخرى هابطة، وأخرى مستوية، بما يتناسب مع المعنى، يمكن للمتحدث أن يتخلص من داء الرتابة.

ضيقات، ومن العز ذلاً، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود وأكلهم اللود، وأصبحوا لا تُعَيْن إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تُحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم نبيساً. فتزودوا عافاكم الله، فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظّه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب. إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين: كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون. أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوى، إن الله هو السميع العليم. بسم الله الفتاح المنان. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم قال: نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، والوحى المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم". (نواذر المخطوطات، المجموعة الأولى، بتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، ط ٢، ١٩٧٢، ص ١٣٤ - ١٣٥).

(٦) البعد عن التكلف في الأداء:

احذر الوقوع في فخ الصوت المستعار، فلا تحاول أن تتكلف صوتاً غير صوتك، بل حاول أن تتقن الأداء اللغوي، بإمكانات صوتك الطبيعي دون تكلف لأن التكلف في الأعم الأغلب يكون مرهقاً لك وغير مقبول لدى المستمع وتكون عالة على غيرك في الأداء، في حين أن الانسيابية في نطق اللفظ تريح الأذان وتجذب المستمع إليك، فكن على طبيعتك، فكل إنسان له مدى وطاقة صوتية ينبغي أن يكون الإلقاء في إظهارهما، والتدريبات الخاصة بجمال الصوت وروعة الأداء السابق بيانها كفيلة بالتخلص من التعسف أو التكلف في الإلقاء، وتحقيق انسيابية الأداء وسلاسته.

(٧) حسن الوقف والوصل:

فإدراك وفهم أنواع الوقف السابق بيانها والتدريب عليها عامل أساس في جودة الأداء وصحة المعنى، مع الحذر من الوقف القبيح الذي يفسد المعنى.

(٨) رعاية قواعد العربية:

ويقوم علم النحو بهذه المهمة، والتدريب عليه له سبل مهمة:

الأول: قراءة نصوص مضبوطة مثل القرآن والحديث.

الثاني: سماع من لهم مهارة الحديث بالعربية الفصحى، مثل فاروق شوشة، د. عبد الصبور شاهين، د. محمد الطناحي ... وغيرهم.

الثالث: إعداد الكلام قبل إلقائه.

أيضاً على مستوى الكلمة تراعى القواعد الصرفية لبناء الكلمات في العربية.

عيوب استخدام الصوت

وهى عيوب ناشئة عن الاستخدام الخاطى للصوت وليست ناتجة عن خطأ فى النطق من حيث المخرج.

(١) **الصوت الضعيف أو الخافت:** فلا يصل صوت المتحدث إلا إلى مدى قصير جداً، ويحتاج من السامعين شدة الإنصات والانتباه والتتبع لالتقاط كلامه الذى قد يتناثر فى الهواء ويتشتت قبل الوصول إلى الأذن واضحاً ومحددأ، ولا بد من التدريب لتلافي هذا العيب الخطير.

(٢) **الصوت القوى (الجهورى):** وهو الصوت الذى له وقع شديد على الأذن، لدرجة تجعل المستمع يتأذى من شدته، وقد يتسبب ارتفاع الصوت فى حدوث حشرجة عند المتحدث فلا يفهم كلامه.

(٣) **الصوت المرتعش:** وينشأ هذا العيب عند تقليد صوت آخر، إمكاناته الفنية أعلى وطاقاته التعبيرية أكبر، حيث إن إجهاد الصوت يحمله على طبقات لا تلائمها سواء أكانت مرتفعة أم منخفضة.

وفى إطار الأداء الفنى فى مجال التلاوة أو الغناء أو التمثيل، هناك تصنيفات لعيوب الصوت بصورة مفصلة يرجع إليها فى مراجعتها.

عيوب النطق

تصادف المتحدث بعض العقبات التي ينشأ عنها نطق معيب مشوه، وقد توفر العلماء لدراسة هذه العقبات من خلال اتجاهين:

الأول: اتجاه طبي:

يهتم أهل هذا العلم بعيوب النطق التي ترجع إلى أسباب عضوية، بسبب وجود علة في الجهاز الكلامي أو السمعى أو مركز الكلام في المخ، أو أسباب نفسية... إلخ، وأهل الذكر في هذا العلم هم الأطباء^(١).

الثاني: اتجاه لغوي:

ويهتم أهل هذا العلم بعيوب النطق والكلام التي تعود إلى أسباب غير عضوية حيث تنشأ هذه العيوب بسبب عوامل خارجية مثل: العادة الخاطئة، والبيئة اللغوية اللصيقة بالمتحدث، ونقص التعليم في الصغر، مع غياب المعلم القدوة في النطق الصحيح... إلخ.

ويتركز جهد اللغويين في السعى الجاد للوقوف على أسباب ودوافع كل عيب في النطق، مع بيان أفضل السبل التي تمكننا من التغلب على هذا العيب من خلال الممارسة والتدريب بسبل شتى.

وقد أسهم القدماء بحظ وافر في هذا العلم، فوضعوا تحديدًا لعيوب النطق، كما أشاروا في مواضع كثيرة إلى سبل العلاج.

وفيما يلي بيان لأهم هذه العيوب:

(١) راجع: مصطفى فهمى: أمراض الكلام، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٣.

١- الخمخمة (الخنف): والحديث هنا عن الخمخمة الناشئة عن التعلم من شخص أحنف والتقليد له تأثراً به، ويطلق العرب على المصاب بها: الأحن؛ لأنه لا يبين الكلام فيخنخن في خياشيمه^(١).

٢- الثأثة: ويقصد بها صعوبة نطق حرف السين، حيث تخرج السين ثاء، أو شيناً، أو دالاً. ومنها ما يعود إلى أسباب عضوية، مثل خسل انتظام الأسنان، فعلاجها طبي.

٣- اللجلجة: أسبابها معقدة ومتشابهة، وهي ثقل في اللسان، ونقص في الكلام، حيث يخرج الكلام متقطعاً بلا تنابع، وعلاجها طبي (نفسى) ولفوى بالتدريب.

٤- الفأفة: وهي التردد في نطق الفاء إذا تكلم، كما وصفها الميرد، ولها وجوه أخرى يجمعها كلها صعوبة نطق الفاء بسبب تردد الشفة السفلى في الالتقاء بالأسنان العليا^(٢)، وبالتمرين المتوالى على معلم حاذق يزول عيب الفأفة.

٥- التتممة: عيب في نطق التاء ناشئ عن صعوبة التقاء اللسان بالثة العليا، وللتمرين المتوالى جانب كبير في الشفاء منها؛ إلا إن كان السبب طبياً بسبب ثقل اللسان أو نحو ذلك، فالعلاج عند الطبيب.

٦- الرتلة: عيب في نطق حرف الراء، بسبب عدم تمكن اللسان من الالتقاء بالثة العليا التقاءً كاملاً.

(١) أبو الحسن على بن سيده: المخصص: ١٢٢/٢.

(٢) مصطفى فهمي: أمراض الكلام: ٣٣١/٢.

ولهذا العيب وجوه:

- فالراء قد تتحول صفتها إلى صوت آخر هو اللام، وأحياناً الياء أو الغين، وهذه الصورة تمثل أخطر عيب نطق الراء.
- أو تلزم الراء وجهاً واحداً في كل السياقات الصوتية، والغالب هنا هو التفخيم، فلا يستطيع المتكلم أن يرققها في مواضع الترقيق فتخرج مفخمة، فتعيب النطق.
- أو تنطق الراء بتوالى وتكرار ضربات اللسان، فيخرج في النطق ما يشبه الراء المتكررة (ررر ررر)، وهو عيب ناشئ عن خطأ العادة والتعليم الخاطيء، وللمران على يد معلم حاذق جانب كبير ومهم في التخلص من عيوب نطق الراء بوجوهها المختلفة.

٧- الحبسة: ويعرفها الميرد بقوله: "الحبسة تعذر الكلام عند إرادته"^(١)، ووصفها الجاحظ بأنها ثقل في اللسان يمنعه من البيان، قال: "في لسانه حبسة، إذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان"^(٢).

ثم يبين الجاحظ أن للحبسة وجهين:

- الأول: شديدة؛ فيطول الصمت، ويتعثر الكلام، ويتحول إلى مقاطع تكاد لا تُفهم.
- الثاني: بسيطة؛ وفيها يلتوى اللسان بعض الالتواء عند إرادة الكلام^(٣).

الأداء الصوتي وصحة القواعد:

مهارة الأداء عند المتحدث تكتمل برعايته قواعد الصحة اللغوية على مستوى الصرف والنحو والدلالة.

(١) الميرد: الكامل: ١٢٠ / ٢ .

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم: ص ٢٢١.

(٣) الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون: ص ٢١.

التدريب العملي
و
رياضة اللسان

رياضة اللسان

إن اكتساب المهارة في الإلقاء لا تكفى فيه المعرفة النظرية؛ بل لابد من التطبيق العملى، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن الجزرى فيما يخص حسن تلاوة القرآن الكريم:

وليس بينه وبين تَرْكِهِ إِلَّا رِيَاضَةُ امْرِئٍ بِفِكَهِ^(١)

ونجاح عملية التدريب على صحة النطق ومهارة الأداء يتوقف على عناصر ثلاثة:

١- وجود معلم أسوة في صحة النطق، وقدوة في مهارة الأداء.

٢- حسن الاستماع من الطالب.

٣- المحاولة الجادة للتأسي بالمعلم في نطقه، مع مواصلة التدريب.

ويمكن إجمال خطوات التدريب العملى فى المراحل التالية:

١- مرحلة التدريب على صحة النطق:

أ- التمرن على إبراز الأصوات: بعد استيعاب ما تقدم من مخارج الحروف

وصفاتها، على الطالب أن يتمرن على إبراز أصوات الحروف، وكيفية التمييز:

أن ينطق بصوت كل حرف مراعيًا مخرجه وصفته على صورة ساكنة، أي يضع

عليه علامة السكون مستعينًا بالسهمزة، فيقول:

(أب - أت - أف - أن) وهكذا.

أما حروف المد (الحركات الطويلة) فيقول: (آ ... ي ... و)

(١) ابن الجزرى: من الجزرية، ص ١٦. طبعة خاصة بالمعهد الأزهرى - القاهرة، ١٩٧٧.

أما حرفي اللين (و ، ي) ، فيقول: (أو ، أى).

وينبغي أثناء التمرين أن نضغط على مخرج الحرف ضغطاً شديداً يتيح لنا إتقان نطق صوت الحرف مع التمكن منه، وبالتكرار نتعود على النطق الصحيح لكل صوت من أصوات حروف العربية.

ب — التمرن على الحركات: بعد نطق صوت كل حرف ساكناً؛ عليك بالتدرب على نطق صوت كل حرف من الحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة (بَ ، بِ ، بُ) .. وهكذا.

ج — التمرن على الكلمات: وبعد التأكد من إتقان نطق صوت كل حرف نطقاً صحيحاً متمكناً يأتي الدور على نطق الكلمات، حيث تظهر مشكلة وقوع حرف مرقق بين مفخمين مثلاً أو العكس، والتجاور بين مفخم ومرقق يحتاج إلى تدريب متكرر لتخليص صوت كل حرف من الآخر، وفي هذه الخطوة نهتم بنطق الكلمة ككتلة صوتية كاملة نطقاً صحيحاً، مع التأني والتؤدة، ثم يصبح النطق الصحيح للكلمات بعد ذلك عادة عندنا.

ولإنجاز هذا التدريب نختار مجموعة من الكلمات التي يتجاور فيها المفخم والمرقق، كما في الكلمات التالية:

ححصص الحق: فالحاء مرققة، والصاد والقاف مفخمتان.

خـتم: فالحاء مفخمة، والباقي مرقق.

شيطان: الشين والياء مرققتان والطاء مفخمة والنون مرققة.

استطعتم: فالطاء مفخمة، وبقية حروفها مرققة.

طالوت: فالطاء مفخمة، وبقية الحروف مرققة.

استبق: فالقاف مفخمة، وبقية حروفها مرفقة.

تواصلوا: فالصاد مفخمة، وبقية حروفها مرفقة.

مستطيراً: فالطاء والراء مفخمتان، وبقية حروفها مرفقة.

ظلمات بعضها فوق بعض : فكل كلمة فيها حرف تفخيم وبقية حروفها مرفقة، وتوالى النطق الصحيح بكل صوت من أصوات هذه الجملة يعين على التفرقة الواضحة بين الصفات المختلفة للحروف.

أيضاً ينبغي ملاحظة أصوات الحروف التي لها درجات التفخيم المختلفة، مثل الخاء، ونطق كل درجة منها في سياقها الصوتي نطقاً صحيحاً.

أيضاً أصوات الحروف التي لها حالات تفخيم وحالات ترقيق على حسب سياقها الصوتي؛ وهما: الراء واللام.

ينبغي التدريب على ذلك جيداً كما في :

رَب	×	رِيم.
الله	×	لِلَّهِ .

وهكذا. ولنجاح التدريب الصوتي على مستوى الكلمة ينبغي أن تقسم الكلمة إلى مقاطع صوتية والتدريب عليها، ثم ضم مقاطع الكلمة ونطقها مرة واحدة هكذا:

رَبِّكَ فِيمَ اللَّهُ

د - التخلص من التعسف والتكلف في القراءة:

ما من شك أن المرحلة الأولى من التدريب العملى على إتقان النطق الصحيح لصوت كل حرف يكون فيها شىء من المبالغة، ويُسمح بهذه المبالغة في البداية لكن استمرارها يجعل الأداء معيباً، لما فيه من التعسف والتكلف في النطق وأبجح الطرق للتخلص من التعسف والتكلف هو التكرار.

وما أود أن أشير إليه هنا؛ هو أن في هذه المرحلة ينبغي أن يتوفر كل الاهتمام والتركيز على الوضوح والصحة عند نطق كل صوت من أصوات حروف العربية، أما جانب الجمال والسلاسة فله تدريب آخر سيأتى دوره لاحقاً إن شاء الله تعالى.

٢- كيف تُخرج الهواء كلاماً؟

هذه مسألة مهمة، بالرغم من أن البعض يراها خارجة عن موضوعنا اللغوى، لكنها من الضرورة بمكان؛ إذ بدونها لايتأتى للإنسان أن يصل إلى إتقان ما بعدها من خطوات على طريق صحة النطق وجمال الأداء.

معلوم أن الهواء أساس في إنتاج الأصوات اللغوية، ومن هنا كانت ضرورة توفير كمية من الهواء في جوف الإنسان عن طريق التنفس، كى نستطيع التحكم في نطقنا وتقطيع الجمل التى نتكلمها حسب قواعد اللغة.

والتنفس عمليتان:

● شهيق: باستحلاب الهواء من خارج الرئتين.

● زفير: بإخراج الهواء مع الكلام.

وكى تتمكن من فنية إخراج هواء الزفير كلاماً، ينبغي التدريب على تخزين هواء الشهيق في مكانه الملائم، وهو "الخاصرتان"، وهما اللتان تُتَّجه بالتدريب إلى

تقويتها بالاتساع لتكونا قادرتين على استيعاب أكبر كمية من الهواء، ثم نندرب على كيفية إخراج هذه الكمية من الهواء إخراجاً حكيماً عند الكلام، وتمارين التنفس^(١) خير معين على قوة الأداء.

(١) تمارين التنفس : عددها ستة، تؤدى واحداً واحداً بعد أن يكون الذى قبله قد استوفى أغراضه وتحققت نتيجته، وبما أن هذه التمارين وضعت لتقوية مكان دقيق رقيق من الجسم فيجب مراعاة هذه الشروط عند أدائها:

- ١- أن تكون فى الهواء الطلق، وأنسب الأوقات فى الصباح قبل الإفطار.
- ٢- يراعى ألا يكون هناك ضغط من ملابس أو أحزمة على الصدر والبطن.
- ٣- لا يجوز أن تكون المعدة ممتلئة بالطعام.
- ٤- الوقوف باعتدال غير مستند إلى شىء.
- ٥- يثبت النظر فى نقطة موازية لارتفاع القامة، حتى تكون الرقبة غير مائلة إلى الأمام أو الخلف.
- ٦- تكون الأعضاء مستريحة غير مشدودة، كشأن التمارين الرياضية، وخصوصاً الأكتاف والرقبة واللسان.
- ٧- يكون الشهيق من الأنف، والزفير من الفم.
- ٨- لا تنتقل من تمرين إلى الذى يليه إلا بعد أن تشعر بالحصول على الفائدة المرجوة من التمرين.
- ٩- لا تجهد نفسك بتكرار التمرين أكثر من عدد المرات التى سنحددها.
- ١٠- لا تُحدث صوتاً فى عملية الشهيق.
- ١١- لا يجوز أن يتغير وضع الأكتاف أو الصدر أو البطن، وذلك بمراعاة دفع هواء الشهيق إلى الخاصرتين فقط.

=التمرين الأول: الشهيق البطيء:

لا يتكرر أكثر من ست مرات متوالية، وثلاث دفعات في اليوم: قف كما أوضحت لك في الشروط السابقة. أغلق الفم، تنفس من الأنف ببطء شديد وهدوء تام حتى تشعر بامتلاء الخاصرتين إلى القدر الذي تستطيعه.

أبقِ الهواء مخزناً في الداخل مدة توازي خمس ثوان، أو عدّ حتى الرقم عشرة في سرك بسرعة متوسطة.

أخرج الهواء بعد ذلك دفعة واحدة من الفم، حاول كل يوم أن تزيد كمية الهواء المخزون، وأن تطيل مدة التخزين.

التمرين الثاني: مضاعفة الشهيق البطيء:

أربع مرات متوالية، ثلاث دفعات يومياً، قف حسب الشروط، نفذ التمرين الأول بتمامه، حتى تصل - بتخزين الهواء - إلى المدة التي تكون قد وصلت إليها من تكرار التمرين الأول. بدلاً من إخراج الهواء بعد مدة التخزين، تنفس كمية إضافية، حاول كل يوم أن تزيد الكمية الإضافية.

التمرين الثالث: الشهيق السريع:

ست مرات ثلاث دفعات يومياً، قف حسب الشروط السابقة، تنفس بسرعة، واحذر من إحداث صوت من الأنف، استبقِ الهواء مخزوناً إلى أكبر مدة ممكنة، أخرج الهواء دفعة واحدة من الفم.

التمرين الرابع: مضاعفة الشهيق السريع:

قف حسب الشروط السابقة، اعمل التمرين الثالث بالسرعة التي تكون قد وصلت إليها بمزاولة التمرين الثالث بعد انتهاء مدة تخزين الهواء، تنفس كمية إضافية سريعة حاول كل يوم أن تزيد كمية الشهيق الإضافية وسرعته.

التمرين الخامس: الشهيق والفم مفتوح:

أعد عمل التمارين الأربعة السابقة والفم مفتوح، واللسان ضاغط بوسطه على سقف الفم ليعينك على منع تسرب الهواء من الفم. أعد تانياً التمارين الأربعة واللسان غير ضاغط بل مستريح في وسط الفم، مع الاجتهاد في منع تسرب الهواء من الفم، وهي -

٣- تدريب الصوت على جمال الأداء:

ينبغي على كل إنسان أن يكتشف صوته، لمعرفة نواحي جماله ونقاط ضعفه ومراكز قوته، فلكل صوت مدى وطاقة وطبقة، واستخدام الصوت في إطار طبقة وطاقته يكسبه جمالاً، وكل الأصوات جميلة بالتدريب.

ولكى تتحقق الصورة الكاملة للتدريب والنتيجة المرجوة منه، يؤخذ في الاعتبار ثلاثة عناصر^(١):

أ - أن يظل الصوت مريحاً للمتكلم بلا إجهاد ولا ضيق.

ب- أن يظل الصوت مريحاً للمستمع فلا يكون حاداً شديد الوقع على الأذن، ولا يكون خافتاً لا يصل إليها.

- عملية صعبة ولكنها تسهل بالمران الطويل وقوة الإرادة. والغرض المطلوب أن تستطيع التنفس بسرعة أثناء الكلام دون الحاجة إلى إغلاق الفم، عدد المرات في هذا التمرين خاضع لاستعدادك وراحتك، فمتى شعرت بالتعب فاقطع التمرين واسترح، ثم عاود.

التمرين السادس: الزفير البطيء:

ست مرات ثلاث دفعات يومياً، قم بعملية الشهيق السريع بعد أن تكون قد استوفيت التمرينات السابقة بكل شروطها الموضحة، اختزن السهواء إلى أكبر مدة وصلت إليها أخرج السهواء من الفم ببطء وقد مددت شفثيك إلى الأمام كأنك تصفر، حاذر من انتفاخ الأوداج (جانبي الوجه) أو ارتعاش السهواء.

ملاحظة: تستغرق هذه التمرينات مدة لا تقل عن ستة أشهر، باعتبار شهر كامل لكل تمرين. (عبد الوارث عسر: فن الإلقاء: ص ٩٣ : ٩٦).

(١) فرحان بلبل: أصول الإلقاء: ص ٢٧.

ج- أن يحافظ الصوت على طبيعته فلا يخرج إلى الصوت المستعار، وذلك في كل الدرجات والطبقات المرتفعة.

وأول خطوة لتحقيق التنفس الصحيح وصحة النطق هي إطلاق الهواء عبر الحنجرة بارتياح وامتلاء، وتسمى هذه العملية بـ (الهدير بالصوت)، ويتم هذا الهدير بإطلاق حرف المد (آ آ آ) من عمق الرئتين الممتلئتين بالهواء خلال مسار الصوت حتى الفم.

٤- كيف تصعد بصوتك؟

يبدأ الهدير هادئاً، ثم يعلو بتدرج دون قفز مفاجيء حتى يصل إلى درجة الارتفاع المطلوبة، ويضع الإنسان أثناء هذا التمرين راحة يده على صدره بين الثديين، ثم يجهر بصوته (آ آ آ آ آ....) ليشعر بالاهتزاز مع الهدير، وبمقدار ما يكون الهدير صحيحاً يحس الإنسان بالراحة، في حين ينتابه التعب والإجهاد حين يكون الهدير غير صحيح.

ويتنوع هدير الصوت (آ آ آ آ آ....) بنغمات الحزن، أو الفرح والسرور، أو القوة والجدية .. إلخ.

وتدريب هدير الصوت يمنح صوت الإنسان القوة وحسن الاستخدام للفراغ الرئيسي، ويجعل الحنجرة تقدم كامل قدرتها، كما أنها تنقى مسالك الصوت^(١).

(١) فرحان بلبل: أصول الإلقاء: ص ٢٩.

الفصل السادس

صرف العربية ونحوها

(١) الصرف Morphology

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى الكلمة خارج التركيب، ويهتم علم الصرف بدراسة بنية الكلمة من الجوانب التالية:

١- اشتقاق صور مختلفة من جذر واحد، مثل:

(ك ت ب) كتب، كاتب، مكتوب، كتابة، مكتب، مكتبة ..إلخ.

٢- ما يطرأ على الكلمة من تغيرات (نقص أو زيادة):

أ- تغيرات الزيادة: ما يلحق الكلمة من إضافات (سوابق *Prefixes*، أو لواحق *Suffixes*، أو دواخل *Infixes*) تؤدي إلى تغير فى المعنى، وهنا يتم التمييز بين الحروف الأصلية والحروف الزائدة، فالسوابق مثل حروف المضارعة فى اللغة العربية والمجموعة فى كلمة (أنيت)، واللواحق مثل: علامة التنثية (عالين، عالمان) والجمع (عالمون، عالين) والدواخل مثل: ألف التكسير (رجال)، وتاء الافتعال فى (التزام).

ب- تغيرات النقص: ويمكن ملاحظتها فى الإعلال؛ ويكون بحذف حرف من الكلمة، وهو نوعان:

١) حذف سماعى: ويقتصر على كلمات حذفت لامها، وهو منقول عن العرب، وليس له قاعدة، ومن أمثله: (أبّ - أخّ - فمّ - يدّ - دمّ) والأصل الافتراضى لهذه الكلمات: (أبو - أخو - فمو - يدى - دمي).

٢) حذف قياسى: كحذف همزة (أفعل) من المضارع، نحو:

أَكْرَمَ ← يُؤَكِّرِمُ ← يُكْرِمُ.

ومنه حذف الواو من مضارع الأفعال المبدوءة بها، مثل:

وَعَدَ ← يُوْعِد ← يَعِد

ومنه حذف ياء الاسم المنقوص ، نحو:

قَاضِي ← قَاضٍ

أشكال المادة ووزنها

مادة الكلمة التي هي حروفها الأصلية لا تكون في العربية أقل من ثلاثة أحرف ولا أكثر من خمسة.

— قرر الصرفيون أن المادة التي يبنى منها الاسم أو الفعل قد تكون ثلاثية أو رباعية أو خماسية.

— ولما كانت أكثر أحوال المادة في الأسماء والأفعال ثلاثية؛ فقد اصطلح على وضع ميزان لها تقابل أصواته أصواتها، واختيرت كلمة (فعل) وفي الرباعي تزداد لام وفي الأصل الخماسي تزداد لام ثلاثة لتقابل خامس الأصول.

— ما يحدث في الموزون يحدث مثله في الميزان سواء أكان زيادة أو نقصاً..

— وإذا حدث قلب في الموزون حدث كذلك في الميزان.

— توزن الكلمة على ما هي عليه فعلاً، لا على ما كانت عليه أصلاً.

الوزن الصوتي والوزن الإيقاعي

الصوتي: وهو مقابلة الصوامت بالهزات ومقابلة الحركات بالحركات.

الإيقاعي: وهو مرتبط بنوع المقطع وتوزيعه داخل الصيغة الموزونة. ولذلك لا ينظر فيه إلى المحاذاة اللازمة في الوزن الصوتي، بل إلى محاذاة المقطع القصير بقصير مثله، والطويل المقفل بمثيله، دون النظر إلى عناصر المقطع الواحد من الأصول أو الزوائد.

ومن الطبيعي أن تشترك عدة أوزان صوتية في إيقاع واحد يضمها في مجموعة واحدة، ومن الأمثلة على ذلك صيغ التصغير فهي للثلاثي المزيد بحرف أو الرباعي على وزن (فيععل) فإذا أردنا وزن المصغر من كلمة: أحمد، (أفعل). قلنا: أحيمد بوزن: (فيععل)، وهو وزن إيقاعي لا ينظر إلى نسق الأصوات، بل إلى نظام المقاطع، وكذلك مسجد: (مفعل) تصغر على مسيحد: (فيععل)، وليس: (مفيعل).

ومثلاً: وزن (مفاعل) الإيقاعي له صيغ كثيرة تنضوي تحت هذا الإيقاع مثل:

فعالل — فواعل — فعائل — فعاول — فياعل — فعالي.

الكلمة بين القدماء وعلم اللغة الحديث:

رغم أن موضوع علم الصرف هو الكلمة، فإن القدماء لم يضعوا تعريفاً جامعاً مانعاً لها، بل اعتبروها من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى تعريف. ولعل أقوى الأسباب الدافعة إلى ذلك هو ربط القدماء بين النظام الصرفي والكتابة.

والمأمل في كتب النحو والصرف. يراها تبدأ بتصنيف الكلمات إلى اسم وفعل وحرف، دون أن تضع تعريفاً للكلمة قبل هذه البداية، والحق أنه من الصعب أن نضع

تعريفًا جامعًا مانعًا لها، وتبين ذلك من خلال تأمل الاحتمالات التالية:

١ - قد يرى بعض اللغويين تعريف الكلمة عن طريق الوصل والفصل في الكتابة، ويعترض على هذا المنهج بالحروف الجارة والعاطفة.. ونحو ذلك.

٢ - قد يرى بعض اللغويين أن يقوم تعريف الكلمة على أساس المعنى، ويُعترض على هذا المنهج بمشكلة تحديد المعنى المقصود:

- هل هو المعنى المعجمي؟

- أم هو المعنى الصرفي؟

- أم هو المعنى السياقي؟

٣ - قد يرى بعض اللغويين تصنيف الكلمة إلى قسمين كبيرين، هما:

(١) كلمات كاملة: ويقصد بها كل صيغة يمكن أن تستقل بنفسها في السياقات المختلفة كالأسماء والأفعال والصفات.

(٢) الأدوات: ويقصد بها كل وحدة صرفية لا يمكن أن تستعمل وحدها في السياق، مثل حروف الجر وأدوات الاستفهام، لكن اعترض على هذا المنهج بأمور: أهمها أن هذا التقسيم إن صح في لغة فلا يصح في لغة أخرى، ثم إن هناك في العربية كثيرًا من أدوات الاستفهام تأتي وحدها مستقلة في السياق، على نحو قولنا في الحوار:

- كيف؟ - ماذا؟ - من؟... إلخ.

وهكذا يظهر لنا - بوضوح - صعوبة وضع تعريف جامع مانع للكلمة. ولهذا رأى العلماء التحول عن فكرة الكلمة في التحليل اللغوي الصرفي، إلى فكرة الوحدة الصرفية (المورفيم *Morpheme*) قصدًا إلى الدقة والوضوح الموضوعية. والوحدة

الصرفية (*Morpheme*) قد تكون كلمة أو جزءاً من كلمة له قيمة دلالية على مستوى التركيب.

أنواع المورفيم:

يتميز اللغويون بين ثلاثة أنواع من المورفيمات بحسب البنية والدلالة، على النحو

التالى:

(أ) المورفيم الحر *Free Morpheme* :

ويتميز باستعماله كوحدة مستقلة فى اللغة مثل: عالم ، كتاب، قلم، عظيم.

(ب) المورفيم المقيد *Bound Morpheme*:

ويتميز أنه لا يمكن أن يستخدم منفرداً، بل لابد من اتصاله بمورفيم آخر (حر أو مقيد)؛ مثل:

(ات) لجمع المؤنث السالم: (مسلمات).

(ين ، ون) لجمع المذكر السالم: (مسلمين، مسلمون).

(ة) للدلالة على التأنيث: (مسلمة).

(ج) المورفيم السالب *Zero Morpheme*:

وهو مورفيم لا يوجد فى الكلام المنطوق أو المكتوب، وإنما يكون مستتراً أو مقدرًا أو محذوفًا لعلة لغوية.

ومثاله: الضمائر المستترة وحركات الإعراب المقدرة .

وظائف المورفيم:

صنف اللغويون وظائف المورفيمات فى اللغة العربية إلى قسمين رئيسيين^(١)، هما:

١- الوظائف الصرفية.

(١) انظر: د. حلمى خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ١٠٢.

٢- الوظائف النحوية: وتنقسم بدورها إلى قسمين، هما:
أ) عامة
ب) خاصة

١- الوظائف الصرفية للمورفيم (*Morpheme*):

ويقصد بها المعاني المستفادة من بنية المورفيم (الصيغة)، فالوظيفة الصرفية للمورفيمات الدالة على الأسماء، هي الدلالة على المسمى دون أن يكون الزمن جزءاً منه؛ في حين أن الوظيفة الصرفية للمورفيمات الدالة على الأفعال؛ هي الدلالة على الحدث والزمن معاً .. وهكذا، فمثلاً: الوحدة الصرفية (عالم) تدل على معنى العلم مطلقاً دون الارتباط بزمن محدد، والوحدة الصرفية (يعلم) تدل على حدث العلم المرتبط بزمن محدد مستفاد من الصيغة (يفعل) هنا، وهو زمن المضارعة. وهناك وحدات صرفية لا تظهر وظيفتها إلا من خلال التركيب (السياق)، وذلك كما في أدوات: (الجر، والعطف، والمعية، والقسم، والاستفهام، والاستثناء ..إلخ).

٢- الوظائف النحوية للوحدات الصرفية:

ويقصد بها المعاني المستفادة من التركيب والسياق، ويميز اللغويون بين نوعين من الوظائف النحوية:

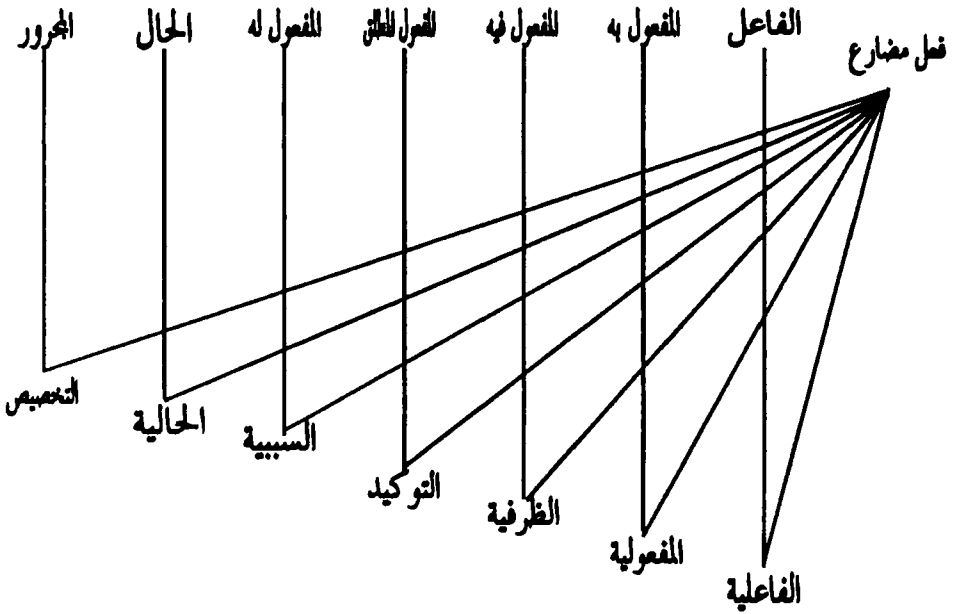
١) الوظائف النحوية العامة التي تدل على الإثبات أو النفي أو التأكيد أو الشرط ...إلخ.

٢) الوظائف النحوية الخاصة، وتظهر حين تقع الوحدات الصرفية في باب من أبواب النحو، حيث تقوم هذه المورفيمات بالوظيفة النحوية لذلك الباب، ويتمثل ذلك في وظيفة الفاعلية التي يؤديها الفاعل ووظيفة المفعولية التي يؤديها المفعول^(١) ... إلخ.

(١) د. حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ١٠٣.

(٢) النحو Syntax

يظن كثير من الناس أن النحو هو الإعراب، والصواب أن النحو أشمل وأعم من الإعراب، فالنحو دراسة للعلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة مع بيان وظائفها، كما يظهر من الشكل التوضيحي التالي:



وبداخل النحو تلتقى كل أنظمة المستويات اللغوية الأخرى: صوتية، صرفية، دلالية.

وتتنوع اللغات في بناء الجمل، فلكل لغة نظامها الخاص بما في ترتيب الكلمات داخل الجملة. فنجد في العربية مثلاً نوعين من الجمل: اسمية وفعلية، في حين أننا لا نجد في الإنجليزية إلا نوعاً واحداً هو الجملة الاسمية.

وتتكون الجملة في العربية من المسند والمسند إليه دون حاجة إلى فعل مساعد يربط بينهما، فنقول مثلاً: العلم نور، العدل أمان، في حين أن الإنجليزية تحتاج إلى فعل مساعد (is) للربط بين المسند والمسند إليه، فنقول:

The man is strong.

The woman is nice.

فنجد أن الأفعال المساعدة في الإنجليزية تقوم بوظيفتين، هما:

١- علاقة الإسناد.

٢- تحديد زمن الجملة.

ومن هنا اكتفت الإنجليزية بالجملة الاسمية. أما العربية فقد خصصت الجملة الاسمية لبيان العلاقة بين طرفي الإسناد، وخصصت الجملة الفعلية للتعبير عن معنى الزمن، وهكذا يمكن ملاحظة الكثير من الفروق والملامح التي تميز نظام كل لغة عن اللغات الأخرى.

النحو والمنهج الحديثة

بين النحو التقليدي والنحو الحديث^(١):

يطلق اللغويون المحدثون على النحو القديم: النحو التقليدي، ويوجهون إليه نقدًا يمكن إجماله في المحاور التالية:

(١) افتقاد النحو التقليدي للمنهج العلمي الموضوعي (*Objective*) الذي يعتمد على درس الأشكال اللغوية باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات، كما هو الحال في النحو الوصفي في إطار علم اللغة الحديث، وإنما يعتمد النحو التقليدي على المنهج الذاتي الذي يحدد قواعد اللغة بناءً على فهم المعنى، وبذلك يرتبط بالدارس نفسه، وليس بظواهر اللغة.

(٢) تأثر النحو التقليدي بالمنطق، وأكبر مظهر من مظاهر هذا التأثير اهتمام التفكير النحوي القديم بنظرية العامل، التي من خلالها يمكن معرفة العلة الكامنة وراء الظواهر النحوية، فجعل اللغة عقلاً يفسر الظواهر والقواعد النحوية من خلاله، في حين أن النحو الوصفي — في إطار علم اللغة الحديث — يهتم بتقرير الحقائق اللغوية ويفسرها في إطار ظواهر اللغة نفسها دون فرض القواعد أو اللجوء إلى ظواهر غير لغوية لتعليل القاعدة.

(٣) تداخل مستويات التحليل اللغوي في النحو التقليدي (الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي)، في حين يميز النحو الوصفي بين مستويات التحليل اللغوي فحدد لكل مستوى أساساً واضحة تميزه، مع عدم إهمال العلاقة التي تربط بين مستويات التحليل اللغوي.

(١) اقرأ في هذا الموضوع: د. ابراهيم السامرائي: النحو العربي في مواجهة العصر، د. كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد.

٤) قيام النحو التقليدي على أساس معيارى، حيث لم يميز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وأقام القواعد على نصوص مختارة من اللغة المكتوبة فقط، وحينما يصطدم مع الواقع والاستعمال اللغوى فإنه يلجأ إلى التأويل وتقدم تفسيرات فيها تكلف كى تتلاءم الظواهر اللغوية مع قواعده المعيارية. مثال ذلك فى:

حتى : قالوا: إن العامل لا بد وأن يكون مختصاً، لكن الاستعمال اللغوى يظهر دخول "حتى" على الأسماء كما فى قوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ القدر/٥. وتدخل "حتى" أيضاً على الأفعال كما فى قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ البقرة/١٨٧. ويصطدم الواقع اللغوى مع القاعدة التى تقول: إن العامل لا بد وأن يكون مختصاً. و "حتى" من العوامل التى تختص — حسب القاعدة التى وضعوها — بالأسماء. وكى يتغلبوا على هذه الإشكالية لجأوا إلى التأويل، فقالوا: "حتى" لا تعمل فى الأفعال، وجعلوا نصب الفعل بأن المضمره، ولا يخفى ما فى هذا التأويل من تكلف حيث لا وجود لـ "أن" فى الواقع اللغوى.

ولا ريب فى أن هذا النقد قد وجه من اللغويين المحدثين فى الغرب للنحو التقليدى الأوروبى — أولاً — ثم وجد ترحيباً لدى أكثر الباحثين العرب، لكن من بين اللغويين المحدثين^(١) من مَلَكَ بصيرة نافذة بخصوصية العربية بسبب هيمنة القرآن الكريم على هذه اللغة وبحوثها، كما ينبغى أن لا نغفل سياق نشأة النحو العربى حيث نشأ فى جو عقلى، ثم إن الملاحظات التى سجلها اللغويون المحدثون أصابت فى بعضها، وفى البعض الآخر وجهة نظر، على نحو ما يظهر من العرض التالى:

(١) د. إبراهيم السامرائى: النحو العربى فى مواجهة العصر: ص ٣٠.

أولاً: إن المتأمل لقواعد النحو العربي يظهر له أن أحكام النحو العربي وقواعده لم تكن كلها تأويلاً أو تقديرًا أو تعليلاً، وإنما كانت تسير وفق استعمال العرب المطرد في كل ظاهرة نحوية، وتكرر في كتاب سيبويه عبارات تدل على ذلك، مثل قوله: "فأجره كما أجرته العرب واستحسنته"^(١).

وابن جني يعرف النحو تعريفاً مباشراً بأنه "انتحاء سَمَتِ كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها"^(٢).

وهذا نص في المنهج الوصفي، وما شذ عن هذا لا يقدر في المنهج، فلكل قاعدة شواذ.

ثانياً: إن فكرة القياس عند سيبويه في متابعة الكلام العربي هي في إطار المنهج الوصفي، من ذلك قول سيبويه: "لأن هذا كثر في كلامهم، وهو القياس"^(٣).

ثالثاً: رحلة أئمة النحاة إلى البادية لجمع اللغة وحرصهم على تسجيل الواقع اللغوي كما ينطق البداءة. ومن ذلك ما اشتهر عن الكسائي أنه قد خرج إلى الصحراء، وأنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظه^(٤).

وامتد هذا المنهج حتى القرن الرابع الهجري، على نحو ما نجده عند ابن جني الذي كان حريصاً على جمع مادته من أفواه العرب^(٥).

(١) الكتاب: ٢٧٥/١.

(٢) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربي: ص ٥٤، وانظر: ابن جني: الخصائص ٣٤/١.

(٣) الكتاب: ٢٥٨/١.

(٤) ابن الأنباري، نزهة الألباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر: ص ٢٥.

(٥) ابن جني: الخصائص ٢٤٢/١.

رابعاً: ثم إن هناك اعتراضاً قوياً لدعوات النقد؛ وهو أن النحو في الكتب التعليمية ما زال راسخاً لم يتأثر في قليل أو كثير بالدعوات الغربية للنحو الوصفى.

وهذا يؤيد رأى القائلين بخصوصية اللغة العربية بسبب هيمنة القرآن الكريم عليها.

خامساً: إن المظهر المنطقي للنحو العربي أصبح مهماً في إطار المنهج التحويلي للعالم الأمريكى نعوم تشومسكى^(١)، التى تميز بين صورتين لغويتين، هما:

أ- الصورة المنطوقة والمسموعة، والمكتوبة والمقروءة، ويطلق عليها: "التركيب السطحي".

ب- التركيب العميق: ويقصد به عناصر القدرة اللغوية لذهن الإنسان في تشكيل الجمل وفقاً لمجموعة من القواعد التحويلية والتوليدية التى تتم في الجملة عن طريق الحذف أو الإضافة أو التقديم والتأخير أو الفصل والوصل أو التعريف والتنكير^(٢).

الزمن النحوى والجملة الفعلية:

الفعل يدل بصيغته على الزمن، وممادته على الحدث، والزمن هنا هو الزمن الصرفى. (فعل للماضى، يفعل للمضارع، افعل للأمر)، وبواسطة تركيب الفعل مع الأدوات وكذلك تقدم الفعل الناقص (كان) على هذه الصيغ المركبة، تتنوع وتتخصص معانى أبنية الفعل، وقد أغفل القدماء دراسة هذه التراكيب فلم تتناولها دراساتهم، وقد انتبه

(١) راجع: د. عبده الراجحي، النحو العربى والدرس الحديث (بحث في المنهج) دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩.

د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث.

(٢) د. كرم حسام الدين، أحوال تراثية فى اللسانيات الحديثة: ص ٢٢٩.

المحدثون لها^(١)، ويمكن الوقوف على تنوع الدلالات الزمنية لهذه التراكيب^(٢) من خلال العرض التالي:

١- كان + فعل: للدلالة على الزمن الماضى البعيد المنقطع، كما فى: كنت درست النحو فى الثانوية.

٢- لقد + كان + فعل: للدلالة على الزمن الماضى البعيد المنقطع المؤكد، كما فى: لقد كنت درست النحو فى الابتدائية.

٣- كان + يفعل: للدلالة على الماضى المستمر، كما فى: كنت أدرس العربية طوال المراحل التعليمية.

٤- قد + كان + يفعل: للدلالة على الماضى المستمر المؤكد، كما فى: قد كنت أدرس العربية طوال حياتى التعليمية.

٥- كاد + يفعل: للدلالة على الزمن الماضى المقارب ولكنه لم يقع، كما فى: كاد الفريق يحقق المفاجأة.

٦- قد + كاد + يفعل: للدلالة على الزمان الماضى المقارب مع التأكيد، كما فى: قد كاد الفريق أن يحقق المفاجأة.

(١) انظر: د. تمام حسان، اللغة العربية (معناها ومبناها): ص ٢٤٥ : ٢٥٢.

برجستراسر: التطور النحوى للغة العربية، أخرجه وصححه: د. رمضان عبدالنواب — القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٢: ص ٨٩.

د. عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث: ص ٢٠١.

(٢) د. عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث: ص ١٨٦، ١٨٧.

د. تمام حسان: اللغة العربية (معناها ومبناها): ص ٢٤٥.

٧- يكاد + يفعل: للدلالة على مقارنة حدوث الفعل في الزمن الحاضر، كما في:
يكاد المجتهد أن يبلغ الأمل.

٨- جعل + يفعل: للدلالة على الماضي الشرعي، أي: الشروع في الفعل والبدء به في
الزمن الماضي، كما في: حضر المدرس، وجعل يشرح الدرس للطلبة.

٩- مازال + يفعل: للدلالة على الزمن الماضي المستمر المتصل بالحاضر، كما في:
مازال الكريم يوجد بماله على الفقراء.

١٠- بات + يفعل ، ظل + يفعل ، ما انفك + يفعل: للدلالة على أن الحدث
كان مستمراً في زمن ماضٍ، أي الزمن الماضي المستمر المتصل بالزمن الحاضر، كما
في: بات يقلب الأفكار.

١١- أضحى + يفعل: للدلالة على الزمن الحاضر الاستمراري الذي يتصل
بالماضي، كما في: أضحى المطر يتدفق بغزارة.

١٢- السين (أو سوف) + يفعل: للدلالة على الزمن المستقبل، ومعنى السين
وسوف: التنفيس في الزمن، إلا أن زمان "سوف" أنفس في الاتساع من زمان
"السين"، كما في: سيصل المسافر غداً، سوف يصل المسافر بعد شهر.

الفصل السابع

الدلالة

الدلالة

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى دراسة المعنى بكل جوانبه:

(المعنى الصوتى وما يتصل به من نبر وتنغيم، والمعنى الصرفى، والمعنى النحوى، والمعنى المعجمى، والمعنى السياقى) ؛ وذلك لأن المعنى اللغوى هو حصيلة هذه المستويات كلها.

ومع دراسة المعنى وجوانبه يهتم البحث الدلالى بالقضايا التالية:

تغير المعنى، وأسباب هذا التغير، ومظاهره، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وصناعة المعجمات على تنوعها.

وفيما يلى خلاصة مركزة عن جوانب هذا العلم:

علم الدلالة *Semantics* :

أهميته:

إن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها من خلال فهم المعنى، ويلعب المعنى دوراً كبيراً فى كل مستويات التحليل اللغوى كما يلعب دوراً كبيراً فى تطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال، وتعليم اللغة، والترجمة، ودراسة اكتساب اللغة^(١).

لذلك يحتل المعنى من بين فروع الدراسات اللغوية أهمية بارزة، أليس المعنى هو هدف الفروع اللغوية الأخرى وحصيلتها؟

وقد نال علم الدلالة *Semantics* اهتماماً كبيراً من العلماء والباحثين فى القديم والحديث، ليس بين أهل اللغة فقط، بل فى فروع العلوم الإنسانية الأخرى، مثل علم

(١) د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة، ص ٥.

النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع وغيرها، وإن اختلفت زوايا اهتمام كل علم من هذه العلوم، " فالألفاظ لاتصالها الوثيق بالتفكير كانت- ومازالت- مجالاً مهماً للدراسة الفلسفية، ولصلتها بالعقل والعاطفة يتناولها أصحاب علم النفس ولكنها- قبل هذا وذاك- عنصر من عناصر اللغة، ولذا يعرض لها اللغويون أيضاً في بحوثهم، ويتناولونها من زوايتهم الخاصة، وإن كانت دراسات كل هؤلاء من أهل العلم تتشابك حدودها، وتتقارب في بعض نواحيها حين تعرض للألفاظ ودلالة الألفاظ"^(١).

وليس بمستغرب أن ينال علم المعنى هذا القدر من الاهتمام بين العلماء والباحثين، فدلالة الألفاظ أمر يتصل بجوانب حياتنا المتعددة، والتواصل بمستوياته المختلفة بين الأفراد والجماعات أو الدول مرهون بتحديد دلالة الألفاظ، وأى خلل في تحديد دلالة الألفاظ المستعملة بينهم يؤدي إلى خلل في التواصل بينهم، والذي ربما ينتج عنه مشكلات لها عواقب سيئة^(٢).

كل هذه الأسباب كانت بمثابة الدوافع التي حركت العلماء والباحثين لدراسة دلالة الكلمات دراسة علمية تتصف بالدقة والعمق؛ بغية الوصول إلى تحديد أدق للمعنى، والكشف عن جوانبه المختلفة، حتى أصبح هذا العلم - بعد أن كان فرعاً من فروع فقه اللغة- يكاد يكون علماً مستقلاً يعرف باسم (علم معاني الألفاظ) أو (علم الدلالة) *Semantics*^(٣).

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ٦ : ٧.

(٢) د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ص ٣ وما بعدها.

(٣) د. مازن المبارك: نحو وعي لغوي، ص ٩٨. وانظر:

- *Semantics: Vol. 2/John Lyons – New York: Cambridge University Press, 1990 – (Introduction).*

تعريف علم الدلالة:

تعددت تعريفات علم الدلالة بين الباحثين فيه والدارسين له، ويكفى أن نرى الأستاذين أوجدن وريتشاردز يقدمان لنا ما لا يقل عن ستة عشر تعريفاً للمعنى، بل اثنين وعشرين تعريفاً، لو أخذنا التعريفات الإضافية الأخرى في الحسبان، إلا أن القاسم المشترك بين تعريفات علم الدلالة هو أنه العلم الذي يدرس المعنى يقول: *John Loyns & Fodor*: "الدلالة هي دراسة المعنى"^(١).

وأطلق على هذا العلم أسماء عديدة، مثل:

— علم الدلالة: *Semantics*.

— علم المعنى: *Meaning*.

— أطلق بعضهم عليه اسم "السيمانتيك"^(٢)، أخذاً من الكلمة الإنجليزية: *Semantics* أو من الكلمة الفرنسية: *Semantique*.

— الدلائيات^(٣).

(1) *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar/ Janet Dean Fodor – 2ed– New York: Harvard University Press, 1982 – P. 9.*

• *Semantics: Vol. 2/hohn Lyons – P.10.*

• *Language and Linguistics / John Lyons – New York: Cambridge University Press, 1987. P. 136.*

• *Modern Linguistics: The Results of Chomsky's Revolution / Neil Smith sand Deivdre Wilson. – Bloomington: indiana University Press, (10..) P. 287.*

• *Semantics: a course book / James R. Hurford and Bredan Heasley – New Yourk: Cambridge University Press, 1990 – P. 10.*

ونص التعريف: "Semantics is the study of meaning".

(٢) انظر: د. كمال بشر، دراسات في علم المعنى (السيمانتيك).

(٣) د. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص ١٥٢ وما بعدها.

أسباب تعدد التعريفات:

التأمل في اختلاف التعريفات المقدمة لعلم الدلالة يلمح أن الاختلاف حول تحديد معنى "المعنى" هو الكامن وراء تعدد التعريفات، والاختلاف حول تحديد معنى "المعنى" نشأ من:

أ- اتصال المعنى بكل المستويات اللغوية الأخرى، أدى إلى اختلاف تحديد معنى "المعنى"، فهل المراد: المعنى المعجمي، أم المعنى النحوي، أم المعنى الصرفي؟.. إلخ^(١).
ب- كون المعنى نقطة التقاء لكثير من العلوم الإنسانية الأخرى، وكل علم له نظريته التي يُعرّفه من خلالها، لذا كان تعدد وتنوع المناهج المختلفة سبباً في اختلاف النظرة إلى المعنى، وبالتالي الاختلاف في تعريفه؛ حيث إن كل علم يركز في تعريفه للمعنى على مجال اهتمامه^(٢).

ج - كثرة المصطلحات المستخدمة واختلافها في تعريف المعنى؛ ليس فقط بين علماء التخصصات المختلفة بل وبين أهل التخصص الواحد، "وكما هو الحال دائماً؛ فإن معظم الخلط أو اللبس ينجم عن الفشل في تدعيم الاتفاق حول الاصطلاح، ذلك أن الاتفاق الاصطلاحي وإن كان غير قادر بذاته على حل الخلافات النظرية التي نجمت في اللغويات، إلا أنه يستطيع - على أية حال - تصفية القضايا، بل وربما إزالة قدر - لا بأس به - من سوء الفهم"^(٣).

(١) د. كمال بشر: المصطلح اللغوي (مأخوذ من نسخة بخط يد المؤلف وتُسخت على الآلة الكاتبة، وهي محاضرة ألقاها المؤلف بمجمع اللغة العربية بالقاهرة).

(٢) د. كمال بشر: دراسات في علم المعنى (السيمانتيك): ص ٤.

(٣) السابق: ص ٨٤.

الصلة بين اللفظ والمعنى:

الألفاظ أجساد لباسها المعاني، وثمة صلة بين اللفظ والمعنى، راح القدماء يبحثون أصل هذه الصلة^(١)، ولعلمهم ورثوا ذلك عن فلاسفة اليونان^(٢)، واختلافهم في شأن هذه الصلة: هل هي توقيفية طبيعية أم اصطلاحية عرفية؟

غير أن الدرس اللغوي الحديث لا يعنيه بحث أصل هذه الصلة القائمة بين الألفاظ ومدلولاتها؛ وذلك لأن بحث هذه الصلة خارج حدود المنهج العلمي، فاللغة علم، والعلم حقائق يستدل عليها بالشواهد الواضحة والأدلة الصحيحة، أما البحث في أمور هي في حكم الغيب فليس من مجال البحث العلمي، إنما الذى يعنى البحث العلمى هو الاهتمام بهذه الصلة بعد أن وجدت: هل ظلت هذه الصلة ثابتة أم تغيرت، وما أسباب هذا التغير، وما وسائله ... إلخ.

حدود المعنى اللغوى:

يدرس علم اللغة الحديث "المعنى" من خلال دراسته لمجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة، بل لا بد من تناولها على مراحل (مستويات) مختلفة: (صوتية، صرفية، نحوية، معجمية، سياقية)، وذلك لأن المعنى^(٣) هو حصيلة كل هذه المستويات اللغوية فالهدف من النص هو إظهار معنى معين، وأهم العناصر المؤثرة في تحديد المعنى هي:

(١) السيوطي: الزهر ١/ ٢٢، ٤٧.

(٢) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص ٦٢ وما بعدها.

(٣) المقصود بالمعنى هنا هو المعنى اللغوي المتحصل من أى حدث لغوي بكل مستوياته، أما المعاني غير اللغوية التي تمثل اهتمامات مجالات أخرى، مثل: الفلسفة والمنطق والاجتماع... إلخ، فهي خارجة عن دائرة البحث.

أ - المعنى الوظيفي: (الصوتي، الصرفي، النحوي).

ب - المعنى المعجمي.

ج - المعنى السياقي.

وهذا التقسيم للمعنى لا وجود له على المسرح اللغوي أثناء استعمال المتكلم للغة، فكل جوانب المعنى تأتي مجتمعة أثناء الكلام، غاية ما في الأمر أن هذا التقسيم دراسي؛ يساعد الباحث على تحليل المعنى ودراسته، وإلا فالمعنى "كلُّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية، والقاموسية، والوظيفية الدلالية لسياق الحال"^(١).

وفي السطور التالية شيء من التفصيل للعناصر الثلاثة للمعنى:

أ - المعنى الوظيفي :

١- الدلالة الصوتية:

يعتمد تحديد المعنى وتوضيحه على خواص صوتية معينة، سواء أكان ذلك على مستوى المعجم أو السيمانتيك *Semantics* ^(٢).

ومثال المعنى الوظيفي المستفاد من الدلالة الصوتية، هو التمييز بين الكلمات، حيث إن كل تغير صوتي يتبعه تغير دلالي، سواء أكان هذا التغير الدلالي مباشراً مثل المعنى المعجمي في مثل: (قال) حين نغير الوحدة الصوتية *Phoneme* "ق" بوحدة صوتية أخرى "ن" لتصبح الكلمة "نال"، والفرق واضح بين معنى الكلمتين على مستوى المعجم.

(١) د. محمود السعران: علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربي)، ص ٣٤٠.

(٢) د. كمال بشر: دراسات في علم المعنى، ص ١٠٩.

وقد يكون للتغير الصوتي أثر في التغير الدلالي، ولكن بصورة غير مباشرة، فحين تؤثر الوحدات الصوتية في الوحدات الصرفية، فإن ذلك يؤثر في المعنى، مثل الهمزة: تحول الفعل اللازم إلى فعل متعدّد مثل: سجد، أسجد، فهم: أفهم، وهنا تغيرت الصيغة الصرفية، مما أدى إلى تغير في الدلالة.

كذلك التنغيم *Intonation* له دور هام في التفريق بين أنماط الجمل، فيمكن أن نفرق بين الجملة الاستفهامية والإثباتية بواسطة التنغيم، ومثال ذلك: قول الله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك:

﴿ قَالُوا جَزَأَوْهُ مِن وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَأَوْهُ ﴾ يوسف/ ٧٥

فلا شك أن تنغيم جملة: ﴿ قالوا جزأوه ﴾ بنغمة الاستفهام، وجملة: ﴿ من وجد في رحله فهو جزأوه ﴾ بنغمة التقرير، سيقرب معنى الآية إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها^(١).

٢- الدلالة الصرفية:

الوحدة الصرفية *Morpheme* لها تأثير مباشر على المعنى، فمثلاً تختلف دلالة صيغة اسم الفاعل عن دلالة اسم المفعول، وكلاهما يختلف عن دلالة صيغة المبالغة: " قائل، مقول، قوأل"، هذا على مستوى المعجم.

كذلك تؤثر الصيغ الصرفية على التركيب، مما يؤثر على المعاني النحوية، وبالتالي على المعنى العام؛ مثل اكتفاء الفعل اللازم بفاعله، فإذا استعملنا صيغة فعل متعدّد، فإن الفعل يتعدى إلى مفعول ولا يكتفى بفاعله، والفرق واضح في المعنى بين الفعل اللازم والمتعدى في مثل: قام محمد، أقام محمد ندوة.

والصيغ الضرفية كثيرة ومتنوعة، وليس هذا مجال حصرها.

(١) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة" ص ١٣.

٣- الدلالة النحوية:

الدلالة النحوية مرتبطة بتغيير مواقع الكلمات في الجملة، فتغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى، فجملة: الرجل يعاتب المرأة، تختلف في المعنى عن: المرأة تعاتب الرجل، وهذا التغير في المعنى ناشئ عن تغير مواقع الكلمات؛ أى تغير الوظيفة النحوية.

" والمعنى الوظيفى بصوره الثلاث المتقدمة (صوتية، صرفية، نحوية) هو معنى الجزء التحليلى الذى يخضع للضبط والتقييد، فالأصوات تخضع لتقييد سلوكها إدغاماً و إخفاءً وإقلاباً .. إلخ، والعناصر الصرفية تخضع لقواعد الصرف، كما تخضع العناصر النحوية لقواعد النحو" (١).

ب - المعنى المعجمى :

هو المعنى الذى تدل عليه الكلمات حال انفرادها، وهذا المعنى لا يخضع للضبط ولا للتقييد- كما يخضع المعنى الوظيفى- وإنما هو معنى يحدده العرف العام وتظهر هنا العلاقة العرفية التى اصطلح عليها المجتمع بين الكلمة المفردة وبين معناها وليس هناك من سبب طبيعى أو ذهنى منطقى للعلاقة بين الكلمة ومعناها، فهى علاقة اعتباطية، وهذا المعنى يتصف بالتعدد والتنوع والاحتمال، حيث إن الكلمة لا يمكن أن يتحدد معناها مادامت خارج السياق، فإذا انتظمت الكلمة فى سياق لغوى تحدد معناها.

ج - المعنى السياقى :

المعنى السياقى معنى واحد ومحدد- على خلاف المعنى المعجمى فهو احتمالى ومتعدد- ويطلق عليه المعنى الاجتماعى، أو المعنى المقامى، وهو معنى يستتبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوى)، مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التى تتصل بها (السياق غير اللغوى)، وسأتى تفصيل هذا المعنى فى عرض النظرية السياقية.

(١) انظر: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٤، د. تمام حسان: اللغة العربية (معناها ومبناها)، ص ٣٥٤.

مناهج البحث الدلالي ونظرياته

تعددت المدارس التي عاجلت المعنى^(١)، وقدمت هذه المدارس مناهج عديدة: (الوصفي، التاريخي، التقابلي، المقارن)^(٢)، ولكل منهج نظرياته، وفي إطار المنهج الوصفي نلتقى بنظريات متنوعة، تتكامل فيما بينها، ومن أهم هذه النظريات:

١- نظرية المجال الدلالي : *Semantic Field Theory*

٢- نظرية السياق : *Context Theory*

٣- نظرية التحليل التكويني : *Componential Analysis Theory*

١- نظرية المجال الدلالي *Semantic Field Theory*:

الثروة اللفظية للغة ما عبارة عن مجموعة مغلقة من المواد المعجمية، ومن الممكن أن تصنف هذه الثروة بحيث تصبح مجموعة من المجالات، فالجمل الدلالي عبارة عن مجموعة جزئية من مفردات اللغة، حيث إن المجالات الدلالية هي وقائع حية تتوسط الكلمات الفردية وكلية الثروة اللفظية^(٣).

(١) من أشهر المدارس الأخرى التي عاجلت المعنى:

أ- المدرسة العقلية (الإشارية): ويمثل هذه المدرسة عدد من اللغويين المشهورين، ومنهم: دى سوسير، أوجدن، ريتشاردز، ويتبعهم أولمان. وأصحاب هذه المدرسة يحاولون تحليل المعنى بربط الدال بالمدلول، أو الدال بالصورة الذهنية حتى يتضح المعنى، وينضم لهذه المدرسة تشومسكى.

ب- المدرسة السلوكية: ويمثل هذه المدرسة بلومفيلد، وتفسر المعنى اللغوي على أساس النظرية السلوكية التي تعتمد في بحوثها على تصرفات الإنسان وسلوكه في المواقف المختلفة، مع الاهتمام بعنصرى: المثير ورد الفعل، وتلمح هنا محاولة بلومفيلد التخلص من آراء المدرسة العقلية التي تعتمد في تحليل المعنى على الفكر أو الصورة الذهنية.

(٢) انظر: ص ٩٢ من الدراسة.

(3) *Semantics: J. Lyons., P.1, p. 251, 253.*

ويتحدد معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية من خلال علاقتها بالكلمات المشتركة معها في المجال الدلالي نفسه، والتي تتميز بوجود ملامح دلالية مشتركة فيما بينها، حيث إنهم يعتمدون على فكرة أن "المعاني لا توجد في الذهن منعزلة، بل بينها ترابط ملحوظ"، يقول فندريس:

" إن الذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عُرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تشبث دائماً بعائلة لغوية"^(١).

وحيث إن الثروة اللفظية للغة ما عبارة عن نسق متكامل من المواد المعجمية التي ترتبط بالمعاني، فقد قام أصحاب هذه النظرية بتقسيم الثروة اللفظية للغة حسب المعنى إلى مجالات دلالية، مثل: ألفاظ القرابة واللون والحركة والكلام... إلخ.

وميز أصحاب نظرية المجال الدلالي بين المجالات المحسوسة والمجالات المجردة وأوتووا اهتماماً خاصاً للمجالات المجردة، نظراً لأنها تمثل أهمية بالغة في التعبير عن الصور الذهنية والفكر البشرى بوجه عام.

كذلك اهتم أصحاب هذه النظرية بتصنيف الكلمات داخل المجال الواحد حسب درجة الأهمية وشيوع الاستعمال، إلى ألفاظ أساسية وألفاظ ثانوية، وإلى ألفاظ شائعة وأخرى غير شائعة، واجتهد علماء اللغة من أصحاب هذه النظرية في وضع المعايير التي تستخدم لتصنيف الألفاظ داخل المجال الدلالي، ومن أهم هذه المعايير:

١- معيار *Kay & Berlin*^(٢) :

ويشترط في الكلمة- كى تصنف ضمن الكلمات الأساسية داخل المجال- شروط، أهمها:

(١) أن تكون الكلمة من وحدة معجمية واحدة.

(١) فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص: ص ٣٣٣.

(٢) انظر: د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٩٦: ٩٧، واللغة واللون: ص ٣٦.

- ٢) أن يكون استعمالها غير مقيد أو محدد بمجال ضيق من المعنى.
- ٣) أن تكون ذات بروز وتميز بالنسبة لغيرها من كلمات نفس المجال في استعمال ابن اللغة.
- ٤) ألاّ يستدل على معناها من معنى أجزائها.
- ٥) ألا يكون معناها متضمنًا في كلمة أخرى ما عدا الكلمة الرئيسية.

٢- معيار *Montageue & Batting*^(١) :

وهذا المعيار قائم على أساس إحصائي، ترتب فيه الكلمات على حسب نسبة ترددها، والكلمات الأكثر ترددًا هي التي تكون أساسية.

اللغويون القدماء وفكرة المجال الدلالي:

لقد فطن اللغويون القدماء إلى فكرة المجال الدلالي بحسب اللغوى المرفه وفهمهم الثاقب، وإن لم يطلقوا عليها المصطلح نفسه، وليس أدل على ذلك من الرسائل والمعجمات التي جمعت فيها الكلمات تحت معنى عام، وأصبح كل منها يعالج موضوعًا بعينه، وأوضح مثال على ذلك: "المخصص" لابن سيده (ت: ٤٥٨ هـ)، حيث يمثل هذا العمل فكرة واضحة لنظرية المجالات، ويشمل هذا المعجم كتبًا متنوعة، ويضم كل كتاب أبوابًا عديدة، كل باب منها يعالج مجموعة من الألفاظ يضمها موضوع واحد، وكذلك ما نجد في كتاب "مبادئ اللغة" للإسكافي (ت: ٤٢١ هـ)، وكتاب "فقه اللغة" للشعالى (ت: ٤٣٠ هـ)، وغيرهما.

(١) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة: ص ٩٧.

العلاقات الدلالية داخل المجال:

اهتم أصحاب نظرية المجال الدلالي بالعلاقات الدلالية داخل المجال الدلالي حيث إن معنى الكلمة عندهم هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في المجال الدلالي نفسه، وأهم هذه العلاقات^(*):

١- الترادف *Synonymy*

٢- التضاد *Antonymy*

٣- الاشتمال "التعميم" *Hyponymy*

٤- علاقة التخصيص.

٥- التباين.

١- الترادف:

علاقة الترادف من أكثر العلاقات الدلالية وقوعاً بين ألفاظ المجال الدلالي؛ نظراً لتشابه وتقارب كثير من الملامح الدلالية بين ألفاظ المجال الواحد، مما يتيح لأفراد الجماعة اللغوية استخدام ألفاظ المجال الدلالي كمترادفات يحل بعضها مكان بعض.

-
- لم نذكر المشترك اللفظي ضمن العلاقات الدلالية داخل المجال الدلالي، وذلك لأنه لا وجود له بين الألفاظ التي تنتمي إلى مجال واحد، حيث إن نظرية المجالات قد حلت هذه المشكلة وعالجتها، لأن الكلمات المنتمية إلى مجالات مختلفة سوف تعامل على أنها كلمات منفصلة فمثلاً:
 - كلمة "قال" بمعنى القول، تنتمي إلى مجال الكلام.
 - كلمة "قال" بمعنى: النوم وقت الظهيرة، تنتمي إلى مجال الحركة.

— الترادف عند القدماء:

عرفه القدماء بأنه " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد"^(١)، ومثاله ما أورده ابن جنى في "الخصائص" تحت "باب: في تلاقي المعان على اختلاف الأصول والمبانى"، مثل: السخيلية، السحبية، الطبيعية، الغريزة، السليقة^(٢). واضطربت آراء القدماء في الترادف، وتوزعت بين مؤيد ومعارض، والتصنيف الذى أورده الدكتور كمال بشر (في تعليقاته على ترجمة كتاب دور الكلمة في اللغة) يظهر بوضوح ودقة موقف القدماء تجاه قضية الترادف، وسوف يسير البحث هنا على هدى هذا التقسيم.

١- فريق يؤمن بوجود الترادف، لكنه ترادف غير تام، أى بمعنى التقارب في المعنى ومن هؤلاء ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، حيث يقول بعد ذكر عدد من المترادفات: "... على مذهبا في أن في كل واحدة منها ما ليس في صاحبتهما من معنى وفائدة" أى أنه يؤمن بالترادف ولكن على أساس أن لكل كلمة لوتاً معيناً من المعنى، أو على الأقل فائدة أو وظيفة خاصة في الاستعمال"^(٣)، كذلك أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) الذى يقول: " إن في الكلام ألفاظاً متقاربة المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنت والصفة، وقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم من وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة خاصة تتميز بها عن صاحبتهما في بعض معانيها، وإن كانا يشتركان في بعضها"^(٤).

(١) السيوطى: المزهرة في علوم اللغة: ٤٠٣/١.

(٢) ابن جنى: الخصائص: ١١٨ / ٢.

(٣) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١١٧.

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص ٢٩.

٢- فريق ينكر وجود الترادف في اللغة إنكاراً تاماً، ومن هؤلاء أبو علي الفارسي الذي أنكر على ابن خالويه أن للسيف خمسين اسماً، وقال أبو علي: "لا أعرف له إلا اسماً واحداً، فقال ابن خالويه: وأين المهند، والعضب، وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفاته"^(١). ولا شك أن صفات السيف لها معان مستقلة ومغايرة لاسم السيف، وبالتالي لا يقع الترادف بينها جميعاً.

ومن أشهر اللغويين المنكرين للترادف ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، حيث يقول "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منها معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما جهلناه، فلم نلزم العرب جهله"^(٢)، وقد ألف أبو هلال العسكري كتابه "الفروق اللغوية" لإثبات الفروق بين الألفاظ التي قيل بترادفها.

٣- فريق ثالث يؤمن بوقوع الترادف مطلقاً، ويرون أن الترادف من أخصّ خصائص العربية، وحجتهم في ذلك: أن أصحاب اللغة "إذا أرادوا أن يفسروا اللبّ قالوا: هو العقل، أو الجرح، قالوا: هو الكسب، أو السكب، قالوا: هو الصب، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكسب والسكب والصب، وما أشبه ذلك"^(٣).

وقد أفرد بعضهم كتباً للكلمات المترادفة، مثل:

- أ- ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ): ألف كتاباً في أسماء الأسد، وكتاباً آخر في أسماء الحية.
ب- الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) وضع كتاباً في أسماء: "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف".

(١) السيوطي: المزهرة في علوم اللغة: ٣٩٩/١، ابن الأنباري: الأضداد: ص ٧.

(٢) السيوطي: المزهرة في علوم اللغة: ٤٠٨/١.

(٣) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١١٧.

واحتج المؤمنون بوقوع الترادف مطلقاً " بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى؛ لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة، وذلك أنا نقول في: ﴿لا ريب فيه﴾ : لاشك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبّر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد" (١).

لكن ابن درستويه وجه نقدًا للمؤمنين بوقوع الترادف مطلقاً، واتهمهم " بأنهم جهلوا حقيقة الأمر، فهو يرى أن الفروق في الدلالات بين المترادفات كان يعرفها العرب الأول ويدركونها بسليقتهم وطبيعتهم السليمة، ولكن هؤلاء القوم القائلين بوقوع الترادف لم يستطيعوا فهم هذه الفروق وإدراكها، فظنوا أن الكلمات متحدة المعنى، ونسبوا ذلك إلى العرب، وهذا خلاف الواقع" (٢).

جانب من العلماء صنّفوا الترادف إلى قسمين:

(أ) الترادف الواقع بين العبارات والجمل، لا الكلمات المفردة، مثل: لم الشعث - رتق الفتق، وعرفوه بأنه: " إقامة لفظ مكان لفظ، لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد". والشواهد التي سبقت على هذا النوع تحدد أن معنى "لفظ" في التعريف إنما هو العبارات والجمل (٣).

(ب) التوارد: ويتحقق ذلك " حين تضع أكثر من اسم للذات الواحدة والشيء الواحد، كأن تسمى الأسد بالسبع، والليث، والضرغام" (٤)، ونفهم من الأمثلة أن التوارد عندهم يقابل "الترادف" عند غيرهم.

(١) السير: المزهري في علوم اللغة: ٣٨٤/١ : ٣٨٥.

(٢) المرجع السابق: ٤٠٦/١ : ٤٠٧.

(٣) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية - تعليق المترجم): ص ١١٩.

(٤) السيوطي: المزهري: ٤٠٦/١.

- الترادف عند المحدثين:

آراء المحدثين لحق بها الخلاف مثلما حدث بين القدماء في مسألة الترادف، وميز المحدثون بين الترادف التام (الكامل)، والترادف بمعنى التقارب في المعنى أو أشباه الترادف.

أ- الترادف التام الكامل *Complete Synonymy*:

أكثر اللغويين المحدثين على إنكار هذا النوع، حيث "إن الثروة اللفظية للغة ما تمايز في إطار الفروق الأكثر خصوصية"^(١)، ولو "كانت الكلمتان مترادفتين من جميع النواحي لما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معاً"^(٢)، كما أن الاختلاف الصوتي يتبعه اختلاف دلالي، ويبين *J. Lyons* " أن هناك فروقاً دقيقة بين الكلمات التي يعتقد أن بينها ترادفاً تاماً، ولكن قد يصعب ملاحظة هذه الاختلافات، إذ إن معلومات الفرد متأ عن اللغة بعيدة عن مجال الفحص الدقيق"^(٣).

ب- الترادف بمعنى التقارب في المعنى *Near Synonymy*:

وذلك بأن يتفق اللفظان في كثير من الملامح الدلالية، لكن يختلف كل لفظ منهما عن الآخر في ملامح دلالي مهم أو أكثر، وهذا النوع من الترادف هو الشائع في اللغة، ويوجد داخل ألفاظ المجال الدلالي، حيث تشترك ألفاظ المجال في كثير من الملامح الدلالية التي تجمعها تحت معنى واحد، لكن تبقى فروق دقيقة أو ملامح دلالية خاصة ومهمة تميز بين كل كلمة وأخرى داخل المجال الدلالي.

(1) *J. Lyons: Semantics, V.1, P.262*

(٢) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص ٢٢٥.

(3) *Language and Linguistics. P. 150, 151.*

ونجد أولمان بعد أن عرف المترادفات بأنها " ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أى سياق"^(١) - والترادف بهذا المعنى نادر الحدوث - يعترف بوجود الترادف بمعنى التقارب في المعنى فيقول: " وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات"^(٢) .

- أسباب الاختلاف في مسألة الترادف:

يرجع الاختلاف في مسألة الترادف إلى ثلاثة أسباب:

الأول: عدم الاتفاق بين الدارسين على المقصود بالترادف.

الثاني: اختلاف المناهج بين الدارسين والباحثين في معالجة الترادف.

الثالث: اختلاف المناهج في تحديد معاني المفردات وتعريفها.

٢- التضاد: *Atonymy*

هو "نوع من العلاقة بين المعاني، بل وربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولاسيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعى المعاني"^(٣).

التضاد عند القدماء:

يقصد بالتضاد عند القدماء أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، ومن أمثلة التضاد بهذا المفهوم: دلالة "الجون" على الأبيض والأسود، و"القرء" للطهر والحيض، والنَّد:

(١) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية)، ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٠.

(٣) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية: ص ٢٠٧.

للمثل والضد، والزوج: للذكر والأنثى والسليم: للديغ والسليم^(١).

واختلف اللغويون القدماء في وقوع التضاد في اللغة، فأنكره جماعة واجتهدوا في تأويل أمثله تأويلاً يخرجها من باب التضاد، وعلى رأس هؤلاء ابن درستويه (ت: ٣٤٧ هـ) فقد ألف كتاباً أسماه: "في إبطال الأضداد"^(٢)، أما المثبتون فهم أكثر أهل اللغة، ومنهم: الخليل، وسيبويه، وأبو زيد الأنصاري، وابن فارس، وابن سيدة، والثعالبي، والمبرد، والسيوطي.^(٣) وبعضهم ألف في الأضداد، مثل: قطرب، والأصمعي، وأبي حاتم السجستاني وابن السكيت الصنعاني، ابن الأنباري... وغيرهم.

وتعرض اللغويون لأسباب نشأة التضاد، من اختلاف اللهجات، والمجاز والاستعارة، واشتمال الصيغة الصرفية على أكثر من معنى، وبعض العوامل الاجتماعية مثل: التهكم، التأدب، خوف الحسد... إلخ.

التضاد عند المحدثين:

رغم أن التضاد بالمفهوم القديم موجود في اللغة، إلا أنه لم يحظَ باهتمام ملحوظ من اللغويين المحدثين، اللهم إلا ما يأتي عرضاً عند بعضهم، مثل: *Ullmann* حين قال:

" من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنباً إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أى إزعاج أو مضايقة"^(٤).

(١) الثعالبي: فقه اللغة: ص ٣٧١: ٣٧٢.

(٢) السيوطي: المزهري: ٣٦٩/١.

(٣) ابن سيدة: المخصص: ٢٥٨/١٣ وما بعدها.

(٤) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١١٩، ١٢٠.

وأخذ التضاد عند المحدثين مفهوماً مختلفاً للكلمة الواحدة عن المفهوم القديم فالتضاد عند المحدثين يعنى: " وجود لفظين، يختلفان نطقاً ويتضادان معنى" (١) "والخاصية الأساسية لكلمتين بينهما تضاد أنهما يشتركان في ملامح دلالية واحد وهناك ملامح دلالية لا يشتركان فيه، يكون موجوداً بإحدهما وغير موجود بالأخرى"، (٢) مثل: مذكر، مؤنث : يشتركان في الجنس، ويختلفان في النوع.

والتضاد بالمعنى الحديث هو الواقع بين ألفاظ المجال الدلالي، وميز اللغويون المحدثون التضاد إلى أنواع متباينة، فنجد *J. Lyons* يفرق بين التضاد الحاد *ungradable* مثل (حى - ميت)، (متزوج - أعزب)، والتضاد المتدرج *gradable*، وهذا النوع من التضاد نسبي، مثل: (ساخن - بارد)، فإن هناك درجات من السخونة والبرودة متعددة تجعل التضاد نسبياً.

وهناك التضاد العكسي، الذى يظهر بين أزواج الكلمات مثل: باع - اشترى دفع - أخذ. وهناك التضاد الاتجاهى الخاص بالاتجاهات: أعلى - أسفل، فوق - تحت ... إلخ. وهناك أيضاً التضاد العمودى: شرق - غرب - شمال - جنوب ... إلخ (٣).

٣- علاقة الاشتمال (التعميم):

لاتقل هذه العلاقة أهمية عن علاقة الترادف والتضاد، وهى نوع من العلاقة بين الكلمات يمكن أن نطلق عليها " علاقة تَضْمُن " (٤). وعلاقة الاشتمال تتميز عن علاقة

(1) *An introduction to Language: Victoria Fromkin, Robert Rodman. - 3ed. New York: Holt, Rine. - hart and winston. 1978. - P. 176.*

(٢) المرجع السابق: نفس الموضوع.

(٣) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص ١٠٠.

(4) *John Lyons: Semantics, P. 1, p. 291.*

الترادف بخاصية هامة، وهى أن علاقة التضمَّن هى الاشتمال من طرف واحد، على خلاف علاقة التضمَّن فى الترادف فهى من الجانبين^(١).

ومثاله العلاقة بين ألفاظ المجال الدلالى واللفظة العامة التى تجمع المجال كله لعموم معناها، فمثلاً هناك علاقة تضمن بين دعا- قال، حيث إن الدعاء يتضمن معنى القول:
قال : اللفظ الأعم.
دعا : اللفظ الفرعى.

٤- علاقة التخصيص:

مثل علاقة اليد بالجسم، وهذه العلاقة نسبية، فاليد جزء والجسم كلٌّ بالنسبة لليد، بينما الأصبع جزء من اليد، واليد كل بالنسبة للأصبع.

٥- التباين:

وهو "عدم التضمن من طرفين"^(٢) وألفاظ القرابة توضح هذه العلاقة، نحو: "أب، أخ، أخت، عم، خال... إلخ".
فمعانى هذه الألفاظ لا يتضمن أى منها لفظاً آخر. وعلى هذا فالعلاقة بين هذه الألفاظ علاقة تباين.

٢- نظرية السياق *Context Theory*:

ركزت المدرسة الاجتماعية على دور السياق فى تحديد المعنى، فالكلمة يتحدد معناها من خلال السياق الذى ترد فيه، حيث إن للكلمة عدة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدد أحد هذه المعانى أو وجهاً منها، وكما يقول الفيلسوف الألمانى فتحنشتين *Wittgenstein*:

(١) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة : ص ٩٩.

(٢) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة : ص ١٠٥.

" معنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة" ، وهو يقول أيضًا : "لا تسأل عن المعنى، ولكن سل عن الاستعمال" (١) وترغم "فيرث" فكرة السياق وأصل دراسة المعنى من خلال إطار منهجي، والسياق نوعان: لغوي، وغير لغوي.

أ- السياق اللغوي *Verbal Context* :

وفيه تراعى القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النظم، وهذا لا يشتمل على الجملة وحدها، بل ينتظم الفقرة أو الصفحة أو الفصل أو الباب أو الكتاب كله.

والمثال على ذلك: الفعل " أكل " ومعانيه المتعددة من خلال السياقات القرآنية التالية^(٢):

١- ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ الفرقان/٧ . فالأكل هنا بمعنى التغذية

٢- ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّبْطُ ﴾ يوسف/١٣ . فالأكل هنا بمعنى الافتراس.

٣- ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ ﴾ الأعراف/٧.

فالأكل هنا بمعنى الرعى.

٤- ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ الحجرات/١٢.

فالأكل هنا بمعنى الغيبة.

٥- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَتَمَسُوا ظُلْمًا ﴾ النساء/١٠ . فالأكل هنا بمعنى

الاختلاس.

٦- ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَٰنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ آل عمران/١٨٣ . فالأكل هنا بمعنى الإحراق.

(1) *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammer. P. 19.*

(٢) د. كريم زكى حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، ص ٧٢.

كذلك يمكن أن تمثل للسياق اللغوي بكلمة "عين" حين ترد في سياقات لغوية متنوعة، وكل سياق يظهر ويحدد وجهًا من معانيها:

عين الماء :	البئر.
عين الدولة :	الجاسوس.
عليه العين :	الاهتمام.
تأجير العين :	المكان.
عينه فيها :	الرغبة.
أحطه في عيني:	الرعاية.
إدألو عين :	الحسد.
عينه هاتطلع :	الغيظ والضيق.
عيني في عينك:	المواجهة.
عيني عينك :	بوضوح.

وهكذا فقد تعددت المعاني لكلمة "عين" وحدد كل سياق أحد هذه المعاني.

ومن السياق اللغوي ما يسمى "المصاحبات اللفظية"، أو "التلازم اللفظي" *Collocation*، ويعرفه *Firth* بأنه:

"الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما، بكلمات أخرى معينة"، أو "استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، يأتي استعمالهما عادة مرتبطين الواحدة بالأخرى"^(١)، ومن أمثلة ذلك كلمة "مجلس":

(١) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص ٧٤.

— مجلس علم	— مجلس الشعب.
— مجلس الكلية	— مجلس صلح.
— مجلس الجامعة	— مجلس الإدارة.
— مجلس تأديب	— مجلس الأمن.

ومن هنا تظهر أهمية السياق اللغوى ودوره فى تحديد المعنى وفهمه.

ب- السياق غير اللغوى "سياق الموقف" *Context of Situation*:

وهو يمثل الظروف والملابسات والمواقف التى تم فيها الحدث اللغوى وتتصل به وهو ما أطلق عليه الدكتور بشر: "المسرح اللغوى"، ويسميه *Firth*: "سياق الحال" ويعرفه بأنه: "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامى، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافى، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع — إن وجدوا — وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوى، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوى لمن يشارك فى الموقف الكلامى كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسى، وكمكان الكلام"^(١).

ومن هنا نلمح أن السياق غير اللغوى يضم سياقات متنوعة مثل: السياق العاطفى، والسياق الثقافى، والسياق الموقفى، ولكل واحد منها دور يسهم به فى تحديد المعنى، فدرجة الانفعال قوةً وضعفًا فى الحديث تؤثر فى تحديد المعنى، فقوة الانفعال تؤكد مثلاً دلالة "الغضب" أو دلالة "الفرح الشديد" أو دلالة "الحزن"، كذلك المحيط الثقافى لكلمة ما يؤثر فى تحديد المعنى، فدلالة كلمة "جذر" عند الفلاح تختلف عن دلالتها عند اللغوى، وهى فى مجال الرياضيات بمعنى ثالث يختلف عن معناها عند الفلاح وعند

(١) د. محمود السمران: علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربى)، ص ٣٣٨.

اللغوى، وكلمة "التعدّي" عند أهل اللغة لها دلالة تختلف عن دلالتها عند رجال الشرطة والقضاء.

كذلك أطراف الموقف الكلامي تؤثر في تحديد المعنى، فسؤال الأستاذ للتلميذ للاختبار والتقييم، أما سؤال التلميذ للأستاذ فهو للاستفادة وزيادة العلم أو إزالة الجهل.

أيضًا الموقف الذى يقع فيه الحدث الكلامي له اعتبار مهم في تحديد المعنى فعبرة "السلام عليكم" تحية إسلامية، ولكن هذه العبارة قد تتحول إلى معنى المغاضبة والمقاطعة حين يحتد النقاش بين شخصين ويأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب مغاضبًا وهو يقول: "السلام عليكم"، فالقمام هنا يصرف معناها من كونها تحية إسلامية إلى دلالة المقاطعة والغضب^(١).

كذلك عبارة " حمدًا لله على السلامة " تقال لمن قَدِمَ من سفر، بدلالة الترحيب والحفاوة، لكن العبارة نفسها تتحول إلى دلالة المعاتبة حين تصدر من رئيس لموظف غاب أو تأخر عن عمله.

كيف يدرس السياق غير اللغوى فى كلام مكتوب؟

التعرف على السياق غير اللغوى فى كلام مكتوب يتأتى من خلال الظروف والملابسات المصاحبة للنص، والمسجلة كتابة، وكلما كان الوصف المكتوب وافيًا فى بيان الموقف الذى تم فيه النص اللغوى، أصبح السياق غير اللغوى واضحًا، يقول د. تمام حسان:

" فإذا كان "المقال" لا يقع- فى أثناء قراءته فى وقت لاحق- فى مقامه الاجتماعى الذى كان له فى الأصل، فإن هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضرورى أن يعاد

(١) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٣٤٥.

بناؤه في صورة وصف له مكتوب، حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح، وفي بناء هذا المقام الأصيل بناءً جديدًا بواسطة وصفه كما كان، لا بد من الرجوع إلى الثقافة عمومًا والتاريخ بصفة خاصة، وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلًا، كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحًا في النهاية"^(١). ولقد أكدت المدرسة الاجتماعية دور السياق بنوعيه: (اللغوي وغير اللغوي) في تحديد المعنى.

السياق عند القدماء:

لقد فطن القدماء إلى فكرة السياق بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي. ونظرية النظم عند عبد القاهر خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي، يقول عبد القاهر: "اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيف عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"^(٢).

نلاحظ هنا مدى الاهتمام بصحة الكلام، وصحة الكلام لاشك مرتبطة بصحة المعاني الناتجة عن فكرة الموقعية .. وهذا سياق لغوي.

كذلك نجد للزمخشري اهتمامًا واضحًا بالسياق اللغوي في تفسيره "الكشاف" خاصة في توجيه الإعراب، حيث يقدم أكثر من وجه للآية، ولكل وجه معنى ومثال ذلك ما قدمه من وجوه في إعراب هذه الآية:

﴿ ذَٰلِكَ أَلْكِتَبُ لَا يَرِيْبُ فِيْهِ ﴾ ^(٣) البقرة/ ٢ .

(١) د.ممام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٣٤٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص ٨١.

(٣) الزمخشري: الكشاف: ١/١٠٨.

أما اهتمام القدماء بالسياق غير اللغوي "سياق الموقف" فواضح عند البلاغيين حيث عرفوا البلاغة بأنها:

"مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"^(١)، وذكر أبو هلال العسكري وغيره عبارة "لكل مقام مقال"^(٢)، ودعا الجاحظ إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكرر ذلك في كتبه، ونقل قولهم: "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً وتلك الحال له وفقاً.. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم وعلى أقدار منازلهم"^(٣).

ونقل الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتمر قوله:

" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات"^(٤).

ونجد ابن خلدون أيضاً يهتدى إلى سياق الموقف، وهو سياق غير لغوي ويسميه "بساط الحال"، يقول ابن خلدون:

" الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها، ويبقى ما تقتضيه الأحوال - ويسمى بساط الحال - محتاجاً إلى ما يدل عليه، وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود؛ لأنها صفاته"^(٥).

(١) القزويني، الإيضاح: ص ١١.

(٢) رسائل الجاحظ: ٩٣/٢، الحيوان: ٤٣/٣، أبو هلال العسكري: الصناعتين: ص ٢١، ٢٧.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين: ٩٣/١.

(٤) المرجع السابق: ١٣٨/١.

(٥) ابن خلدون، المقدمة: ص ٣٤٤، ٣٤٥.

ويظهر الاهتمام بالسياق عامة (لغوى — غير لغوى) عند بشر بن المعتمر حيث يقول:

" وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"^(١).

ونلمح الاهتمام بالسياق غير اللغوى فى قوله: "... مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"، ويظهر الاهتمام بالسياق اللغوى فى قوله: "وإنما مدار الشرف على الصواب".

٣- نظرية التحليل التكويني *Compositional Analysis Theory*:

حين يستخدم الباحث نظرية المجال الدلالى *Semantic Field* يحتاج- بعد تحديد ألفاظ المجال الدلالى وجمعها- إلى التمييز الدقيق بين معانى الكلمات داخل المجال، وهنا يأتى دور النظرية التحليلية، لتمد الباحث بأهم الملامح الدلالية، سواء تلك الملامح التى تشترك فيها ألفاظ المجال الدلالى، أو تلك الملامح التى تميز بين ألفاظ المجال الواحد، "حيث إن معنى الكلمة يتحدد عند أصحاب هذه النظرية بمجموع الملامح الدلالية التى تحملها"^(٢)، لذلك عد *J. Lyons* "نظرية التحليل التكويني" مكملة لنظرية "المجال الدلالى" وامتداداً لها^(٣)، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ثمة علاقة بين "نظرية التحليل التكويني" و"النظرية السياقية"، حيث إن السياق خطوة تمهيدية لنظرية "التحليل التكويني" ولقد عد *Ulmann* المنهج السياقى خطوة تمهيدية للمنهج التحليلى، حيث يرى أنه بعد أن يجمع المعجمى عدداً من السياقات المثلة التى ترد فيها كلمة معينة،

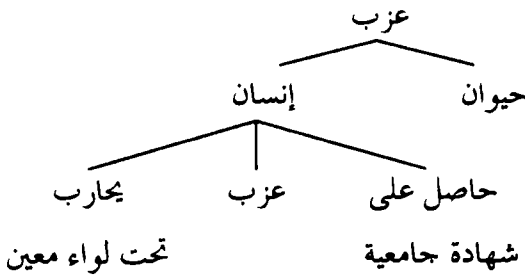
(١) الجاحظ: البيان والتبيين: ١٣٦/١.

(2) *John Lyons: Semantics, V. 1, p. 326, 327*

(٣) المرجع السابق: ٣٢٧/١.

وحيثما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة، يأتي الجانب العملي إلى نهايته، ويصبح المجال مفتوحاً أمام المنهج التحليلي^(١)، وهذا ما صنعه كل من *Fodor & Katz* حين قاما بتحليل تكويني لمجموعة من الألفاظ التي تمثل كل طائفة منها مجالاً دلاليًا، مثل: الألفاظ الدالة على القراءة، الألفاظ الدالة على اللون من خلال السياقات التي ترد فيها، وبذلك اجتمع لديهم ثلاث نظريات للتحليل في آن واحد: "نظرية المجال الدلالي"، و"نظرية السياق"، و"نظرية التحليل التكويني".

ويتركز دور نظرية التحليل التكويني في تحديد الملامح الدلالية *Semantics Features* لمعنى كلمة من كلمات المجال الدلالي الواحد، وذلك من خلال استقراء السياقات التي ترد فيها الكلمة، فكما أن هناك ملامح دلالية تجمع طائفة من الكلمات في مجال دلالي واحد، يمكن أن يطلق عليها "ملامح عامة"، فهناك أيضًا ملامح دلالية تميز كل كلمة داخل المجال الدلالي الخاص بها، ويمكن أن يطلق عليها "ملامح خاصة"، وهذه الملامح الخاصة هي التي تميز بين معاني كلمات المجال الدلالي الواحد وتُظهر الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات المترادفة، وقد أورد *Katz & Fodor* أمثلة لتحديد معنى الكلمة بواسطة منهج التحليل التكويني، مثل كلمة: عزب.



وعناصر هذا التحليل تتركز في ثلاثة محاور:

(1) *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar.*, p.65.

١- الملامح النحوية: (اسم ، فعل، صفة، جمع، مفرد).

٢- الملامح الدلالية: (إنسان، حيوان، نبات .. إلخ).

٣- الملامح المميزة (السياقية).

ويمكن تنسيق الملامح الدلالية السابقة التي تمثل مكونات المعنى في الجدول

التالى:

الكلمة اللامح الدلالية	عزب	محارب	جامعى	فرس
إنسان	+	+	+	-
حيوان	-	-	-	+
ذكر	+	+	+	-
بالغ	+	±	±	+
متزوج	-	±	±	-
حاصل على شهادة جامعية	±	±	+	-
يحارب تحت لواء	±	+	±	-
يعيش تحت الماء	-	-	-	+

التطور الدلالي

التطور اللغوى:

اللغة وسيلة وأداة يتواصل بها الأفراد والجماعات، ويعبرون بها عن شئون الحياة المختلفة، وحيث إن الحياة تتغير وتتطور على الدوام، فإن لهذا التطور والتغير صداه الواضح فى الأداة والوسيلة التى تستخدم للتعبير عن هذه النواحي المختلفة للحياة لذلك يعد التطور اللغوى من أكبر مظاهر حيوية اللغة، يقول *Ullmann*:

"اللغة ليست هامة أو ساكنة، بحال من الأحوال، على الرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً فى بعض الأحيان"^(١).

والتطور اللغوى بهذا المفهوم لا يستشير أحداً، إنه ماضٍ فى طريقه، لأنه انعكاس مباشر لكل نواحي التغير فى شئون الحياة المختلفة، فاللغة مرآة للمجتمع كما أن التطور اللغوى لا يقف عند مستوى بعينه من المستويات اللغوية، بل يشمل المستويات اللغوية كلها، "فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هى التى تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة"^(٢).

والتطور اللغوى لا يقع اعتباراً دون ضابط ولا نظام، بل يحدث وفقاً لاتجاهات عامة، وقواعد مطّردة، فكما أن هناك ما يسمى بالقوانين الصوتية، كذلك هناك قوانين المعنى"^(٣).

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة: ص ١٧٠.

(٢) المرجع السابق: ص ١٧٠.

(٣) د. رمضان عبدالنواب: التطور اللغوى: ص ١٣، دور الكلمة فى اللغة : ص ٢٠٢ وما بعدها.

ويقع التطور اللغوى على مرحلتين^(١):

(١) مرحلة التغيير: وهى مرحلة فردية، وتظهر فى الكلام الفعلى، وليس معنى أنها فردية أنها تقع من فرد واحد، فقد تقع من أفراد، فلا غرابة أن يقع الخاطر على الخاطر، وأن تصادف الفكرة الفكرة، وهذا التغيير قد يكون مقصوداً كما فى عمل الأدباء والمجامع اللغوية، أو غير مقصود: من الناطقين أنفسهم.

(٢) مرحلة انتشار التغيير: وهى مرحلة جماعية، فاستعمال هذا التغيير بين الجماعة اللغوية يحقق له الانتشار.

ويستخدم لفظ التطور عند اللغويين المحدثين ، بمعنى مطلق التغيير، سواء أكان هذا التغيير سلبياً أم إيجابياً^(٢)، يقول يسيرسن:

" من رأى علماء اللغة أن المقصود بالتطور *Development* فى اللغة لا يصح أن يلصق به المعنى المشهور فى الأمور الأخرى، بأنه اتجاه تقدمى نحو الكمال، فى مقابل من يصرون على اعتبار التغيير تدهوراً إلى الوراء أكثر منه اتجاهًا إلى التقدم، إذ يقصد بالتطور ببساطة: أنه تغيير مستمر فى اللغة، بدون حكم على قيمة هذا التغيير"^(٣).

واللغة العربية كسائر اللغات الحية، تخضع لسنة التطور، فلقد استوعبت اللغة العربية قديماً أول تجربة لها وهى تواجه الحضارة الإسلامية، ثم واجهت الحضارات المختلفة عبر العصور المتعاقبة، وهى لا تعجز عن الوفاء بالتعبير عن كل جديد من

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص ١٧٠.

(٢) د. إبراهيم السامرائى: التطور اللغوى التاريخى: ص ٢٩، د. عبدالصبور شاهين: فى التطور اللغوى: ص ٩.

(٣) د. محمد عيد: المظاهر الطارئة على الفصحى: ص ٤٥.

مواليد الحضارات المختلفة والثقافات المتعددة، والتجربة الحديثة التي تواجهها العربية المعاصرة تدفعها إلى لون من التطور للوفاء باحتياجات الحضارة واستيعاب كل جديد فيها.

التطور الدلالي *Semantic Development*:

التطور اللغوي يكون أوضح ما يكون في المستوى الدلالي، لأنه الجانب الذي يربط بين اللغة والواقع ربطاً مباشراً، ويصوغ العلاقة الرمزية بينهما صياغة تجريدية على هذا النحو:

الدال (اللفظ) / المدلول (الشيء).

ولما كانت المدلولات (الأشياء) متطورة وكان من طبيعتها التغير والتحول من زمن إلى زمن، ومن حضارة إلى حضارة، كانت الدوال "الألفاظ" متطورة باطراد متناسب مع ما يلابس المدلولات من تحولات وتغيرات، يقول *J. Lyons*:

" إن الثروة اللفظية للغة عبارة عن نسق متكامل من المواد المعجمية التي ترتبط بالمعاني، هذا النسق في تدفق ثابت، فنحن لا نجد المواد المعجمية التي كانت موجودة من قبل تختفي ثم تحل محلها مواد جديدة عبر تاريخ اللغة فحسب، بل إن علاقات المعنى التي تقع بين مادة معجمية بعينها وغيرها من المواد المجاورة في النسق في تغير مستمر عبر الزمن أيضاً، وأى اتساع في معنى إحدى المواد المعجمية يتضمن تضييقاً مماثلاً في مادة أو أكثر من المواد المجاورة لها" (1).

(1) *John Lyons: Semantics, v.1, p. 252.*

التطور الدلالي بين القدماء والمحدثين:

البحوث الدلالية- عامة- بحوث قديمة حديثة، فهي قديمة لأن العرب لهم جهود في هذا المجال، ونلمح أثرها في كثير من كتبهم، وهي أيضاً حديثة لأنها قد استحدثت أنماطاً وطرقاً لبحث العلاقات الدلالية بين الكلمات.

ولقد عالج القدماء التغير الدلالي في اتجاهين:

الأول: تمثل في الحرص الشديد حفاظاً على اللغة، فوضعوا حدوداً زمانية ومكانية ينتهى عندها قبول الاستعمال الجديد الذى سموه مولدًا، لأنه لم يسمع عن العرب الذين يحتج بهم، وعدّوا كل تغير لا يوافق الاستعمال العربى - داخل الحدود الزمانية والمكانية التى وضعوها - لحناً، وتوفرت جهود اللغويين القدماء لمقاومة هذا اللحن، بدءاً من القرن الثانى الهجرى، وألفت فيه عشرات الكتب حصر منها أحد الباحثين ثلاثين مؤلفاً^(١)، وهذا واحد من عمد اللغويين القدماء وهو ابن فارس، يذكر أن أى تغير يطرأ على المعنى موقوف على ما سمع، حيث قال بعد أن ذكر طائفة من الألفاظ التى غيرت العرب معانيها: "وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له"^(٢).

وهذا يكشف لنا عن أن قيود اللغويين القدماء لقبول أى استعمال لغوى جديد، لم تمنع حركة التطور الدلالي، ولعل ذلك كان من بين الأسباب التى دفعت اللغويين المحدثين إلى قبول المولد الذى جرى "على أقيسة العرب من مجاز، أو اشتقاق، أو نحوها، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك، وحكمه أنه عربى سائغ"^(٣).

(١) د. محمد عيد: المظاهر الطارئة فى الفصحى، ص ٣٣: ٣٤.

(٢) ابن فارس: الصحاحى فى فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشربيني، ص ٩٦.

(٣) مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين، مجمع اللغة العربية،

القاهرة: ص ٦.

الثاني: أنهم عدوا كل تغير يوافق الاستعمال العربي داخل الحدود الزمانية والمكانية من باب المجاز^(١).

مظاهر التغير الدلالي:

تحديد طرق تغير المعنى يُعد ثمرةً لجهود اللغويين المحدثين، حيث أفادت دراساتهم عن التطور الدلالي حصر مظاهر رئيسية لهذا التطور، وهي:

١- توسيع المعنى (التعميم) *Widening*.

٢- تضيق المعنى (التخصيص) *Narrowing*.

٣- انتقال المعنى.

٤- مظاهر أخرى.

١- توسيع المعنى:

يقصد به تعميم معنى الكلمة، وذلك بنقله من معنى خاص ضيق إلى معنى عام أوسع وأشمل، ويحدث هذا بإسقاط بعض الملامح الدلالية للكلمة^(٢)، فكلمة "أب" حين تطلق على كل رجل، يسقط عنها ملمح القرابة، ويبقى ملمح الذكورة والبلوغ، وتعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات من تخصيصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها^(٣)، ويذكر فندريس أن التعميم ينحصر في إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله، ويمثل فندريس لهذا المظهر بحال الأطفال الذين يسمون جميع الأنهار باسم النهر الذي يروى البلدة التي يعيشون فيها، مثل الطفل

(٢) يحيى بن حمزة العلوي: الطراز: ٦٣/١ وما بعدها.

(٣) هذا على اعتبار تعريف *J. Lyons* للكلمة من أنها عبارة عن مجموع الملامح الدلالية لها.

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٤.

الباريسي عندما يصيح وقد رأى نهرًا: "أرى سينًا"^(١)، ويمثل له *Ulmann* بالكلمة الإنجليزية *Arrive* فإنها انحدرت عن الأصل اللاتيني *Adripare*. بمعنى يصل إلى الشاطئ، وهذه الأخيرة ترجع بدورها إلى *Ripa* أى: شاطئ، فهذه الكلمة كانت في الأصل مصطلحًا بحريًا لا يجوز استعماله إلا في معنى الوصول إلى الميناء، أما الآن فقد اتسع نطاق استعمالها حتى أصبحت تشمل عددًا ضخمًا من أنواع الوصول، سواء أكان ذلك على القدم أم بأى وسيلة"^(٢).

وفي اللغة العربية نلاحظ ما يشبه تعميم الدلالات لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه، لأدنى ملابس أو مائلة، وذلك لقصور محصولهم اللغوى، وقد يطلق الطفل لفظ "الأب" على كل رجل يشبه أباه في هيئته، وقد يطلق لفظ "الأم" على كل امرأة تشبه أمه في هيئتها"^(٣).

وقد عقد السيوطى بحثًا في كتابه "المزهر" عنوانه: " فيما وضع في الأصل خاصًا ثم استعمل عامًا"^(٤).

وأرى أن توسيع المعنى وإن كان يمثل مظهرًا من مظاهر التطور الدلالي وسبيلًا للتوسع اللغوى من ناحية، فإنه - من ناحية أخرى - يمثل أحيانًا شاهدًا على العجز اللغوى (خاصة لدى عامة الناس)، والمشاهد لواقع اللغة عند العامة يجد ألفاظًا تستخدمها العامة بتعميم لا ضابط له ولا حد، من بين هذه الألفاظ على سبيل المثال

(١) فندريس: اللغة (الترجمة العربية): ص ٢٥٨.

(٢) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٠.

(٣) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥.

(٤) السيوطى: المزهر: ٤٢٩/١.

لفظة "بتاع"^(١)، "الحاجة" حيث خرجت من معنى الاحتياج إلى معنى الأشياء التي نحتاجها، أى شىء.

وهكذا "الناس في حياتهم العادية يكتبون بأقل قدر ممكن من الدلالات وتحديدًا، وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة، إيثارًا للتيسير على أنفسهم، والتماسًا لأيسر السبل في خطابهم"^(٢).

٢- تضيق المعنى "التخصيص":

ويقصد به تخصيص مجال دلالة الكلمة، ويحدث هذا بإضافة بعض الملامح الدلالية المميزة للكلمة، وهذا المظهر كثير الشيوع في اللغات، ويمثل له أولمان *Ulmann* بالكلمة الإنجليزية *Poison* ومعناها: "السم"، وهى الكلمة نفسها *pation* "الجرعة من أى سائل"، ولكن الذى حدث هو أن الجرعات السامة دون غيرها هى التى استرعت الانتباه واستأثرت به، لسبب أو لآخر، وبهذا تحدد المدلول وأصبح مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت عليه الكلمة فى الأصل إلى حد ملحوظ"^(٣)، ومن أمثلة هذا المظهر فى اللغة العربية الكثير، فقد تخصصت كلمة (الطهارة) وأصبحت تعنى الختان، وتخصصت كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس أصبحت الآن تطلق على (النساء) ... إلخ"^(٤).

ويلعب تخصيص المعنى دوراً كبيراً فى مجال المصطلحات الفنية والعلمية، فكثير من العلوم تستدعى الكلمات وتجردها من معناها اللغوى، وتقصرها على معناها

(١) انظر: ص ٣١ من هذه الدراسة.

(٢) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥.

(٣) أولمان، دور الكلمة فى اللغة: (الترجمة العربية)، ص ١٨٠.

(٤) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص ١٥٤.

الاصطلاحى، حتى إن الكلمة الواحدة يصبح لها أكثر من معنى اصطلاحى، مثل: المضارع، يقصد به فى النحو: الفعل الدال على حدوث شىء فى زمن التكلّم أو بعده، ويراد به فى العروض: بحر من بحور الشعر. كذلك كلمة (جذر) لها معنى اصطلاحى فى علم اللغة يختلف عنه فى علم الرياضيات، أيضاً ما حدث لكثير من الألفاظ الدينية مثل: الصلاة، الزكاة، الحج، الصوم، ..إلخ. حيث تحولت دلالتها من المعنى اللغوى العام إلى المعنى الاصطلاحى الخاص، وقد عقد السيوطى مبحثاً فى كتابه: "المزهر"، عنوانه: "فيما وضع عاماً واستعمل خاصاً"^(١).

٣- انتقال المعنى:

ويقصد به الانتقال بالكلمة من معناها الأصيل إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصيل علاقة، فإن كانت هذه العلاقة علاقة مشابهة بين المعنيين فهى "الاستعارة"، وإن كانت هذه العلاقة غير المشابهة بين المعنيين فهى المجاز المرسل.

والفرق بين هذا المظهر "انتقال المعنى" والمظهرين السابقين "تخصيص المعنى، وتعميم المعنى" يوضحه فندريس بقوله:

"وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما فى حالة انتقال الكلمة من المحلّ إلى الحالّ، أو من السبب إلى المسبّب، أو من العلامة الدالة إلى الشىء المدلول عليه..إلخ، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الاتساع والتضييق ينشئان من الانتقال فى أغلب الأحيان، وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى، يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية: الاستعارة، المجاز المرسل بوجه عام"^(٢).

(١) السيوطى: المزهر : ٤٣٣/١.

(٢) فندريس: اللغة، (الترجمة العربية): ص ٢٥٦.

وهناك فرقٌ آخر بين انتقال المعنى وتوسيع المعنى وتضييقه يحدده فندريس بقوله:

" التوسيع والتضييق يتم بصورة غير شعورية، أما انتقال المعنى فيتم بصورة قصدية، لمقصد أدبي في الأعم الأغلب"^(١).

واستعمال الكلمة بالمعنى الجديد على سبيل المجاز لا يلبث مع كثرة الاستعمال أن ينتشر بين الناس، وتتحول الدلالة المجازية إلى حقيقة، وقد أثبت اللغويون ملاحظاتهم بأن تغير الدلالات يكون في الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات المعنوية (المجازية)، والمسافة بين المعنى الحقيقي (الحسي) والمعنى المجازي (المعنوي) تمثل رحلة تغير الكلمة من الحقيقة إلى المجاز.

وقد ميّز اللغويون بين نوعين من انتقال المعنى، وقام هذا التمييز على أساس نوع العلاقة بين المعنيين، وهما:

أ- انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين.

ب- انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين.

أ- انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أى بسبب الاستعارة:

وقد وضَّح *Ullmann* هذا النوع بقوله:

إننا حين نتحدث عن عين الإبرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالاً مجازياً، أما الذى سوَّغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذى ينفذ الخيط من خلاله"^(٢).

(١) فندريس: اللغة، (الترجمة العربية): ص ٢٥٦.

(٢) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية)، ص ١٨٣.

ويبين *Ullmann* أن هناك نوعًا آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه في الشعور، فيقول:

"وهناك نوع آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه في الشعور نحو جانبي الاستعارة، وفي نوع الإحساس بها، أكثر من اعتماده على التشابه في الخصائص الجوهرية"^(١).

وذلك كما في قولنا: تحية عطرة، كلام بارد، حوار ساخن... إلخ، فهنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابهًا بين التحية الطيبة وبين العطر، وبين الكلام الهادئ غير المؤثر والبرد، وبين الحوار المملوء بالانفعال والحيوية والسخونة.

ب- انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو المجاز المرسل:

والمجاز المرسل طريق من طرق التطور الدلالي، ويوضحه *Ullmann* بقوله:

"كلمة: *Bureau* (مكتب) قد يكون معناها اليوم: المكتب الذي يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه، المصلحة الحكومية، أو المكان الذي تدار منه الأعمال، ومن الواضح أنه ليست هناك مشابهة بين المدلولين، ولكن بينهما ارتباطًا من نوع آخر، فالمكتب الذي نكتب عليه يوضع في الأماكن التي تدار منها الأعمال، وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان بعضهما ببعض، في ذهن المتكلم، أو قل: إنهما ينتميان إلى مجال عقلي واحد. هذا هو التفسير النفسى لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل"^(٢).

وللمجاز المرسل صور متعددة، وذلك بسبب تعدد علاقاته، فإطلاق الكلمة على الجملة، من قبيل إطلاق الجزء على الكل، فالعلاقة هنا جزئية، وذلك في مثل: ألقى الرجل كلمة في الحفل.

(١) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق: ص ١٨٨.

وإطلاق اللسان على اللغة من قبيل إطلاق الأداة على الشيء، فالعلاقة هنا آلية، وإطلاق محل حدوث الشيء على الشيء نفسه، فالعلاقة هنا هي المحلية، في مثل: تفوه الرجل بكلام طيب.

فالفم محل للكلام، وعلاقة السببية واضحة في مثل الألفاظ: نُبّه، أيقظ، شوق حيث إن القول هنا سبب لحدوث فعل التنبيه واليقظة والشوق.

واعتبار العلاقة الزمانية يتضح في مثل: يصبّح عليه، يمسي، المسحراتي، فدلالة الكلام هنا ارتبطت بزمن محدد، وهو على الترتيب: الصباح، المساء، السحر.

واعتبار ما سيكون يلمح عندما نخاطب بعض التلاميذ النبهاء في فن خاص بـ"يا شاعر" .. إلخ.

٤- مظاهر أخرى:

هناك مظاهر أخرى لتغير المعنى، منها:

أ- المبالغة:

اعتبرها *Ullmann* "مسئولة عن الشعارات المذهبية والاصطلاحات الخادعة التي تستغلها أجهزة الدعاية أسوأ استغلال، حتى إنها لا تلبث أن تؤدي إلى عكس المقصود منها"^(١)، وذلك كما في نحو:

"سعيد بشكل مخيف"، "ورائع بكل بساطة"، وقد عدّها *Ullmann* من المجاز بيد أنّها من وجهة النظر العربية أوسع من دائرة المجاز"^(٢).

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٥.

(٢) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص ١٨٥ (تعليق المترجم).

ب- رقى الدلالة أو انحطاطها:

شرف الكلمة وقيمتها بين الجماعة اللغوية مستمد من قيمة معناها، فكلمة "لواء" مثلاً، لا تكمن قيمتها في اللام والواو والألف والهمزة، فما هذه الحروف إلا رموز معبرة عن معنى اصطلاح الناس عليه، وقيمة معناها تتجلى في قيمة السلطة المخولة لهذه الرتبة وفي قيمة المسئولية المنوطة بها، والفرق بين هذه الكلمة وكلمة "نقيب" ليس هو الفرق بين حروف الكلمتين، وإنما هو الفرق بين المعنى المشار إليه بكلمة "لواء" ومعنى كلمة "نقيب" المتمثل في قيمة السلطة وقدر المسئولية المنوطتين بها.

ومع تطور الحياة وتغيرها تتغير دلالة بعض الكلمات، وقد يكون نصيب الكلمة من التغير أن تستعمل بمعنى قيمته أقل من قيمة معناها الأقدم، " إنه تحول من الأفضل إلى الأدنى، ويطلق عليه انحدار المعنى" ^(١) *Degeneration* أو انحطاط الدلالة" ^(٢) .

والمثال على ذلك: التعبير "طول اليد" : ورد في الحديث النبوى الشريف بمعنى: السخاء والكرم والجود، حين سألت نساء النبى ﷺ: أينا أسرع لحاقاً بك يا رسول الله؟ فقال النبى ﷺ: "أطولكن يداً" ^(٣)، في حين أن الكلمة في الوقت الحاضر قد تستعمل بمعنى السرقة.

كذلك اللفظة "ورد" تدل على نبات له أزهار جميلة المنظر ذكية الرائحة ولها ألوان جذابة، في حين أصبح للكلمة دلالة أخرى في بعض المطاعم في هذا العصر، حيث يطلقونها على "البصل المجفف"، والفرق واضح في مكانة كل معنى من المعنيين في نفوس الجماعة اللغوية.

(١) أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص ١٨٥ (تعليق المترجم).

(٢) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ١٥٦.

(٣) أخرجه البخارى (١٤٢٠)، مسلم (٢٤٥٢)، البيهقى في الدلائل ٦/٣٧٤.

وكما قد يصيب الكلمة "انحطاط دلالي"، فقد يكون من نصيبها أن تنال دلالة أفضل من دلالتها التي كانت تستعمل بها، وهو ما يسمى برقى الدلالة أو تسامى الدلالة *Elevation* ^(١)، ويقصد به انتقال المعنى من الأدنى إلى الأفضل، والمثال على ذلك كلمة (قرآن)، وهي مصدر من الفعل قرأ بمعنى جمع الشيء بعضه إلى بعض، في كلام العرب قبل الإسلام، وبمجيء الإسلام أطلقت على كلام الله تعالى "القرآن"، وفي هذا من سمو المعنى ورقيه ما لا يحتاج إلى بيان، كذلك كلمة "آية" استعملت في كلام العرب قبل الإسلام بمعنى: العلامة، لكن دلالة الكلمة ارتقت درجة أفضل حين استعمالها القرآن بمعنى الجملة من الكلام ^(٢).

أسباب تغير المعنى

ارتباط اللغة بالمجتمع ومتغيراته المتعددة، جعل الأسباب التي تؤدي إلى تغير المعنى عديدة ومتنوعة، ويمكن تصنيف هذه الأسباب إلى نوعين:

أ- أسباب لغوية.

ب- أسباب اجتماعية.

وهذا التقسيم لغرض الدراسة والبحث فقط، وإلا فالعوامل اللغوية والاجتماعية كلتاهما تعمل جنباً إلى جنب في آن واحد، ودون فصل بينهما في الواقع اللغوي.

الأسباب اللغوية:

١- الحاجة:

مواليد الحياة المتنوعة- حسية كانت أو معنوية- تحتاج إلى أسماء تدل عليها، ويرجع اللغويون إلى كنوزهم اللغوية المتمثلة في التراث اللغوي، ينتقون كلمات

(1) *Semantics: A New Outline*, p.12.

(٢) لسان العرب: مادة (ق ر أ)؛ مادة: (أ ي ا).

اندثرت فيعيدون إليها الحياة، ويسمون بها مواليد الحياة المختلفة، ومن هنا تظهر كلمات قديمة قد لبست ثياباً جديدة من المعنى، ومثل ذلك: الجريدة، الصحيفة والوظيفة والقطار والتسجيل...إلخ.

وتتم هذه العملية على أيدي المهويين من الأدباء والشعراء والكتاب، كذلك للمجامع اللغوية دور مهم في هذه العملية، وقد تدفع الحاجة إلى اللجوء إلى ألفاظ أجنبية للتعبير عن مواليد حضارية لمجتمعات أجنبية، ولعدم استيعاب المجتمع لهذا التقدم العلمي يجد نفسه مضطراً في بعض الأحيان إلى عملية التعريب، وقد ينشأ عن ذلك وجود لفظ أجنبي بجوار لفظ أصيل، فيؤدي ذلك إلى الترادف، أو تصبح السيادة للفظ الأجنبي ويندثر اللفظ الأصيل^(١).

٢- الاستعمال:

"إن المادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متغيرة، وليس من الممكن أن يتطرق الفناء أو الإماتة إلى المادة الخام، إلا إذا قضى الله ألا تكون اللغة ذاتها، فأما الأشكال فإنها تحيا وتموت، تحيها ضرورة تعبيرية، ويميتها انعدام هذه الضرورة، ثم تبعثها في صورة أخرى ضرورة جديدة، وهكذا دواليك"^(٢).

إن إعادة استعمال المادة القديمة في معنى جديد _ سواء كان هذا المعنى خاصاً أم عاماً _ يجعلها تكتسب هذا المعنى الجديد الذي استعملت فيه.

ومثال ما شاع استعماله بين الناس فتحولت دلالاته وعرف بالمعنى الجديد واندثر المعنى القديم له: الألفاظ التي كانت تدل على معانٍ عامة أو مطلقة، ثم جاء الإسلام فخصصها، مثل: الصلاة والصوم والزكاة والحج والمؤمن والكافر...إلخ.

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٤٩ وما بعدها.

(٢) د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية: ص ٥٥.

كذلك الألفاظ التي كانت تدل على معان خاصة ثم جاء الإسلام فعممها مثل:
اليأس، الرائد... إلخ^(١).

كما أن كثرة الاستعمال للكلمة في معنى مجازي يؤدي إلى انقراض المعنى الأصلي لها، ويصبح معناها المجازي حقيقة، ومثال ذلك: "تحول معنى (المغفرة والغفران) من: الستر، إلى: الصفع عن الذنوب، وتحول معنى (الوغى) من: اختلاط الأصوات في الحرب، إلى: الحرب نفسها، ومعنى (العقيقة) من: الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه، إلى: ما يذبح عنه عند حلق ذلك الشعر"^(٢).

٣- الخطأ وسوء الفهم:

قد ينتج عن الخطأ في تطبيق القواعد أو سوء الفهم لها تغير دلالي، ومثال ذلك كلمة "ولد" تطلق في اللغة العربية على المولود عامةً مذكراً كان أو مؤنثاً، لكن تذكير الصيغة الصرفية في اللغة لكلمة "ولد" جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر وأصبحت تطلق على الذكر دون الأنثى في كثير من اللهجات.

كذلك كلمة "زوج" حدث لها تغير دلالي لنفس السبب، وواضح من المثالين السابقين أن الخطأ في تطبيق قواعد اللغة وسوء الفهم ليس إلا نتيجة للعملية الذهنية التي تسمى بالقياس الخاطيء^(٣).

٤- تغير مدلول الكلمة لتغير طبيعة الشيء الذي تدل عليه:

فكلمة "الريشة" مثلاً كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير مدلولها الأصلي تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة فأصبحت

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥.

(٢) د. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة: ص ٣٢١.

(٣) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٣٧.

تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة^(١). كذلك نجد كلمات مثل: (القطار، البريد، الخاتم) تغير مدلولها لتغير طبيعة الأشياء التي كانت تدل عليها هذه الكلمات.

٥- تطور أصوات الكلمة:

"ثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحياناً السبيل إلى تغيره"^(٢)، فكلمة "كماش" الفارسية، بمعنى نسيج من قطن حسن، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فشامت الكلمة العربية: "قماش" بمعنى: أراذل الناس وما وقع على الأرض من فتات الأشياء، ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية، ذات دلالة جيدة على المنسوجات"^(٣).

٦- اختصار العبارة:

يؤدي اختصار العبارة إلى تغير دلالة الكلمة، وتشيع الدلالة الجديدة، وبعد عدة أجيال تصبح الصلة بينها وبين المعنى الجديد غير واضحة، مثال ذلك قولنا في اللهجة العامية المصرية: "فلان من الذوات" أو "من أولاد الذوات" أى: من الأغنياء، فهذه الكلمة مختصرة بلا شك من عبارة "ذوات الأملاك"^(٤).

ب- الأسباب الاجتماعية (غير اللغوية):

"إن هناك عاملين يؤثران في اللغة: عامل المجتمع، وعامل الفرد، ويمكن أن نعتبرهما عاملاً واحداً هو عامل المجتمع، إذا ما رأينا أن المجتمع لا يؤثر إلا من خلال

(١) أولمان: دور الكلمة في اللغة (الترجمة العربية): ص ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٢٢.

(٣) د. عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي: ص ١١٢.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٣.

الممارسات الفردية، ومن هنا يمكن أن نعترف بأن طروء بعض التغيرات في العربية ضرورة لا معدى عنها"^(١).

فاللغة هي الوعاء الذى تصب فيه التجربة والخبرة الإنسانية بوجه عام، فلا بد أن يختلف شكل هذا الوعاء باختلاف مضمون التجربة التى يتضمنها، وعلى هذا يمكننا أن نميز مستويات لغوية متميزة بتمايز المضامين والخبرات التى تتشكل فى اللغة وتشكلها، فالتجربة الاجتماعية تطبع اللغة بطابع اجتماعى، والتجربة الفنية تفرض شكلاً لغوياً آخر، والتجربة الصوفية تصطنع لها لغة خاصة، مثل: نفحة وقطب ومدد والطريق والمريد والسالك... إلخ، كما أن الخبرة العملية والعقلية - بدورها - تنشئ لغة تناسب طبيعتها، فالخبرة الاجتماعية تميل إلى التوحيد، أى خلق بناء غير متمايز داخل المستوى الاجتماعى الواحد، فكل نشاط اجتماعى يتطلب مستوى محددًا يسهل عملية الاتصال بين أفراده، فنجد أن للتجار لغة (تجارية)، وللعمال لغة فرضتها طبيعة العمل والعلاقات القائمة بين الأفراد وبين الأفراد وبين المجتمع (بقية الطوائف الاجتماعية الأخرى)، مثل: مهموز، إسفين، زمة، يهرش، يخلع... إلى آخر هذه القائمة من الألفاظ التى ارتبطت بطبقة الحرفيين والتجار فى المجتمع، والخارجين عن القوانين والأعراف (كاللصوص وتجار المخدرات ... ومن إليهم) لغة يسمونها: (سيم) وهى خاصة بهم، وتتميز بالغموض والخفاء تبعاً لطبيعة أنشطتهم، "فيسمى بعض اللصوص رجل الشرطة: حذاء، ويطلقون على الضحية: العم أو الزبون ويطلق السماسرة والمقامرون على رزمة النقود التى تبلغ ألفاً من الجنيهات: باكو"^(٢).

إن لهذه الطوائف والجماعات ما يمكن أن يطلق عليه: "اللغات الخاصة"^(٣).

(١) د. عبدالصبور شاهين: فى العربية لغة العلوم والتقنية: ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٨.

(٣) السابق نفسه: ص ١٧٤.

وللفنانين لغة تميل إلى الفردية والابتكار والانحراف أحياناً، أما بالنسبة للنشاط العقلي العلمي، فلغته تتميز بالتحديد والوضوح، بل إن العلم (الطبيعي بخاصة) أصبحت له لغة ذات قاموس خاص، ويعتمد غالباً على الأرقام والمعادلات، في محاولة للخروج من خصوصية اللغة والتباسها وما تحمله كل لفظة من تراث ومضامين وظلال ربما تشوش على تحديد المعنى بالدقة التي تتطلبها طبيعة هذه العلوم من الموضوعية.

أيضاً اختلاف البيئة المكانية له دوره في التغير اللغوي، فمثلاً: يطلق لفظ الشاب على العجل (من الجاموس) في صعيد مصر، بينما يطلق على الفتى في مدينة القاهرة وهكذا فقد تنحط دلالات بعض الألفاظ في بيئة معينة، وقد تسمو دلالات هذه الألفاظ نفسها في بيئة أخرى، وليس أدل على ذلك من دلالة كلمة كرسى، التي تتمتع بدلالة مقدسة عند علماء الشريعة الإسلامية؛ لما أعطاهها الإسلام من دلالة رفيعة عالية ﴿ وَيَسِعُ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ ﴾ البقرة/ ٢٥٥ . هذا بخلاف معناها عند النجار وبخلاف معناها عند مدمني المخدرات.

ولا يغفل دور وسائل الإعلام في التطور اللغوي، فاللغة الإعلامية هي البادئة بالتطور، بحكم كونها لغة حضارية ولا بد أن تطوّر نفسها للتعبير عن مقتضيات العصر، خاصة وأنها لغة إخبارية تختلف المادة التي تقدم من خلالها من مرحلة إلى أخرى، بل من لحظة إلى أخرى^(١).

كما أن السرعة التي تتطلبها طبيعة اللغة الإخبارية تؤدي إلى البحث عن أقرب الكلمات إلى التعبير وإلى الفهم كليهما، وربما أدى ذلك إلى التسامح في استخدام الألفاظ في غير مواضعها أحياناً، واللغة الإعلامية تحتاج إلى تعريف لمصدر الخبر، ولذلك نسح فيها اهتماماً خاصاً بألفاظ الكلام، فمرة يقول المصدر، ومرة يؤكد، ومرة يعلق، ومرة يصرّح... إلخ.

(١) د. عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية: ص ١٩١.

ولقد ساعدت الوسائل الإعلامية على انتشار ألفاظ بعينها؛ لمناسبتها للطبيعة الإخبارية، وجانب كبير من هذه الألفاظ مما يدل على الكلام، مثل: خير، أخير، مصدر، جريدة، ذكر، متحدث، صرح، أعرب، وضع، تحليل، تعليق، عرض، أشار، حذر، ندد، أدان، أنباء، أعلن، شجب، استنكر، مباحثات... إلخ.

كما أن ارتباط الوسائل الإعلامية بالسياسة ونظام الحكم كان له الأثر الواضح في نشر كثير من ألفاظ الكلام وتطورها، ففي المجال السياسي: مؤتمر، اتفاق، معاهدة، قرار، تأييد، رفض، تنديد، شجب، خطاب، بيان.

وارتباط هذه الوسائل أيضًا بالفنون وسَّع انتشار ألفاظ كثيرة وأكسبها لونا من التطور، مثل: برنامج، أغنية، تمثيلية، حوار... إلخ.

أيضًا ارتباط هذه الوسائل بالقارئ أو المتلقى بوجه عام، أدى إلى استخدام لغة وسيطة بين الفصحى والعامية، وهذا يلمح فيها قدر كبير من التطور.

أوضح الدلالات التي تحملها الألفاظ في الوسائل الإعلامية هي الدلالة الاصطلاحية، فمثلاً حين ترد لفظة "صرح" نفهم منها أن مسئولاً كبيراً أو شخصاً له أهميته وثقله هو الذى صرح، وحين نقول: ندد، نفهم أن هناك أزمة أو بوادر أزمة سياسية، وحين ترد كلمة: حوار، نفهم أن هناك علاقات طيبة بين البلدين المتحاورين، إلى آخر هذه الألفاظ التي لا نستطيع أن نردها كمخاطبين إلى أصولها القديمة، أو ما تحمله من دلالات وظلال قديمة، فقط يعبرُ الذهن بكل ما تحمله اللفظة من دلالات وظلال قديمة عبوراً سريعاً - إن طافت به أصلاً هذه الدلالات وتلك الظلال - ويتعامل مع التواضع الحديث لللفظة، فحينما نسمع أو نقرأ لفظة: "قرار" لا يطوف بذهننا المعنى القديم (الذى يرجع إلى مجال الحركة)، ونفهم منه الدلالات الحديثة: كلمات تحدد شيئاً من أمور المجتمع يعلنها مسئول مختص.

يضاف إلى ذلك أن وسائل الإعلام أدخلت في اللغة العربية ألفاظاً وتعبيرات أجنبية

مثل: استراتيجية، فيتو، وكى، كاريكاتير، بولوتيكاً، بوليس، تياترو... إلخ.

الفصل الثامن
تصنيف اللغات
والأسرات اللغوية

تصنيف اللغات

تمهيد:

وجدت اللغة البشرية مع آدم — عليه السلام — واتخاذ خليفة لله تعالى في الأرض، ومع نمو البشرية وتزايدها وتفرقها في أنحاء الأرض إلى جماعات، تطورت اللغة وتنوعت، وتميزت كل مجموعة بشرية بلغة مستقلة عن لغات المجموعات الأخرى^(١).

ولقد لاحظ القدماء هذا التنوع اللغوي، وكانت كل جماعة ترى لغتها هي الأفضل وما عداها أدنى منها. فالليونانيون قسموا اللغات إلى يوناني وبربري، والرومان قسموا العالم إلى روماني وبربري، والعرب قسموا العالم إلى عربي وأعجمي.

ولقد كان للإسلام أثر إيجابي بشأن اللغة؛ حيث حول نظرة العرب المسلمين إلى الاهتمام باللغات الأخرى. من ذلك اهتمام النبي ﷺ بصهيب الرومي^(٢)؛ لأنه كان يجيد لغة الروم، واستعان به ﷺ في كثير من شئون الدعوة.

ومسألة اهتمام المسلمين باللغات الأخرى نشأت بسبب دافعين:

الأول: أن الإسلام دين عالمي؛ فالنبي محمد ﷺ أرسل للناس كافة؛ ومن هنا يصبح للغة دور أساسي في نقل رسالة الإسلام إلى كل الشعوب التي لا تتحدث العربية.

الثاني: حماية الكيان الإسلامي من مكر الآخرين ومؤامراتهم، وفي الأثر: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"^(٣).

(١) ماريو باي: لغات البشر (الترجمة العربية): ص ٤٧.

(٢) صهيب كان عربياً خالصاً: تُمَسِّرِيُّ الأب، تميمي الأم.

راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أسد الغابة في معرفة الصحابة.

(٣) د. كرم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٣٠.

ونتيجة لذلك رأينا اهتمام كثير من علماء اللغة والنحو المسلمين باللغات الأخرى مثل العبرية والفارسية واليونانية والتركية والهندية إلى جانب العربية، فنجد مثلاً سيبويه (ت ١٨٠هـ) وتلميذه الأخفش الأوسط (ت ٢١١هـ)، والسيرافي (ت ٣٦٨هـ)، وغيرهم من علماء المسلمين، قد نشأوا في بيئة ثنائية اللغة^(١).

ونجد بعضهم يفتن إلى علاقة العربية بغيرها من اللغات السامية، مثل الخليل (ت ١٧٥هـ) حيث يقول: "وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية"^(٢).

وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) اهتم بدراسة لغات أخرى مثل التركية والحبشية والفارسية، وصنف فيها كتباً في لغتها نحوها وصرّفها"^(٣).

وكذلك نجد الفقيه والأديب الأندلسي ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) قد أدرك القرابة اللغوية للعربية واللغات السامية الأخرى، يظهر ذلك من قوله:

"فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم".

إلى أن قال: "والذى وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية، والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذى يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي"^(٤).

(١) الخليل: العين، تحقيق: د. عبدالله درويش: ٢٣٢/١.

(٢) منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك: ص ٢٣.

(٣) د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٣١.

(٤) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاکر: ٣٠/١،

د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٣٢.

ومع القرن الثالث عشر بدأ الأهتمام بالدراسات المقارنة بغرض البحث عن نحو عالمي *Universal Grammar* يصلح لكل اللغات في الإطار العام مع بقاء ملامح مميزة لنحو كل لغة، وازداد الاهتمام بالدراسات المقارنة في القرن، السابع عشر، إلا أن الدراسات المقارنة فيه كانت تفتقر إلى المنهج العلمي، حتى جاء القرن الثامن عشر ولعب اكتشاف اللغة السنسكريتية دوراً كبيراً لبدء الدراسات المقارنة التي تقوم على منهج علمي.

وكان من أهم نتائج الدراسات المقارنة تصنيف اللغات البشرية إلى أسرات لغوية، بناء على تجديد الملامح التي تشترك فيها مجموعة من اللغات التي ترتبط فيما بينها بعلاقة قرابة لغوية.

واستخدم اللغويون لذلك مصطلحات لغوية عديدة، من أهمها مصطلح "الأسرة *Family*"، حيث يتميز هذا المصطلح باستمرار استخدامه في الدراسات اللغوية منذ القرن السابع عشر حتى الآن، حيث يُطلق على أي مجموعة من اللغات بينها تشابه في العلاقات التاريخية، لكن إذا كانت العلاقة بين مجموعة من اللغات أقل تحديداً أو ليست متقاربة بالقدر الكافي، فإنه يطلق عليها مصطلح آخر هو "الشعبة" أو "السلالة *Phylum*"، وفي بعض الأحيان يستخدم مصطلح *macro-phylum* على مجموعة من اللغات حين تكون أكثر عمومية وأقل تحديداً.

فعلى سبيل المثال نجد أن اللغات الأسترالية الأصلية لغات متداخلة، ولكن لأنه لا يوجد دليل تاريخي يوضح العلاقة بين هذه اللغات، فإنه يشار إليها بمصطلح *macro-phylum*⁽¹⁾.

(1) *The Cambridge Encyclopedia of language, David Crystal. P.297.*

اعتبارات تصنيف اللغات:

هناك اعتبارات عديدة لتصنيف اللغات؛ أهمها:

(١) اعتبار المكان (التصنيف الجغرافي):

وفيه توزع اللغات جغرافياً على المناطق التي يسكنها أهل كل لغة حية، ويصادف هذا التوزيع بعض المشكلات؛ منها:

● صعوبة التمييز بين الناطقين بلغة محددة في منطقة محددة من حيث: هل هذه لغتهم الأصلية، أم لغة ثانية بالنسبة لهم.

● أيضاً التداخل اللغوي الموجود بين سكان بعض المناطق، حين تتنوع اللغات التي ينطقها أهل منطقة ما، وبخاصة حين يكون هناك لغة رسمية للبلاد تختلف عن اللغة المستعملة بين الناس أو عن اللغة الدينية التي يمارسون بها شعائهم الدينية.

● يضاف إلى هذا وجود أقليات في أطراف بعض البلاد يصعب حصرها وتحديدها.

ورغم أن هذا التصنيف مفيد لإنجاز الجغرافيا اللغوية على مستوى العالم إلا أنه لا يقدم أى شىء عن قرابة هذه اللغات أو الصلة اللغوية التي تجمع بينها.

(٢) اعتبار شكل البنية والتركيب (التصنيف النمطي *Typological Classification*)

وهذا التصنيف يتبع الطريقة الوصفية، حيث يقوم على أساس الشكل الذى تستخدمه اللغة في بناء الكلمات وتكوين الجمل. ومن خلال هذا التصنيف أمكن تمييز اللغات إلى المجموعات التالية:

(أ) اللغات الاشتقاقية (التصرفية *Inflectional*):

وهي اللغات التي يقوم فيها توليد كلمات جديدة لدلالات جديدة عن طريق الاشتقاق الصياغى، ونقصد بالاشتقاق الصياغى صياغة بنيات أو أشكال جديدة

تختلف عن بنية الجذر، مع المحافظة على حروف الجذر وعلى نسقها الأصلي، فلا يتقدم حرف ولا يتأخر، وينبغي أن نميز بين هذا النوع من الاشتقاق وبين الاشتقاق اللصقي الذي يعتمد على مجرد إضافات صوتية تراكمية (سوابق — لواحق) إلى الجذر، على نحو ما نجد في الإنجليزية، وسيأتي بيانه.

واللغة العربية تعتبر أوضح مثال على اللغات الاشتقاقية (الاشتقاق الصياغي)، فتشتق من الكلمة (كتابة) الكلمات التالية، وهي: كتب، كاتب، مكتوب، كتاب، كُتب، مكتبة، مكتب.

فالجذر (ك ت ب) هو أصل المشتقات الأخرى، وإليه تعود دلالات مشتقاته بوجه من الوجوه، وبالتالي يمكن تمييز الكلمات الدخيلة التي لا يمكن إرجاعها إلى جذر من جذور العربية أو إلى إحدى صيغ العربية المعروفة.

(ب) اللغات الإلصاقية *Agglutinative* :

وهي اللغات التي يقوم فيها توليد كلمات جديدة لدلالات جديدة على إضافة السوابق أو اللواحق، وهو ما يعرف بالاشتقاق اللصقي. والإنجليزية أوضح مثال على هذا النوع من اللغات، على نحو ما نجد في الكلمة (*Norm*) بإضافة بعض اللواحق مثل: (*all - ally - lize*) :

- *Norm + al* → *Normal*
- *Norm + ally* → *Normally*
- *Norm + lize* → *Normalize*

وأيضاً بإضافة بعض السوابق (*un - re - in*) للكلمات الآتية:

- *un + kind* → *unkind*
- *re + action* → *reaction*
- *in + action* → *inaction*

(ج) اللغات العازلة ^(١) (المُفردة *isolating*) :

وهذه اللغات لا تتحدد فيها دلالات الكلمات عن طريق بنيتها، سواء عن طريق الاشتقاق الصياغى كما فى اللغات التصريفية، أو عن طريق الاشتقاق اللصقى كما فى اللغات الإلصاقية، وإنما تتحدد دلالات الكلمات بناء على الترتيب الذى تتخذه فى السياق أو التركيب، مثل ذلك الكلمة الصينية (*WŌ*) التى تحتل بناء على موقعها أن تدل على ضمير المتكلم فى حالاته الإعرابية المختلفة: (*mine - my - me - I*).

(د) اللغات المُركَّبة ^(٢) *Polysynthetic* أو *Incorporating* :

وهى التى تُركَّب من وحدات صرفية (مورفيمات *morphemes*) متصلة فى شكل جملة واحدة، وتكون هذه الجملة هى الوحدة الكلامية، أى تقوم مقام الكلمة للدلالة على معنى، ولا يمكن أن يستدل على معنى الجملة من دلالات وحداتها الصرفية بمفردها؛ ومثال هذه اللغات:

العبارة : (*g - nagia - si - i - zak - s*) التى تعنى: أنا أبحث عن قرية.

وإذا نظرنا إلى الوحدات الصرفية المكونة للجملة السابقة نجد أن دلالاتها وهى مفردة كالتالى:

الرمز *g* معناه: أنا.

الرمز *nagia* معناه: مقيم.

الرمز *si*: أداة تعطى الكلمة التى بعدها صفة الاسمية، وبالتالي أصبحت كلمة

nagia بعد الأداة *si*. بمعنى: قرية.

(١) ماريو باى: أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر: ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق نفسه.

الرمز *i* : سابقة فعلية تدل على أن الكلمة التي بعدها *zak* فعل.

الرمز *zak* معناه: أبحث عن.

الرمز *s* يدل على الاستمرار.

وكل الرموز السابقة لا يمكن لأحدها أن يعطى معنى بمفرده.

تعقيب:

هذا التصنيف الشكلي، الحدود بين مجموعاته التصنيفية غير حاسمة، فهناك تداخل واضح بين أنواعه. فنجد مثلاً العربية لغة اشتقاقية في الأعم الأغلب، لكنها أيضاً لغة إصاقية تعتمد على السوابق واللواحق في توليد كثير من الكلمات، فالسوابق مثل حروف المضارعة، وميم اسم المفعول واسم الفاعل من غير الثلاثي... إلخ.

ومثال اللواحق علامات الجمع السالم: (ون، ين، أت) وعلامات المثني:

(ين، ان) ... إلخ.

ويمكن أن نرى فيها صفة اللغات العازلة التي تعتمد على الترتيب في تحديد دلالات

الكلمات، مثل: ضرب موسى عيسى.

(٣) اعتبار الزمن (التصنيف التاريخي):

التصنيف التاريخي للغات قائم على الافتراض القائل بأن اللغات مشتقة من سالف مشترك، ويستخدم هذا التصنيف البقايا الأولية المسطورة كدليل، وفي حالة عدم توفر هذا الدليل نلجأ إلى الاستنتاجات باستخدام الطريقة القياسية أو التشبيهية في محاولة لإعادة تشكيل اللغة الأم، ولقد أثمر هذا التشكيل إنجازات منها تصنيف اللغات إلى أسر وعائلات تقوم على أساس القرابة اللغوية بينها.

لقد كانت أول محاولة علمية لاكتشاف تاريخ لغات العالم في نهاية القرن الثامن عشر، حين بدأ الباحثون دراسة مجموعات من اللغات باستخدام المنهج المقارن بهدف اكتشاف أوجه الشبه والخلاف بين هذه اللغات؛ ليكون ذلك سبيلاً لاختبار فرضية أن اللغات المتشابهة تطورت عن مصدر واحد.

ومع بداية القرن التاسع عشر واكتشاف اللغة السنسكريتية بالهند، وبمقارنتها باليونانية واللاتينية تأكد وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات، وتقدم البحث خطوات في مجال مقارنة اللغات الأوروبية المختلفة واللغات الإيرانية واللغات الهندية، وانتهت المقارنة إلى وجود أوجه شبه بين هذه اللغات في البنية والمعجم، واتضح بذلك ملامح أسرة لغوية كبيرة أطلق عليها: "أسرة اللغات الهندوأوروبية".

وبتطبيق المنهج المقارن في بحث لغات أخرى ظهرت أسر أخرى.

الأسرات اللغوية Language Family

صنف العلماء اللغات الحية في العالم التي تزيد على ٤٠٠٠ أربعة آلاف لغة إلى مايقرب من ٣٠ ثلاثين أسرة لغوية رئيسية^(١).

وأكبر هذه الأسرات وأهمها:

١- أسرة اللغات الهندوأوروبية^(٢).

٢- أسرة اللغات الأفروآسيوية.

٣- أسرة اللغات الأورالية اللاتينية.

(1) *The cambridge Encyclopedia of Language, David Crystal, P.290.*

(٢) أسرة اللغات الهندوأوروبية تضم معظم لغات الدول الأوروبية مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، وينتشر المتكلمون باللغات الهندوأوروبية في مناطق أخرى من العالم بالإضافة إلى القارة الأوروبية. فالأسبانية مثلاً تستعمل في الحديث في وسط وجنوب أمريكا كلغة ثانية، بينما استعمالها في الحديث كلغة أصلية (أم) يقتصر على أوروبا فقط.

ثم مجموعة أسر لغوية تستوعب لغات قارة أفريقيا مع أسرة اللغات الأفروآسيوية؛
وأهمها ثلاث أسر هي:

١- أسرة لغات البانتو.

٢- أسرة لغات النيجر الكونغو.

٣- أسرة اللغات النيلية الصحراوية.

وهناك أيضًا مجموعة أسرات لغوية في آسيا والمحيطات، وتوجد أيضًا أسرة اللغات
الإسترالية بالإضافة إلى مجموعات لغوية أخرى.
وسوف نتناول بالتوضيح أسرة اللغات الأفروآسيوية بفروعها المختلفة مع التركيز
على الفرع اللغوي الذي تتبعه اللغة العربية.

أسرة اللغات الأفروآسيوية

The Afro-Atatic Family of Language

تعرف هذه الأسرة باسم الحاسامية *Semitic-Hamito* وهي أكبر أسرة
موجودة في شمال أفريقيا وشرقها وفي جنوب — غرب آسيا، وتحتوي هذه الأسرة
على أكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة^(١).

وقد لاحظ اللغويون صلات القرابة اللغوية التي تجمع بين أسرة اللغات
الأفروآسيوية، وأوضحها هي:

١- التمييز بين المذكر والمؤنث في الصيغ الصرفية المختلفة فتستخدم التاء للتمييز بين
المذكر والمؤنث على خلاف الطرق الأخرى التي تستخدمها لغات الأسر الأخرى
للتمييز بين المذكر والمؤنث.

(1) *The cambridge Encyclopedia of Language, David Crystal, p.316.*

٢- استخدام عدد من الوحدات الصرفية بنفس الوظائف النحوية في اللغات المختلفة مثل النون والكاف؛ فالنون تستخدم للربط بين الفعل وياء المتكلم مثلاً؛ كما في: علّمني.

الفعل	نون الوقاية	ياء المتكلم
علّم	ن	ى

٣- كثير من لغات الأسرة الأفروآسيوية تأتي السابقة الصرفية (الميم — m) عند صياغة اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل.

ففي العربية نجد: مسجد: اسم مكان، منفاخ: اسم آلة، مجتهد: اسم فاعل.

وأسرة اللغات الأفروآسيوية تضم خمسة أفرع؛ هي:

١- الفرع السامي.

٢- الفرع المصري القديم.

٣- الفرع البربري.

٤- الفرع التشادي.

٥- الفرع الكوشي.

وفيما يلي شيء من التوضيح لكل فرع من الأفرع السابقة:

١- فرع اللغات السامية

The Afro – Asianic Family of Language

تتميز اللغات السامية^(١) بأن لها أطول تاريخ، حيث تعد من أقدم اللغات^(٢) الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة، كما تضم اللغات السامية أضخم عدد من المتحدثين على مستوى لغات الأسرة الأفروآسيوية، وهي أيضًا واسعة الانتشار، فتضم جنوب غرب أفريقيا، كما تضم المملكة العربية السعودية وفنزويلا، وكل شمال أفريقيا من المحيط الأطلنطي إلى البحر الأحمر^(٣).

الخصائص المشتركة في اللغات السامية:

تشارك اللغات السامية في مجموعة من الخصائص اللغوية، وتشمل هذه الخصائص المستويات اللغوية:

المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

(١) أطلق مصطلح "السامية" في نهاية القرن الثامن عشر لدى العلماء الأوروبيين، وكان أول من استعمله هو العالم الألماني شلوتزر وزميله أيكهورن، وذلك لأن الشعوب التي تتكلم اللغات السامية هي — في الغالب — ضمن ذرية سام بن نوح (وهو في العبرية شام *sam*)، كما جاء في الفصل العاشر من سفر التكوين (راجع: د. عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي: ص ٢٩).

(٢) فاللغة الأكادية في أرض النهرين قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م بالخط المسماري، وقد نجح المستشرق الإنجليزي رولنسون *Roulinson* في حل رموز هذا الخط. (انظر: د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٧٠).

(3) *David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of language. p.317.*

(١) الخصائص الصوتية:

أ- وجود أصوات الحلق (ع، ح، غ، خ، هـ، ء) في مجموعة اللغات السامية ولكن بشكل متفاوت، فنجد أصوات الحلق كاملة في اللغة العربية؛ في حين نجد أن بعض اللغات السامية الأخرى فقدت بعض أصوات الحلق، فاللغة الأمهرية (إحدى لهجات العربية الجنوبية) فقدت صوت العين، واللغة العبرية فقدت صوتي العين والحاء، واللغة الأكادية فقدت معظم أصوات الحلق ولم يبق لها إلا الهمزة والحاء^(١).

ب- وجود أصوات الإطباق (ص، ط، ض، ظ) في مجموعة اللغات السامية. فتوجد في اللغة العربية كاملة، في حين تفقد معظم اللغات السامية أصوات الإطباق، كما تطورت بعض أصوات الإطباق في بعض اللغات السامية، كتطور صوت الصاد في العبرية بصورة تختلف اختلافاً قليلاً عن العربية^(٢).

ولاحتواء العربية على كل من: أصوات الحلق، وأصوات الإطباق بصورة كاملة؛ تعد العربية أصدق صورة للغة السامية الأم في مستواها الصوتي.

(٢) الخصائص الصرفية:

يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساسين:

أ- الجذر اللغوي (أصل الكلمة) ويكون من الصوامت، ويرتبط به المعنى العام للكلمة، وتتكون جذور الكلمات في الساميات من مادة ثلاثية، وما جاء من كلمات رباعية مثل: دحرج، زلزل، ترجم... إلخ، فهو راجع إلى المادة الثلاثية ومتفرع عنها، على رأى كثير من اللغويين، بل ذهب بعضهم إلى أن أصول الكلمات في

(1) David Crystal: *The Cambridge Encyclopedia of language*. p.321.

(٢) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص ٨٣.

اللغات السامية ثنائية وليست ثلاثية ولا رباعية، وأن الثلاثي متفرع عن الثنائي^(١).

ب- الحروف الصائتة التي بواسطتها يمكن توليد الصيغ المختلفة من الجذر اللغوي، ومنها يتشكل المعنى العام للجذر ويتنوع؛ فنجد من (ك ت ب) الصيغ التالية^(٢):

(كُتِبَ، كاتب، مكتوب، كتاب، كتابة، مكتب، مكتبة... إلخ). وهذه الصيغ تعطى تنوعاً للمعنى العام للمادة (الجذر اللغوي)، كما أن الصيغة الواحدة مثل صيغة اسم الفاعل: (كاتب — دارس)، تحدد جزءاً من دلالة الكلمة ليكون معنى جملة المفردات هو حصيلة المعنى العام للجذر مضافاً إليه معنى الصيغة.

ومن الملامح الصرفية المميزة للغات السامية أنها تصنف الأسماء باعتبار ثلاثة معايير: (الجنس، العدد، الحالة الإعرابية).

فتصنف الكلمات على اعتبار الجنس إلى مذكر ومؤنث، ولا يرتبط هذا التصنيف بطبيعة الأشياء، ولكنه مسألة لغوية ارتبطت بثقافات الشعوب السامية.

هذا في حين نرى لغات غير سامية من أسرة اللغات الهندوأوروبية، مثل اللغة الألمانية التي تصنف الأسماء إلى مذكر ومؤنث ومحاييد^(٣).

واعتبار العدد يصنف الكلمات إلى مفرد ومثنى وجمع، في حين أن اللغات الهندوأوروبية لا تعرف المثنى.

(١) راجع القضية بتفصيل في كتاب الدكتور عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي: ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) راجع كتابنا: الصوائت والمعنى في العربية: الفصل الأول.

(٣) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص ٨٤.

واعتبار الحالة الإعرابية يصنف الكلمات إلى ثلاثة أنماط من حيث النهاية الإعرابية للكلمة:

النمط الأول: الضم لحالة الرفع.

النمط الثاني: الفتح لحالة النصب.

النمط الثالث: الكسر لحالة الجر.

وتعد ظاهرة الإعراب أصيلة في اللغات السامية ومميزة لها، وإن كانت قد اختفت في معظم اللغات السامية.

(٣) الخصائص التركيبية:

تتميز الجملة العربية بظاهرة التركيب *Hypotaxis*، وتتمثل في وجود جملة طويلة مركبة من جملة فرعية ومشملة على أدوات ربط أو استثناء أو قصر.

(٤) الخصائص الدلالية:

يوجد عدد كبير من المفردات المشتركة في كل اللغات السامية، وفيما يلي تصنيف لأهم المجموعات الدلالية لها^(١):

- ١- ألفاظ خاصة بجسم الإنسان؛ مثل: (رأس، عين، يد، رجل، شعر).
- ٢- ألفاظ خاصة بالنبات؛ مثل: (قمح، سنبله... إلخ).
- ٣- ألفاظ خاصة بالحيوان؛ مثل: (كلب، ذئب... إلخ).
- ٤- بعض الألفاظ الأساسية؛ مثل: (ولد، مات، قام، زرع... إلخ).
- ٥- الأعداد الأساسية: (من اثنين إلى عشرة).
- ٦- حروف الجر الأساسية: (من، في، على... إلخ).

(١) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص ٨٥.

العربية المعاصرة

تمهيد:

مصطلح العربية المعاصرة من المصطلحات التي ثار حولها نقاش وجدل بين أهل التخصص؛ البعض يرى أنه كان صدى للمصطلحات الأجنبية^(١)، كما في الإنجليزية *Modern English, Contemporary English*، وهذه المصطلحات في الإنجليزية تعبر عن واقع موجود فيها؛ حيث يشير المصطلح إلى أمرين:

الأول: تحديد اللغة التي تدور على ألسنة المعاصرين.

الثاني: ويشير أيضاً إلى تغير هذه اللغة عن اللغة نفسها في قرون سابقة؛ ففي الإنجليزية يعرف مصطلحان متقابلان: *Modern English, Old English*. والاختلاف جوهري بينهما، للدرجة التي يعجز فيها الإنجليزي - من غير المتخصصين في اللغة - أن يفهم الإنجليزية القديمة، ولعل هذا هو ما دعاهم إلى إعادة صياغة الأعمال الأدبية الخاصة بشكسبير؛ حتى يستطيع أن يتعامل معها الإنجليزي المعاصر.

والسؤال المطروح الآن: هل هذا المفهوم ينطبق على اللغة العربية؟ أو هل نقصد من استخدام مصطلح العربية المعاصرة أن العربية لها فترات متقطعة الأوصال، ويترتب

(١) د. عبدالله الطيبي النجار: اللغة العربية المعاصرة، محاضر جلسات الجمع، الدورة ٤٣، ١٩٧٨

ص ٢٢٥. وانظر:

- *George L. Dillon: Introduction of contemporary linguistic semantics, Indinna university.*
- *Neil Smith and Deirdre Wilson: Modern linguistics, Indiana university press, Bloomington.*

على ذلك القول بأن هناك عربية العصر الجاهلي، عربية صدر الإسلام عربية عصر بنى أمية... وهكذا، وكل منها له من الخصائص اللغوية ما يميزها عن غيرها؟ أو هل هناك لغة قديمة مختلفة عن اللغة المعاصرة؟

هذا المفهوم ينطبق على اللغات عامة ويصدق عليها بفعل التغير اللغوي عبر الزمان والمكان؛ لكن العربية تمثل استثناءً يخرج عن هذا المفهوم وتلك القاعدة؛ فالعربية المعاصرة هي عربية القرون الماضية، وما حدث بها من تغير فمن اليسير رده إلى أصله، وأصدق دليل على هذا هو أن العربي المعاصر يستطيع فهم الشعر الجاهلي، والحديث النبوي، والقرآن الكريم، وهذه نصوص مر عليها أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. وأمر آخر ينبغي الإشارة إليه، وهو أن مظاهر التغير في اللغة العربية — وبخاصة تلك التي تخرج على أصل القواعد الصحيحة — لا تستقر ولا تستمر، بل تبدو كظاهرة مؤقتة لا تلبث أن تزول سريعاً، لأنه يتم التعامل معها على أنها ضربٌ من ضروب الخروج على القواعد اللغوية الصحيحة.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو: ما سبب هذا الاستقرار الذي تتميز به العربية؟!

بوضوح ودقة يمكن الوقوف على سبب استقرار العربية وثبات معجمها وخصائصها التركيبية بالنظر إلى علاقتها بالقرآن الكريم، هذا النص المقدس الذي تتوالى قراءته وحفظه والاستشهاد به على مر القرون؛ فتلاوة القرآن الكريم بأحكامها بهذه المعايير والضوابط الصوتية المسجلة في أحكام التلاوة، والمنقولة بالتلقى الحى والمشافهة من جيل إلى جيل، تجعل المسلم المعاصر يستشعر — وهو يطبق هذه الأحكام في قراءته للقرآن بالتلقى والمشافهة — أنه يحاكي نطق رسول الله ﷺ للقرآن الكريم، ولم تشهد لغة من لغات الدنيا هذا الفضل.

وارتباط العربية بالقرآن - كنص لغوى معجز - جعل العرب في كل القرون يتعاملون معه على أنه النموذج والقدوة التي يسرون على هديها في الكتابة، ويُعد الخروج عن قواعده اللغوية - وهى قواعد العربية - خطأ يشين فاعله؛ لأن للقرآن هيمنة على القلوب تقف سدًا منيعًا أمام هذه التغيرات، فلا تجد ترحيبًا عند المتلقى مهما كان شأن المتحدث.

العربية بين الاستقرار والمرونة:

لكن هل معنى هذا الكلام أن العربية عصبية على التغير، وبالتالي فهى لا تواكب متغيرات الحياة وتطورها، وليست بها المرونة التى تسمح باستيعاب الجديد من أمور الحياة؟!

لا ينبغي أن نفهم هذا المعنى هنا؛ لأن العربية استوعبت قديمًا - وما زالت تستوعب - كل جديد، ولكن دون تغير فى قواعدها وخصائصها اللغوية؛ فينبغى أن نفرق هنا بين أمرين:

الأول: أن يحدث تغير باللغة لا يمكن رده إلى أصله ويخرج على الإطار العام لقواعدها، فمثل هذا التغير يصل بنا مع مرور السنين إلى وجود مسافة شاسعة بين القديم والمعاصر، كما حدث ويحدث فى الإنجليزية وغيرها.

الثانى: حدوث تغير لغوى وفاء بحاجة المواليد الجديدة فى شتى أمور الحياة لكن هذا التغير لا يخرج عن الإطار العام لقواعد هذه اللغة، وهو ما حدث فى العربية ساعة نزول القرآن الكريم؛ فقد فجرّ القرآن ثورة لغوية هائلة فى شتى نواحي العربية، لكنه لم يخرج بقواعدها عن أصلها، بل إن الصحابة كانوا يستعينون بالشعر الجاهلى فى تفسير القرآن الكريم.

من ذلك تفسير ابن عباس "الفتيل" فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ النساء/ ٤٩ . بمعنى: ما يكون في شق النواة؛ واستشهد عليه بقول النابغة الذبياني:

يجمعُ الجِيشَ ذا الألوْفِ ويغزو ثم لا يرزأُ الأعادي فتيلاً^(١)

وتفسيره كلمة "ضيزى" في الآية: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ النجم/ ٢٢ . بمعنى: جائزة، واستشهد بقول امرئ القيس:

ضازت بنو أسدٍ بحكمِهِمُ إذْ يعدلونَ الرّأسَ بالذنبِ^(٢)

وفسر أبو عبيدة^(٣) "يغنوناً" في قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ الأعراف/ ٩٢ . بمعنى: الإقامة، واستشهد بقول المهلهل:

غنيت دارنا تهامةً في الدهر — وفيها بنو معدٍّ خلولا^(٤)

وبنفس المعنى قال الطبرى في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَاصِدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ يونس/ ٢٤ . واستشهد بقول النابغة الذبياني:

غنيتُ بذلك إذ همُّ لى جيرةً منها بعطف رسالة وتودُّد^(٥)

(١) ديوان النابغة الذبياني: ص ٦٨.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط: ١٥٤/٨.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن: ٢٢١/١.

(٤) الطبرى: جامع البيان: ج ٩/ ص ٥.

(٥) الطبرى: جامع البيان: ١٠٢/١١.

الجدور العربية بين المعاجم والقرآن الكريم

في السبعينيات تمّ عمل إحصاء للغة العربية بالكمبيوتر^(١) بشكل كامل، طبقاً لمعطيات معجم ضخّم هو معجم المعاجم (تاج العروس)، وأظهرت الدراسة أن مادة اللغة العربية من ناحية الجدور في حدود ١١٥٠٠ فقط، بكل ما أتت اللغة خلال الاثنى عشر قرناً الماضية. وبمقارنة جذور القرآن بجدور العربية وجد أن مجموع جذور القرآن لا يزيد على ١٥% من جذور العربية، وأن جذور القرآن هي المادة المستعملة في اللغة العربية من أول الإسلام حتى الآن، وأن الـ ٨٥% من لغة الجاهلية هذه كلها أصبحت في مادة المعاجم، أما جذور القرآن الكريم فهي التي يجرى بها فكر هذه الأمة منذ نطقوا بعد رسول الله محمد ﷺ وبعد نزول القرآن إلى أيامنا هذه، وبمحصر مفردات أى جريدة، أى بحث، أى مقال، أى مادة مكتوبة؛ فإنها لا تخرج عن مادة القرآن إلا بمقدار ٢% فقط، وهذا يعنى أن المادة الشائعة المهيمنة في الكتابات والأحاديث العربية هي مادة القرآن، وتلتقى هذه الملاحظة مع ملاحظة ابن فارس في كتابه "الصاحي" التي تقول: إن القرآن فرض على الناس بيئاً خاصاً، فهم يقولون في الشيء إذا وصفوه بالطول يقولون: طويل، ولا يقولون: أشق ولا أمق، وهما لا يردان في استعمال الناس^(٢).

إذن فقد هيمن القرآن هذه اللغة وثبت مادتها؛ لأن مادة القرآن نحفظها جيلاً بعد جيل، ونردها بطريقة واحدة وبأحكام للإلتقان وللأداء واحدة، وهذا هو السر في استمرار اللغة عبر خمسة عشر قرناً حتى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛

(١) د. على حلمي موسى، د. عبد الصبور شاهون؛ دراسة إحصائية لجدور معجم تاج العروس

باستخدام الكمبيوتر، - مطبوعات جامعة الكويت رقم ٣٢، ١٩٧٣.

(٢) ابن فارس: الصاحي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشريبي: ص ٩٨.

لأنها لغة القرآن، ولا نستطيع أن نقول: إن فيها ملامح من جاهلية ما قبل القرآن. فهذا كله سبق إلى قُرَافة المعاجم موجود ومحفوظ، أما كلمات القرآن فهي الكلمات التي انطبعت بها الألسنة فلانت بالاستعمال، ولذلك يعد حافظ القرآن حافظاً لكل اللغة التي نستخدمها في عربيتنا، ولا يوجد شعب يحفظ كل لغته إلا الشعب المسلم، يقولون: إن من حفظ خمسمائة كلمة إنجليزية يتعامل مع الإنجليز ببساطة ومرونة، ومن حفظ خمسمائة كلمة فرنسية يستطيع أن يتحدث الفرنسية، أما في العربية فنحن نحفظ متن اللغة كلها ونستطيع أن نستخدمها في حياتنا كلها، وبذلك تتميز العربية الفصحى على سائر لغات الأرض؛ لأنها اختيار الله عز وجل لبيان كلامه المنزَّل.

تحديد مصطلح العربية المعاصرة:

لا يقصد بالعربية المعاصرة معناها الواسع الذى يضم كل مستويات اللغة العربية وإنما المقصود بها المستوى الفصحى من اللغة، ووصفها بالمعاصرة للدقة في التعبير عن اللغة التي تعاصرنا وتعيش على ألسنتنا، فالوصف "معاصرة" مأخوذ من: عاصر فلاناً، أى عاش معه في عصر واحد^(١).

ويطلق على العربية المعاصرة مصطلحات عديدة بين الباحثين، أشهرها: "الفصحى المعاصرة"^(٢)، "فصحى العصر"^(٣)، "والعربية المعاصرة"^(٤)، و"العربية الفصحى الحديثة"^(٥)، و"اللغة العربية المشتركة"^(٦)، و"اللغة العربية المعاصرة"^(٧)، و"العربية الفصحى المعاصرة"^(٨)، وغير ذلك من المصطلحات، فكل باحث يختار المصطلح الذى

(١) لسان العرب: مادة (ع ص ر).

(٢) د. شوقي ضيف: الفصحى المعاصرة، محاضر جلسات المجمع (الدورة ٤٤) — القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للتحرير، ١٩٧٨، ص ١٩، والربط بين التراكيب، ص ٣٦.

(٣) د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ١٢٧.

(٤) د. عبدالصبور شاهين: علم اللغة العام، ص ٢٥٥، د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ص ١٢٣، د. محمد محمد داود: ألفاظ الحركة في العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبدالصبور شاهين.

(٥) ياروسلاف ستتكيفتش: العربية الفصحى الحديثة، (بحوث في تطور الألفاظ والأساليب)، ترجمة وتعليق: د. محمد حسن عبدالعزيز، ١٩٨٥، (العنوان).

(٦) د. إبراهيم أنيس: مستقبل اللغة العربية، ص ٤٨.

(٧) د. محمد محمد داود: الألفاظ الدالة على الكلام في اللغة العربية المعاصرة، دراسة دلالية وتأصيلية.

(٨) د. أحمد محمد قدرى: العربية الفصحى المعاصرة.

يفى بغرض بحثه، واختيارنا مصطلح العربية المعاصرة؛ لأمر ثلاثة:

١- إشاراً للاختصار، وهو من سنن العربية، حين يدل الحال أو الموقف على الكلمة؛ فإنها تحذف للعلم بها^(١).

٢- تحديد زمنها بالزمن المعاصر.

٣- استعمال كلمة فصحي قد يوحى بأننا سوف نشتغل بالقضية القديمة الجديدة: قضية الفصحى والعامية.

سمات العربية المعاصرة:

قامت العربية المعاصرة على أصول العربية الفصحى في كل المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وعرفت العربية بأنها فصحي "كلاسيكية مستمرة"، مع تغير وتطور ضمن حدود لا تتجاوزها، على خلاف معظم اللغات الحية التي يمكن نظرياً أن تتغير صفحة وجهها بصورة فيها تباين ملحوظ، يجعلها بعد أمد تقرب من أن تكون لغة أخرى^(٢).

ومن المهم أن يلاحظ أن العربية تقوم أساساً على الإعراب، الذي يعد خصيصة بارزة من خصائص الفصحى، وعلى صحة التراكيب النحوية، وعلى سلامة الأبنية الصرفية، والأداء الصوتي، أما المفردات فهي أكثر العناصر اللغوية قابلية للتطور في

(١) من ذلك قول الله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ الرحمن/٢٦، أى: من على الأرض، وقوله تعالى: ﴿حقى توارت بالحجاب﴾ ص/٣٢، يعنى: الشمس، وقوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ القيامة/٣٦، أى: الروح، وقوله تعالى: ﴿واسأل القرية...﴾ يوسف/٨٢، أى: أهل القرية.

(٢) د. فايز الداية: الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجرى: ص ١١٩.

اللغات الإنسانية، لذلك يمكن أن نعد كل استعمال يحرص على الإعراب ويراعى القواعد الصرفية والصوتية أداءً، رغم تعدد مستويات الفصحى؛ فاللغة الفصحى تختلف باختلاف فنون الأدب: النثر، والشعر، والخطابة، والقصة. أما لغة أصحاب العلوم والقانون والاجتماع فكلامهم مجرد وسيلة، وترتب على ذلك أن أصبح لكل من هذه الفنون خصائصه اللغوية في النظم والبناء والتركيب^(١)، لكن داخل إطار مستوى الفصحى.

نخلص من هذا إلى أن سلامة مستويات العربية المعاصرة من أهم سماتها التي تميزها عن العاميات الدارجة، التي تختلف في درجة قربها من الفصحى أو بعدها عنها، لكن هذه السمة تنقلنا إلى سؤال مهم، وهو: هل هذه السلامة اللغوية في العربية المعاصرة حاضرة في الواقع اللغوي المنطوق والمكتوب على حد سواء؟

والذي دفع الباحث إلى هذا التساؤل هو أن العربية المعاصرة - في الأعم الأغلب - لغة مكتوبة لا تنطق إلا في مجالات محدودة وحدود ضيقة، حتى أطلق عليها "لغة الكتابة"، ووصفها الأستاذ محمود تيمور بأنها "لغة كتابة لا لغة كلام ولو كانت لغة كلام لعاشت في السوق والبيت"^(٢).

ورغم أن اللغة المكتوبة - وهي تمثل اللغة العربية المعاصرة هنا - تحظى ببعض المميزات، فهي أقل عرضة للتغير من المنطوقة، وعلى درجة عالية من التماسك؛ لأنها لغة معدة، ويمكن الرجوع إليها، وهي الأمين على معارف الأمة وعلومها، إلا أن اللغة المكتوبة لها عيوب مؤثرة، فهي محرومة من المسرح اللغوي وطريقة الأداء. وحرمانها

(١) انظر: د. محمد أحمد قدرى: العربية الفصحى المعاصرة، ص ١٨.

(٢) مجد محمد الباكير البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة: ص ٩.

من الجانب الصوتي يفقدها جانباً مهماً من تأثيرها على المتلقى، "فالكلمة المطبوعة - من بين الوسائل الجماهيرية- هي الوسيلة الخالية من الصوت البشرى، وبخلوها منه تفقد العنصر الذى تستمد منه لغة السينما والإذاعة والتلفزيون دفقاً وتأثيراً"^(١).

ولا يقف الأمر عند عدم استعمال العربية المعاصرة فى شئون الحياة، بل تمتد المشكلة إلى أسلوب تعليم العربية المعاصرة، فمن المؤسف أن يتعلمها الطلبة كتابة وعن طريق القواعد والأحكام النظرية، و"اللغة مهارة لا تُتعلّم عن طريق القواعد والأحكام النظرية أو دروس اللغة وحدها، وإنما تُتعلّم عن طريق الاحتكاك والممارسة، والتطبيق والتدريب، بعد استكمال عدة الاستماع والاختزان، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت العربية المعاصرة: فرساً حروئاً، وأداة عصية فى أيدي جمهور المتعلمين والمثقفين الذين لا يحسنون التعبير عن ذات أنفسهم"^(٢).

وشىء آخر لا يُغفل عنه فى هذا المقام؛ وهو أن الكتابة محاولة تقريبية لتسجيل الواقع الصوتى، وهى لا تطابق الواقع الصوتى تماماً، وقد نتج عن هذا أمران:

الأول: تعدد احتمالات النطق للكلمة المكتوبة، ولا يتحدد نطقها إلا بعد فهم السياق^(٣). إننا فى اللغة العربية يجب أن نفهم أولاً لنقرأ قراءة صحيحة.

الثانى: أن القارئ الذى يتلقى الكلمة لأول مرة عن طريق العين يجتهد فى كيفية نطقها، وقد يصيب فى اجتهاده وقد يخطئ، وقد خلق هذا الاجتهاد فوضى واضطراباً لا مثيل لهما فى أى لغة أخرى.

(١) د. عبد العزيز شرف: اللغة الإعلامية : وعلم الإعلام اللغوى: ص ١٨٨.

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة: ١/١٤٥، مجلة فصول، مج ٤، ع ٣، (أبريل، مايو، يونيو ١٩٨٤): ١/١٤٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

يضاف إلى ما سبق أن اللغة المكتوبة تتطلب مجهودًا للقراءة، وهو مجهود قد يصبح عبئًا على بعض الناس بسبب ما لديهم من عقبات عاطفية أو عيوب بدنية أو نقص في التدريب^(١). وبالتالي "فإن اللغة المكتوبة وقف على من يحسن القراءة والمعرفة، كل هذا جعل العربية المعاصرة "اللغة المكتوبة" تعاني من صور التحريف والتشويه المختلفة، حتى لا نجد إلا لغة مهلهلة تحس بالعربة بين أبنائها"^(٢).

العربية المعاصرة وأهلها:

ترتبط اللغة بأهلها، ففي قوتهم قوة لها، وفي ضعفهم ضعف لها، ومحنة العربية المعاصرة من محنة أهلها، فالتخلف الحضارى لأهل اللغة العربية جعل العربي عاجزًا عن التعبير عن هذا الطوفان الحضارى من المخترعات الجديدة، ولم يكن أمام الإنسان العربي بدًّا من استعمال هذه المواليد الحضارية بأسمائها الأجنبية، كما سمّاها أهلها بلغتهم، ورغم جهود الجامع اللغوية في ترجمة^(٣) المصطلحات العلمية وأسماء المخترعات الحديثة، إلا أن الواقع اللغوى قلّمَا يستجيب لذلك، "فالمشكلة هي أننا

(١) د. عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية: ص ١٨٨.

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة: ص ١٤٢، ١٤٣.

(٣) التعريب ليس هو الكتابة بالعربية أو الحديث بالعربية إطلاقًا، إنما التعريب تعريب الفكر، فكّر عربيًا تخرج كلامًا عربيًا، وفكّر إنجليزيًا تخرج كلامًا إنجليزيًا. فالأساتذة تعلموا بالإنجليزية وعقولهم مملوءة بقواعد الإنجليزية فيكتبون ويتحدثون ويحاضرون بها؛ ولو صنعوا هذا الشيء نفسه مع العربية لأتوا بالعجب العجاب، ويقولون: اللغة العربية غير قادرة على صوغ المصطلحات، وهذا خطأ كبير، هل حاورتها؟ هل طلبت منها؟ لم نحاول ولم نفكر، بل أخذنا المصطلح الأجنبي واستحسنناه. ولكن لو فكرنا بطريقة العربية كلٌّ في تخصصه وعلمه ومادته، فإن مادة العربية ستجود بخاطرنا، وسنستطيع أن نأتى بالكلام المعبر عن هذه الأفكار العربية التي فكرنا بها، وهكذا.

مستهلكون للعلم لا منتجون، ومواليد العلم تولد على غير أرضنا وبأيدي غيرنا وصاحب المولود هو الذى يسميه... فالذى يشكل عنصرًا صناعيًا فى معمل من المعامل هو الذى يعطيه تسميته العلمية"^(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة: تليفزيون، راديو، كاسيت... إلخ، يضاف إلى ماسبق أن شعور بعض المثقفين بأن اللغة الأجنبية لغة أهل الحضارة والتقدم، يجعلهم يلجأون إلى تطعيم حديثهم بأسماء وتعبيرات أجنبية، كدليل - من وجهة نظرهم - على علو كعبهم فى العلم وسمو ثقافتهم، وما ذلك إلا لون من التلوث اللغوى الذى انتشر بين كثير من المتعلمين فى مجالات مختلفة، هذا فضلاً عن تأثير لغة الإعلام بوجه عام: المقروءة والمسموعة، والمرئية، على المتلقى من تلوين معجمه اللغوى بكلمات أجنبية، وبعض الأخطاء اللغوية؛ لما للغة الإعلامية من طبيعة خاصة تخضع لظروف العمل الإعلامى ذى الإيقاع السريع، حيث الحاجة إلى ملاحقة الكثير من الأخبار والأحداث والتعبير عنها بالسرعة نفسها.

فإذا انتقلنا إلى مجالات الحديث بين المتخصصين فى اللغة العربية، نجدهم أيضاً "يستخدمون العاميات فى التعبير عن ذات أنفسهم، وأعضاء الجامع اللغوية يناقشون مشكلات العربية ويضعون لها الحلول لتطويعها، بلسان عامى غير فصيح"^(٢).

أيضاً نجد المدارس الأجنبية، ومعظم الجامعات العربية تدرس العلوم بلغات أجنبية مع هجر اللغة العربية تماماً، مما أثر فى لغة الدارسين وأدخل كثيراً من الكلمات الأجنبية وأضعف اللغة الأم عندهم، وأوجد فيها الكثير من اللحن وهانت اللغة على أهلها حتى صار الخطأ فيها لا يُخجل أحداً.

(١) د. عبد الصبور شاهين: قدرة العربية على استيعاب علوم العصر، مقال بمجلة الأمة، س٦،

٦١٤، وانظر: علم اللغة العام: ص ٢٥٥ .

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة: ص ١٤٣.

واقع العربية المعاصرة:

انتهى بنا وصف واقع العربية المعاصرة، إلى أنه واقع مضطرب اضطراب أهلها اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، وأنها في حقيقة الأمر منعزلة عن سياقاتها وبيئاتها الطبيعية، لذلك وصفوها بالجمود وما هي بجمادة بذاتها، وإنما الجمود في أهلها إذ حرموها أن تُمارس في حياتهم فعزلوها، في حين أننا نتكلم العامية بطلاقة، هل خلقنا بها؟ لا، لكننا نستعملها في شتى مناحي الحياة؛ نتكلم بها ليلاً ونهاراً فتتطبع في أذهاننا، فيأتي الكلام بعد ذلك على منوال ما انطبع في أذهاننا، وترتّب على ذلك أن أصبحنا مهرة في الحديث بالعامية بفضل الممارسة، في مقابل العجز عن الحديث بالعربية، لعزلها عن مجال الممارسة اللغوية من الدُّربة والمران، إلى درجة أن يعجز المتخصصون فيها عن الحديث بها في قاعة الدرس اللغوي وشرح القواعد اللغوية، وما أكثر وقوع اللحن والزلل والتحريف فيها من أهلها، هذا رغم حفظ قواعدها وتدريسها؛ والسبب في ذلك أن القواعد تُدرّس منعزلة عن مادتها وممارستها.

مشكلة الازدواج اللغوي:

ظاهرة الازدواجية، "اللغة العربية الخالدة تواجه الآن وضْعاً عجيباً، قومياً وحضارياً أما قومياً: فهي تقف في مواجهة حشد من اللهجات التي تنتمي إليها وفي مواجهة جهود تحاول إقصاءها عن مجال الاستعمال؛ انتصاراً لتيار العاميات. وأما حضارياً: فإن لغة الحضارة الحديثة، وهي الإنجليزية في المقام الأول، طغت على وجود العربية في مجال العلوم^(١).

وإلى الظاهرة نفسها يشير عالم اللغة الفرنسي "أندريه مارتينييه" بقوله: "إن هناك مشكلات لغوية جدية في العالم العربي، من هذه المشكلات اللغوية، مشكلة وحدة

(١) د. عبدالصبور شاهين: في التطور اللغوي: ص ٧.

اللغة العربية، فهناك اللهجات المصرية، والسورية، والمغربية وغيرها من اللهجات العربية التي ينبغي أن تحل مشكلاتها"^(١).

العامية:

مصطلح العامية ليس بجديد، فنجد في مؤلفات القدماء: "لحن العامة"، "لحن العوام"، فبقيت النسبة إلى العوام؛ يقول الزبيدي: "فهذا ما أفسدته العامة عندنا، فأحاولوا لفظه أو وضعوه غير موضعه.. فرأيت أن أنه عليه وأبين وجه الصواب فيه"^(٢).

ويلمح من سياق النص أن المقصود بالعامية هم الناس العاديون، كما أن المقصود بالعامية هنا ليس اللهجة التي لها صفات صوتية خاصة، وإنما أصل العامية هنا: "ما أفسدته العامة" أي أن أصلها اللحن، ثم تفسى هذا اللحن وشاع وانتشر يقول الرافعي: "العامية هي اللغة التي خلقت اللغة الفصحى في المنطق الفطري وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخباها وانتقاص عادة الفصاحة، ثم صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة.. وعادت لغة في اللحن بعد أن كانت لحنًا في اللغة"^(٣).

فمنذ أن اجتهد اللغويون القدماء ووضعوا تعييدًا للفصحى، وحددوا صفات لها "ساعدوا دون قصد منهم على تحديد صفات لغتين لا لغة واحدة: اللغة التي تقع داخل الحدود، واللغة أو اللغات التي تقع خارجها، أو اللغة الصحيحة وما عداها؛ أو بعبارة أقرب إلى المتداول الآن: الفصحى والعامية"^(٤).

(١) د. مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية: ص ٢٩٠.

(٢) الزبيدي: لحن العوام، تحقيق: د. رمضان عبدالنواب: ص ٨.

(٣) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب: ٢٣٦/١.

(٤) د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة: ص ٤٠.

وإن كانت النصوص السابقة فيها إشارة واضحة إلى أن أصل العامية هو اللحن، فإن بعض الباحثين رصدوا كثيراً من الظواهر في لهجاتنا الحية المعاصرة وأثبتوا أن هذه الظواهر ليست إلا امتداداً للهجات القديمة، مثل كسر حرف المضارعة في نحو: تعلم، تفهم، وكان ذلك عند قبيلة بهراء، كذلك استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على التمام (أى على وزن مفعول) مثل: دان: مَدْيُون، عاب: مَعْيُوب^(١)، ونسب ذلك إلى تميم^(٢)، وهذا يضيف أن العامية في بعض ظواهرها ما هي إلا امتداد للهجات عربية قديمة.

ونخرج من كلا الرأيين بأن العامية خليط من اللحن وبعض اللهجات العربية القديمة.

والعامية المعاصرة لها سمات تحدها؛ أهمها:

أها: أولاً: "لغة خليط: فبعضها فصيح الأصل عربي النسب، ولكن تغيرت مخارج حروفه، أو لعبت بها السنة العوام فحرفته عن أصله وأخرجته عن صورته"^(٣)، مثل: قال: آل . الحديث: الحديث. "وبعضها غريب دخيل مازال في العربية راسباً من رواسب لغات امتزج أهلها بالعرب في فترة من فترات التاريخ، كبعض الكلمات التركية: (دوغرى، يوزباشى)"^(٤).

كما أن أكثر ما يميز العامية سقوط علامات الإعراب تماماً، لأنه ليس من شأنها

(١) الب: مدين، معيب.

(٢) د. رمضان عبدالنواب: بحوث ومقالات في اللغة، ط: ١، ص ٢٦٣.

(٣) د. مازن المبارك: نحو وعى لغوى: ص ٣٤.

(٤) د. فايز الداية: الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجرى: ص ١١٩.

الضبط والنظام، إنها "الهمجية غير مهذبة، وليس لها من أصول مستقرة" (١)، "لأنها لا قاعدة لها، وليس من منطقتها ولا طبيعتها أن تكون لها قاعدة" (٢).

وهناك من الباحثين من يرى أن العامية لغة لها نظام يحكمها وقواعد تضبطها، لكن هذا النظام وتلك القواعد لم تدون بعد. وإلى هذا الرأي جنح الأستاذ الدكتور السعيد بدوى فى كتابه "مستويات العربية المعاصرة" (٣)، ولم يعد الباحث أن يجد من الشواهد ما ينصر رأيه، لكن قد يعترض هذا الرأى نقاط تحتاج إلى مناقشة دقيقة إذا أردنا أن نتناول مسألة قواعد العامية تناوياً كاملاً، من ذلك:

- هل هذه القواعد يمكن للباحث أن يلمحها فى كل المستويات اللغوية للعامية (الصوتية، الصرفية، الدلالية، التركيبية)؟
- وهل هذه الظواهر التى نلمحها فى العامية ظواهر لغوية مطردة، يمكن أن تخضع لقاعدة تحكمها؟
- ثم ماذا عن اختلاف العامية فى الأقطار العربية، بل اختلافها داخل القطر الواحد، فهل سيكون لكل منطقة قواعد تخص عامية أهلها؟
- ثم ماذا عن التغير السريع والمستمر للعامية فى كل مستوياتها، كيف تكون لها قاعدة، ومن شأن القواعد الثبات والاستقرار؟
- وغير ذلك من النقاط التى تحتاج إلى مناقشات نقدية.

(١) مجد محمد الباكير اليرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة: ص ٩.

(٢) د. مازن المبارك: نحو وعى لغوى: ص ٣٤.

(٣) انظر: د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة: ص ٥٦، ٥٩، ١٨٩.

ومن سمات العامية أيضاً أنها ترجمان الحياة الدارجة، "ولا طاقة لها بالتعبير الراقى عن جلائل الأشياء في ميادين الاجتماع" (١).

فاللغة العامية غنية بقدرتها التعبيرية عن الحياة بكل ما فيها من تناقضات وفوارق في المعنى المتحسد الحى، لا التناقضات والفوارق التى تحتاج إلى إعمال الفكر وإجهاد العقل للوصول إلى دلالاتها المحددة، وذلك أن العامية هى تعبير عن العامة وعقولهم العامية، وهى لهذا السبب عيبة قاصرة عن أداء التخيلات والأفكار العميقة، فالمعاني والأفكار العامية يناسبها التعبير عنها بلغة عامية، وعلى سبيل المثال، لا تستطيع العامية أن تعبر عن الأفكار الفلسفية والخيالات ذات الصبغة الشمولية؛ فلن تستطيع الألفاظ العامية أن تجارى الفصحى فى وصف هذه المعاني كما يصفها صلاح عبدالصبور فى قصيدة "أغنية إلى الشتاء" (٢):

يُنبئنى شتاء هذا العام أننى أموت وحدى
ذات شتاء مثله، ذات شتاء ..
وأن أعوامى التى مضت كانت هباء
وأنى أقيم فى العراء
وأن داخلى مرتجف بردًا
قد ذوى حين ذوت ..
أول أوراق الشجر
ثم هوى حين هوت
أول قطرة من المطر
وأن دفاء السيف إن أتى ليوقظه ..
فلن يمد من خلال الثلج أذرع
حاملة وردًا.

(١) مجد محمد الباكير البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة: ص ٩.

(٢) صلاح عبدالصبور: الأعمال الكاملة: ص ١٣٠.

فتجربة الإحساس بالموت وعراء الإنسان أمامه من كل دفاع أو ستار ورجفة الروح حين يجرفها هذا الشعور العميق الكلى الذى يحيل العالم كله إلى تفاصيل فى نسيجه، حتى يرى الشاعر الموت متحققاً فى الشتاء والشجر والمطر والعراء والذبول... إلخ. هذه التجربة الشمولية ذات الطبيعة الدائمة، لا يعبر عنها إلا بلغة فصيحة، ذات تراكيب فصيحة، وبنية فصيحة، ودلالات فصيحة.

وعكس هذا فى (الدراما) التى هى وصف للصراع القائم فى الحياة، فإنها تحتاج إلى لغة يومية تعبر عن مضمونها الذى ينحو إلى التحسيد، وعلى سبيل المثال، فإن أعمال توفيق الحكيم الدرامية رغم ريادةها، وروعة ما تحمله من أفكار عميقة، إلا أنها تتسم بالتحريد أو "الذهنية" مما يتعد بها عن الاتجاه الدرامى الذى يحتاج إلى العامية؛ ليكون معبراً عن الحياة اليومية بتفاصيلها وظلالها.

وهذا الكلام ينطبق على الحوار فى القصة والرواية، فلو كان المتحدثون فصحاء - بالمعنى العقلى للفصاحة- فإن حديثهم لابد بالتالى أن يكون فصيحاً، وإن كانوا عامة أو يتناولون أموراً عامة؛ فإن حوارهم ينبغى أن يكون عامياً فى بنائه وتركيب عباراته وألفاظه.

"اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب، وتختلف فى الشعب الواحد باختلاف مناطقه، فعامية العراق لا يكاد يفهمها المصريون أو المغاربة .. وفى البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس، وباختلاف المناطق فعامية المنيا غير عامية جرجا"^(١).

واللغة العامية لغة حديث وليست لغة كتابة، على عكس الفصحى، ولعل هذا لا يجرمها من سياق الموقف الذى تحرم منه الفصحى، "حيث إن السياق المنطوق يظهر

(١) د. على عبدالواحد وافى: فقه اللغة: ص ١٥٨.

الوقفات العديدة والنغمات المختلفة والنبر بدرجات مختلفة أيضاً، ثم الضحك أثناء الحديث" ^(١)، وهذه الخاصية "كونها لغة حديث" تتيح لها فرصة الانتقال من السلف إلى الخلف في سن الطفولة عن طريق التقليد والمحاكاة، وكون اللغة العامية لغة حديث "لغة منطوقة"؛ فإن ذلك يجعلها عرضة للتغير والتطور؛ حيث إن الخطاب المنطوق يتميز بأنه يبدل كلمة محل كلمة أخرى نتيجة لهذه القدرة الميكنة الفورية التصحيحية، أضيف إلى ذلك أنه يحتوي على بدايات لغوية خاطئة، ويتميز بالوقفات الداخلية *Internal pauses*، ويتميز بما كان قد دعاه "لايكوف" عالم الدلالات الأمريكي (١٩٧٥): "الكلمات المفرغة من وظيفتها اللغوية" ^(٢).

واللغة العامية "لغة فقيرة في مفرداتها، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي" ^(٣)، وهذا شيء نلمسه في الواقع اللغوي المعاصر لاستعمال العامية، حتى إنه أمام عجز مفردات العامية عن التعبير عن الأشياء الدقيقة، يستخدم العامة بعض الألفاظ ويعممون استخدامها، فيطلقونها على عشرات الأشياء، ويفهم السامع من سياق الموقف قصد المتكلم وليس من لفظه، بل اللفظ هنا لا يعدو أكثر من صوت يثير الانتباه فقط، مثل: "هاتِ البتاعة دي"، والبتاعة هذه قد تكون ماكولاً أو مشروباً أو ملبوساً أو آلة... إلخ.

(١) د. مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية: ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٤.

(٣) د. على عبدالواحد وافي: فقه اللغة: ص ١٥٧.

جغرافية العربية المعاصرة

اللغة العربية هي اللغة الرسمية لأكثر من عشرين دولة يقع معظمها بآسيا وأفريقية، وهي كالتالى:

المغرب الجزائر، موريتانيا، تونس، ليبيا، مصر، السودان، جيبوتي، الصومال، السعودية، الكويت، البحرين، قطر، الإمارات، عمان، اليمن، الأردن، سوريا، العراق، لبنان، فلسطين. يضاف إلى هذا الأقليات العربية التى تتحدث العربية فى أنحاء العالم، وكذلك المسلمون من أصول عرقية مختلفة، الذين يتحدثون العربية من أجل العبادة وقراءة القرآن، وهذا الانتشار الواسع الممتد فى أنحاء العالم قد بوأ العربية -على الصعيد الدولى- مكانة جعلتها جنباً إلى جنب مع الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والصينية. بمنظمة الأمم المتحدة^(١)، وذلك منذ الأول من يناير ١٩٧٤م.

وتشير الإحصاءات الجديدة إلى أن عدد الناطقين بالعربية يزيد على ٢٥٠ مليون ناطق، هذا بخلاف عدد الأقليات التى تتحدث العربية فى أنحاء العالم.

إن هذه الأقليات التى تتحدث العربية الواسعة النطاق فى انتشارها والمتضائلة فى حجمها، بعضها يعد امتداداً معاصراً للعربية المعاصرة، حيث إن هذه الأقليات من المهاجرين الذين استوطنوا مجتمعات غير عربية جديدة، وكونوا فيما بينهم مجتمعات صغيرة، على نحو ما هو موجود الآن فى أمريكا وأوروبا وإستراليا.

وبعض هذه الأقليات التى تتحدث العربية يعتبر بقية ضئيلة من الآثار التى خلفها الوضع السائد فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أيام الاتساع العظيم لنفوذ اللغة

(1) *Language, its structure and use*, Edward Finegan, 1999, p.267.

- *David Crystal: The cambridge Encyclopedia of language.*, 1992.

العربية الذى أخذ فى الانتشار مع بزوغ فجر الإسلام فى منتصف القرن السابع الميلادى، وفى مناطق أخرى متاخمة لمناطق النفوذ العربى الإسلامى والتى تقع تحت السيطرة السياسية العربية إلا أنها لم تعد كذلك الآن.

يظهر بهذه المناطق بقايا حطام لغوى خلفها المد الإمبراطورى المنحسر عن هذه المناطق، حيث لا تزال اللغة العربية تستخدم كلغة أولى بالنسبة لبعض السكان المحليين بالرغم من عدم وجود وضع رسمى يدعمها، ويعد إقليم خوزستان (أو عربستان) الواقع فى جنوب إيران فى آسيا أكثر هذه الأقاليم أهمية من الناحية الديموغرافية وربما السياسية أيضاً، وهناك أقليات ناطقة بالعربية توجد أيضاً فى أفغانستان: (بلخ) وأجزاء من الاتحاد السوفيتى السابق (أوزبكستان)، وفى جنوبى تركيا (سيرت)، وفى أفريقيا: فإنه يوجد هناك متكلمون باللغة العربية الأم ينتشرون على أطراف حدود الصحراء الجنوبية فى شمالى نيجيريا والنيجر ومالى وتشاد، أما فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، فما زالت لغة عامية من أصل العربية تستخدم فى قريتين بشمالى قبرص بمحاذاة اليونان، وتعد اللغة المالطية أيضاً — ولا شك — لهجة عربية من حيث تركيبها، وذلك رغم تأثرها الشديد بعدة قرون من الاحتكاك المباشر مع اللغات الرومانسية (الناشئة عن اللاتينية)^(١).

ولكن ما الذى نعينه بالضبط حينما نزعم بأن السكان الأهليين لمثل هذه المناطق المعزولة جغرافياً واجتماعياً وذوى التعددية العرقية يتكلمون العربية؟ وكيف يعقل أن تتكلم قرية بأكملها ناطقة بالعربية من أوزبكستان "اللغة نفسها" مواطن شمال نيجيريا من "مايدوجورى"، أو بلغة رجل قبيلة وهَّابى المذهب وهو يقبع وسط رمال صحراء جنوبى عمان، أو باللغة نفسها لأستاذ قانون إسلامى بجامعة الأزهر بالقاهرة؟

(1) *Modern Arabic structures, functions and varieties*, Clive Holes.

إن مقارنة موضوعية للهجات اللغة العربية المكتشفة على حواف حدود المنطقة العربية، قد تكون خير مرشد للاستنتاج القائل بأن هذه التنوعات اللغوية كانت ترتبط تاريخياً ببعضها البعض، وأنها لهجات واضحة المعالم من حيث تزامنها بعضها مع الآخر، إلا أنها تُعدّ في الوقت نفسه لهجات مبهمة على نحو مشترك، مثل اللغة الإنجليزية والهولندية، إلا أنه لم يكن بالحسبان أن ناطقين بهذه اللهجات المتباينة من اللغة العربية في مستوى لغوى متوسط قد يسهمون هم أنفسهم في صياغة هذه الرؤية؛ فكل واحد منهم بالتأكيد يجزم بأنه قد تكلم العربية شخصياً، وأنه يمكن أن يسلم بأن الآخرين كذلك قد فعلوا، حتى وإن كانت عاميتهم العادية يتعذر فهمها، فكيف لنا أن نفسر هذه المفارقة الظاهرة التناقض؟

إنه لمن المعروف جيداً أن قدرة المتكلمين على فهم التقارب أو التباعد فيما بين اللغات واللهجات تكون أحياناً وثيقة الصلة بعوامل ظرفية وتاريخية، بل وربما عوامل، سياسية، وذلك بقدر صلتها، إما بمفارقات أو متشابهات لغوية، فالتعددات اللغوية الفصحى: اللغة الهندية والأوردية - على سبيل المثال - يختلف بعضها عن البعض الآخر على نحو محسوس، إلا أن الاختلاف طفيف، سواء في القواعد أو في مجموع مفردات اللغة الخاصة بأساليبهم غير الأدبية الاستخدام، وذلك على الرغم من كتابة هذه اللغات بخطوط مختلفة، واختلاف كل منها عن الآخر من حيث الأسلوب الأدبي في الكتابة من كم الصيغ السنسكريتية الأصل (المشتقة من اللغة الهندية الأدبية القديمة المستعملة سابقاً، وكذلك الفارسية الاشتقاق المستعملة لاحقاً)، وإن الطالب الأجنبي الذي يرغب في أن يتعلم النطق بأحد أنواع اللغات الفصحى، ليتعين عليه أن يتلقى درساً عملياً بنسبة مائة في المائة من خلال المتكلمين بهذه اللغة الفصحى من الآخرين، ومع ذلك فإن الناطقين الأصليين بهذه اللغات يزعمون في بعض الأحيان - رغم التشابه

التركيبى والبنىوى الواضح بينهم- أنهم مختلفون إلى حد يصل إلى الغموض فى علاقتهم وتعاملاتهم المشتركة.

أما فى العالم العربى الناطق بالعربية، فنجد أمامنا الظاهرة المناقضة متمثلة فى تنوع لغوى ضخم وملمس.

لهجات العربية المعاصرة:

تعد اللهجات العربية المنطوقة بها تباينات للغة التى يتعلمها الناطقون الأصليون على اعتبار أنها لغتهم الأم، وذلك قبل شروعهم فى الأخذ بالتعليم الأساسى، ومن الناحية الجغرافية فإن هذه اللهجات قد يظن أنها منشورة عبر مجموعات لا تعد ولا تحصى من السلاسل متشابكة الحلقات، بدءاً من المغرب غرباً إلى عمان شرقاً، وانطلاقاً من الحدود السياسية جنوب تركيا شمالاً حتى السودان جنوباً، وفى داخل نطاق هذه المساحة الشاسعة فإنه لن يجد القاطنون لأى قرية أو مدينة أى صعوبة فى فهم العامية العادية لدى سكان القرية أو المدينة المجاورة فى أى جهة، فكلما ازداد اتساع الفاصل المكانى بين أى منطقة وأخرى- عند المقارنة، وعلى نطاق واسع- تزايد اتساع هوة الخلاف القائم بين اللهجات العامية المتداولة فى المحيط الأقصى لهذه المنطقة التى يختلف بعضها عن البعض إلى حد كبير، وتحديدًا إلى درجة تصل إلى حد انعدام التواصل اللغوى بين الناطقين بهذه التنوعات إذا ما كان لنا أن نضاهى بينها وبين ما قد يطلق عليه اللغات العامية الخالصة لغير المثقفين، مثلاً: عامية بدوى عمانى مقارنة بعامية مواطن مغربى من مراكش، وعلى كل حال، فإنه عند التطبيق العملى تقوم عدة عوامل بالعمل على التخفيف من حدة أثر مثل هذه الفوارق.

عوامل التقريب بين لهجات العربية المعاصرة:

على مدى عقود من الزمان قام المعلمون المغتربون والخبراء الفنيون وكذلك المهنيون المحترفون في كل المجالات- من مصر والشرق- بوضع الأساس الذي يعد بمثابة العمود الفقري بالنسبة لكل من التعليم والخدمات التقنية في المناطق الأبطأ نموًا الداخلة ضمن نطاق الإقليم مثل دول الخليج، إلا أن هذا الدور قد تقلص في الوقت الحاضر، فلطالما راح الطلاب من شتى بقاع العالم العربي- ولكن على وجه الخصوص من تلك البلاد التي مازالت تفتقر حتى عهد قريب إلى نظام تعليم من الدرجة الثالثة- يتلقون تعليمهم في جامعات مصر وسوريا والعراق، ولقد ظلت "مكة" مركز التجمع بالنسبة للعالم الإسلامي ومقصد الحجاج المسلمين الوافدين من كافة البقاع العربية لمدة أربعة عشر قرنًا من الزمان، لذا فإن التواصل اللهجي فيما بين مختلف القطاعات السكانية العربية ليس بالأمر المستحدث، لولا أنه مع الازدياد- المطرد في الاتصالات العربية البينية- متزامنًا على وجه الخصوص مع تطورات اقتصادية أخيرة- اتسع مدى الاستخدام لنماذج التواصل اللهجي المتبادل وتعددت أنماطها إلى حد أكبر.

أما في وقتنا الحاضر، فإن التواصل من خلال اللهجات لا يقتصر على مستوى مدير أعمال تنفيذي ذي منصب كبير حاصل على قسط وافر من التعليم وينتقل من بلد إلى آخر، أو المعلم، أو الخبير الفني، المغتربين بعقد عمل طويل الأجل، أو الطالب الحاصل على منحة دراسية في السعودية أو العراق أو مدن الخليج الحديثة التي أخذت في التطور خلال العقدين الماضيين، بل إنه يتعدى كل هؤلاء جميعًا ليصل إلى حشود هائلة من شبه الأميين المهاجرين بغرض الاستثمار والانتعاش الاقتصادي من المصريين والسوريين والعراقيين من طبقة العمال والحمالين والبوابين ومن إليهم، ممن يرجع معظمهم في أصله إلى جذور ريفية ومعظمهم حاصل على شهادات تعليمية متواضعة،

وقد أصبحوا يشكلون قسمة شبه بارزة وملمحًا واضح البروز من قسّمات وملامح صورة مشرقة تدعو إلى الفخر.

العربية المعاصرة وعربية القرآن

منذ قدّم الأزل والعرب يعكفون على دراسة لغة التنزيل على اعتبار أنّها معجزة لغوية لا مثيل لها، أعدت لتناسب كل زمان، وبالنسبة لمعظم أبناء العرب فهي أول أنواع العربية المغايرة للهجاءم التي يتعرضون لممارستها بشكل دائم، وترك في نفوسهم انطباعًا لا يمكن التحول عنه، يعزز ذلك الأداء المنتظم لشعيرة الصلاة وملازمة المسجد طوال حياتهم فيما بعد. وهذا التعرض المبكر لمثل هذا النوع من الممارسة اللغوية يتألف من: الاستظهار لآيات أو حتى أجزاء كاملة من القرآن الكريم، وكذا شهود صلاة الجماعة وسماع خطبة الجمعة والدروس والمحاضرات الدينية بالمساجد، وهو الأمر الذي يتم البدء في تنفيذه منذ سن الخامسة أو السادسة، وذلك في المساجد وفي مدارس خاصة لتعليم القرآن الكريم.

وحتى عهد قريب كان هذا التعليم هو النوع الوحيد الذي يتلقاه العديد من المسلمين في بداية أعمارهم، على نحو ما كان يحدث في "كتاب سيدنا" في القرية في مصر إلى عهد قريب.

وتلقى لغة التنزيل توقيير الغنى والفقير والمثقف والأمي على حد سواء، بوصفها الجوهرة اللغوية النفيسة في الميراث الثقافي الإسلامي، فهي في نظر الجميع الكمال في أوجه وذروته، والجمال الذي لا يضاهيه جمال، بل ومثل أثير أعلى للبلاغة والفصاحة، في تناسق وإحكام بالغين، وعلى الرغم من خضوع العربية لسنة التطور وحدوث تغيرات ملموسة لها خلال الأربعة عشر قرنًا عقب نزول الوحي، فلا تزال الأصول العامة للغة التنزيل يُتلقى منها قواعد العربية المعاصرة إلا أمورًا يسيرة يمكن ردها إلى الصواب أو التماس صلة بالأصل الذي تطورت عنه.

إن هذه الحقيقة المقترنة بالوعي الراسخ بالقيم الثقافية المشتركة، التي تستمد معانيها من خلال الدين الإسلامي وثقافته، والتي تذهب في مجملها إلى تفسير الادعاء الذي يقيمه ناطقون بلهجات عربية تنسم بالغموض وعدم تحقيق التواصل اللغوي بين أطرافها إلى حد كبير، فحواه أنهم جميعًا يتكلمون باللغة نفسها.

إن هذا التنوع اللغوي الشامل والموحد لكل العرب؛ المتمثل في اللهجات العامية؛ يتلاشى أمام عربية القرآن، التي تستخدم عملياً في الكتابة والتأليف، وفي التواصل الحي المنطوق خلال الموجات الإذاعية والقنوات التليفزيونية في نشرات الأخبار والخطابات السياسية والإعلانات الرسمية للدولة وفي مجال التعليم.

وسائل النهوض بالعربية المعاصرة:

هذا العنوان تكرر كثيراً خلال السنوات الماضية، من خلال عقد الندوات المختلفة لمناقشة مشكلات العربية، وإنشاء الجمعيات المختلفة*، للاهتمام بالعربية؛ والجميع متفقون على الواقع المرير للغة العربية، وأسهم كثير من المتخصصين في وضع المؤلفات لمعالجة جوانب القصور عند كل متعامل مع الكلمة الحية من المعاصرين^(١)، فالمشكلة محددة وواضحة، وحلول المشكلة محددة وواضحة أيضاً.

وبالرغم من هذا لم يتغير الواقع المر للعربية المعاصرة، هذا إن لم يزدد سوءاً؛ لأننا نتعامل مع المشكلة - تماماً - كالمرضى الذي شخّص له الطبيب مرضه وحدد له الدواء ووصف له الدواء، فأتى المريض بالدواء ووضعه بجواره ولم يأخذ منه شيئاً، فلم ينتفع به وظل يعاني من آثار مرضه.

* مثل جمعية اللسان العربي... إلخ.

(١) من ذلك: د. أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة، مجد محمد الباكر البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة.

ولعله من المفيد أن نضع جهود الإصلاح والحلول المقترحة في اتجاهين متوازيين:

الأول: وضع حلول المشكلة بين أيدي من يملك القرار، وإنا على يقين بأن عضوية كل من: السيد وزير الإعلام، والسيد وزير التربية والتعليم، وكذلك السادة رؤساء الجامعات سيجعل مقترحات المتخصصين موضع التنفيذ، بدلاً من أن نتكلم مع أنفسنا ونلوم غائباً لا نسمعنا ولا يهتم لصوتنا الذي يحج من النداء بالإصلاح.

والمثال الذي يحتذى في ذلك إذاعة القرآن الكريم، وما نلاحظه من المحافظة على سلامة العربية بصورة تعد نموذجاً رائعاً يقدم لبقية الإذاعات وقنوات التلفزيون.

الثاني: وهو الجزء المتاح بين أيدينا- وهو مهم ومؤثر- وقبل أن أبدأ في عرضه أود أن يسأل كل متخصص في تدريس العربية نفسه الأسئلة التالية:

١- هل تعلم لغة حية أم تعلم لغة ميتة؟

٢- إن كنت تعلم لغة حية فلم تحكم عليها بالموت في أول نقطة انطلاق لها في حصة العربية حين تشرح بالعامية؟

٣- إن كان المتخصص عاجزاً عن مواصلة الحديث بالعربية والالتزام بقواعدها، فكيف يطلب من غيره الالتزام بقواعد العربية؟

٤- كيف يقبل كثير من مدرسي اللغة العربية أن يعجز عن تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة أمام الطلبة^(١)؟

(١) قدمت التربية والتعليم بمدينة بورسعيد شكوى لكلية التربية بعجز كثير من مدرسي اللغة العربية عن القراءة الصحيحة للقرآن أمام الطلبة، وحدثني المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ عمود حافظ برانق (رئيس لجنة المصحف سابقاً) عن ضعف مستوى بعض أئمة المساجد في قراءة القرآن.

٥ - كيف تناقش البحوث العلمية بالمجمع اللغوى، ورسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغة العربية بالعامية؟!

٦ - هل تخجل حين تخطئ فى قواعد العربية أثناء الحديث؟

٧ - هل تدرك دورك.. بمعنى هل تُعلم لغة أم تعطى معارف لغوية؟

بعد عرض هذه الأسئلة التى قد ترفع درجة الإحساس بخطورة المشكلة، يجب أن نعترف - بداية - أننا بموقفنا السلبي من اللغة وعدم التعامل بها بين الناس وفى قاعات الدرس اللغوى نصد الناس عن اللغة، كما تفقد اللغة الأسوة والقدوة التى يتعلم الناس منها بالمحاكاة، ومهما أثقلنا كاهل الطالب بكم هائل من القواعد؛ فلن تتحسن عربيته وسيظل تابعاً للنموذج اللغوى الذى يتعامل به فى البيت وفى الشارع وفى قاعات الدرس، إنه نموذج العامية التى فرضت هيمنتها على ألسنة المعاصرين عن طريق الممارسة والاستعمال.

لذلك فإن البداية الجادة للإصلاح هى نقل الدرس اللغوى فى المستويات التعليمية المختلفة من المعرفة النظرية والحديث عن اللغة إلى الممارسة العملية للغة، فالنطق الصحيح فى إطار القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية هو السبيل الفعال لتحسين الأداء اللغوى بالعربية. وأهم السبل لتحقيق ذلك هو:

(١) أقصر وأسرع السبل إلى تقويم اللسان العربى هو القرآن الكريم^(١)، ولا يشترط هنا الحفظ، بل يشترط التلاوة الصحيحة على يد مجيد للتلاوة.

(١) جدير بالذكر هنا تجربة معهد معلمى القرآن الكريم بالمركز الإسلامى بمسجد العمرانية مع طلبة التربية والتعليم بالأزهر، وكان تقييم هذه التجربة التى تنمو كل عام كالتالى:

• قد ينسى الطالب ما حفظه من الآيات، لكن يظل نطقه الصحيح وتلاوته الجيدة للآيات باقية مع الأيام.

وتقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية أثناء التعلم من أنفع السبل إلى التمكن من نطق الكلمة نطقًا سليمًا.

(٢) إلزام المطابع والمؤلفين لمستوى التعليم الأساسي بكتابة النصوص مُشكّلة، للقضاء على احتمالات النطق المختلفة للكلمة الخالية من التشكيل بالحركات القصيرة.

(٣) إعداد المدرس للدرس أو المحاضرة مع ضبط أواخر الكلمات، وإعادة قراءتها مرات؛ كي تلين الكلمات بالاستعمال وتصير سهلة على اللسان، وتكون أكثر استقرارًا في الذهن فيسهل استحضارها بمجرد النظر السريع، أو بمجرد استحضار المعنى المراد التعبير عنه.

(٤) الاهتمام بالأنشطة اللغوية التي تعتمد على المشافهة؛ كالخطابة، وحسن القراءة، وفن الحوار، وفن التقديم... ونحو ذلك.

(٥) ضبط العبارات التي يتكرر استخدامها في الاجتماعيات المختلفة من عبارات التحية والتهنئة والعزاء والمواساة والطلب والشكر والاعتذار وتسجيل الإعجاب والاستئذان... ونحو ذلك.

(٦) أخذ صحة الأداء اللغوي في الاعتبار في الامتحانات الخاصة باللغة العربية وفروعها، ويكون التقييم على لقاء حي فيه حوار ومشافهة، ولا يتم نجاح الطالب إلا بالنجاح فيه.

(٧) عقد دورات تمهيدية للمدرسين تركز على معالجة الأخطاء في الأداء اللغوي وإكسابهم المهارة اللغوية، مع مراعاة كل المستويات اللغوية: صوتية و صرفية ونحوية ودلالية.

• = الطلبة الذين كانوا يعانون من بعض الأخطاء الصوتية مثل نطق (ط) مرققة فتقلب (ت)، أو نطق الأحرف الأسنانية نطقًا عاميًا كالتالي: ث ← س، ذ ← ز... إلخ، تخلصوا من هذه العيوب النطقية، لقد قُومَ القرآن لسائهم.

(٨) تيسير قواعد العربية وتجنب تدريس الأبواب التي لا تستعمل.

هذه العناصر الثمانية في أيدينا .. ولا يبقى إلا أن نعمل .. وأن نبدأ بأنفسنا.

أما عن المقترحات الأخرى^(١) التي قدمها أساتذة متخصصون في العربية فلها أهميتها البالغة، مثل: إنشاء قاعدة بيانات، وإلزام الإعلام - بوسائله المختلفة - بالعربية الصحيحة، وربط اللغة العربية بمختلف المواد الدراسية الأخرى، وتحسين صورة مدرس اللغة العربية في وسائل الإعلام، والاهتمام بالمعجمات المعاصرة، وتعريب التعليم الجامعي ... إلخ، فكل هذه المقترحات تحتاج إلى إمكانيات، وإلى أصحاب القرار، وإلى زمن. والسعى من أجل تنفيذها جهاد وكفاح، فالمحاولة الجادة مطلوبة، بل ومفروضة، ولا بد من أن تتكامل الجهود.

والمهم ألا نكتفي بوصف المشكلة وعرض الحلول، بل علينا أن نصعد الجهد خطوة في سبيل الحل .. بأن نعمل.

(١) د. أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة: ص ٢٧ وما بعدها.

الفصل التاسع

العربية والحاسوب

العربية والحاسوب^(١)

في إطار المعلوماتية تزداد أهمية معالجة العربية خلال الحاسوب؛ كى نواكب ركب الحضارة.

ولما كان الحاسوب مولودًا غير عربى اللغة — فهو إنجليزى المولد — فقد اتخذت تقنيات الحاسوب ونظم المعلومات اللغة الإنجليزية أساسًا لها.

وفرض هذا الأساس الإنجليزي قيودًا تقنية على اللغات الأخرى، وكلما اتسع التباين بين الإنجليزية وبين اللغات الأخرى ازدادت حده هذه القيود.

وتمثل اللغة العربية واللغة الإنجليزية من وجهة النظر الحاسوبية طرفي نقيض، ومن هنا كانت العقبات الصعبة أمام تعريب الحاسوب وأصبح حاجز اللغة من أشق الحواجز على المستخدم العربي.

ولقد نجح العرب في تعريب جزء من الحاسوب على مستوى اللغة المكتوبة، لكن مازال أمر اللغة المنطوقة يحتاج لشروط طويل في التعريب.

الأمر الثانى أن تغذية الحاسوب فيما عُرِّب فيه لم تتم بالشكل المطلوب فى إطار المعجمية الحديثة والمستويات الدلالية والصرفية والنحوية للغة العربية، وتحتاج لجهود

(١) راجع بتفصيل فى هذا الموضوع:

د. نبيل على: العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة (١٨٤) الكويت، أبريل ١٩٩٤.

: الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب العربي، عالم المعرفة

(٢٦٥)، يناير ٢٠٠١.

: اللغة العربية والحاسوب، دار غريب للنشر، القاهرة، ١٩٨٨.

مشترك من اللغويين والحاسوبيين لإنجازها، وللتغلب على هذه العقبات وضع العلماء
سؤالين لتحديد المطلوب، هما:

١- كيف نتجاوز قيود اللغة الإنجليزية على الحاسوب، في المعالجة العربية دون
إخلال بنظم العربية وقواعدها؟

٢- كيف يمكن الاستفادة من النظم الحديثة للحاسوب، وتطويرها لخدمة العربية؟
وللإجابة على السؤالين السابقين يتطلب الأمر معرفة متشعبة ومتباينة عن علم
اللغة الحاسوبي.

أولاً: مستويات تناول علاقة اللغة بالحاسوب:

فالحاسوب كأداة للغة، يمكن أن يستفاد به في الأغراض اللغوية التالية:

١- استخدامه في الإحصاء اللغوي:

مثل نسب ورود حرف الجر في نص معين، وتوزيع الصيغ الصرفية المختلفة،
وأشكال الأنماط التركيبية، وتوزيع حالات الإعراب المختلفة... إلخ.
وهذه الإحصاءات تفسر لنا:

- سلوك اللغة بشأن ظاهرة محددة، مما يتيح معرفة أدق بالمعايير اللغوية، كما تكشف
لنا عن أسرار اللغة العربية.
- التوصيف الكمي للعربية، لمعرفة درجة شيوع كلمات أو جذور، أو ظاهرة لغوية
في نص محدد من خلال بيان نسبة التكرار.

٢- استخدامه في التحليل والتركيب اللغوي:

- فعلى مستوى الصوتيات يمكن تمييز الكلام وتوليده آلياً

- وعلى مستوى الكتابة يمكن القراءة الآلية للنصوص المكتوبة.
- وعلى مستوى الصرف يمكن تجايل الكلمات إلى مقاطع ووحدات صوتية وتركيبها أيضاً.
- وعلى مستوى النحو يمكن تحليل الجمل وإعرابها وتوليدها آلياً.

مثال: كلمة "إخراج":

عناصر التحليل: إ + خرج + الألف

الصيغة الصرفية: إفعال

قسم الكلمة: مصدر

الحالة الإعرابية: الرفع

جذر الكلمة: خ ر ج

الدلالة: إبراز شيء معين للوجود

٣- استخدام الحاسوب في الفهم الأوتوماتي للسياق اللغوى:

ويمثل هذا العنصر الهدف الأسمى للنظم الآلية للتحليل اللغوى، وهناك محاولات فى إطار اللغة المنطوقة والمكتوبة على السواء، ولكن المعضلة التى تقف عشرة أمام تحقيق هذا العنصر هى أن عنصر الدلالة لا يعتمد فقط على ما هو مكتوب أو منطوق، بل على خلفية ثقافية واسعة وعلى المسرح اللغوى، وعلى احتمالية تعدد أوجه المعنى، ولا يحسمها إلا العقل البشرى حتى الآن.

استخدام الحاسوب فى المعاجم الآلية:

وهذا عنصر قد نهض به الحاسوب على مستوى الإنجليزية وغيرها من اللغات بصورة باهرة، وأهم ملاحظته:

أ- تخزين أكبر كم من المواد اللغوية وما يتعلق بها من شروح في أقراص بسيطة صغيرة الحجم، سهلة التداول.

ب- تحليل العلاقات التي تربط المفردة بمفردات أخرى، والعلاقات الدلالية والصرفية والنحوية لها.

ج- تحليل تعريفات الكلمة المختلفة.

د- ومن الإنجازات التي تمت في العربية: إنجازات صخر ، د. أحمد مختار عمر.

استخدام الحاسوب في الترجمة الآلية:

وهذا العنصر من الغايات النهائية لنظم التحليل اللغوي الحاسوبي، وقد قطعوا فيه شوطاً لا بأس به، لكن تصادفه عقبات، أهمها:

١- عدم التقابل الكامل بين مفردات اللغة المختلفة.

٢- التباين في طبيعة تركيب الجملة بين لغة وأخرى.

استخدام الحاسوب في تعليم اللغات:

وقد أنجز تقدماً ملحوظاً لهذا العنصر وبخاصة في مجال المفردات، لتنمية حصيلة الفرد من الكلمات، وتنمية مهارة القراءة والكتابة.

لكن مازالت تواجهه عقبات، أهمها:

● غياب عنصر الكلام المنطوق الذي يواكب الدلالات المختلفة، لكن هنالك نمط جامد لا يتلون مثل تلون الصوت البشرى.

● صعوبات أمام برمجة العربية بالكمبيوتر فى المستوى المنطوق: فالحاسوب جهاز دقيق، يحتاج إلى تحديد دقيق لكل المعارف التى تدخل فيه من خلال برامج وأنظمة تتيح استدعاء هذه المعارف والانتفاع بها.

ومن هنا فإن برمجة العربية تواجهها الصعوبات التالية:

١- فى المستوى الصوتى:

- الثنائيات الصوتية فى العربية، مثل:

ت ← ط ، ذ ← ز.

د ← ض ، ث ← س... إلخ.

وما من شك فى أن تحديد القيمة الصوتية بدقة ووضوح لكل وحدة صوتية أمر مهم للغاية؛ كى تنفادى الاختلاط الحادث عند كثير من المتكلمين بين هذه الأصوات المتشابهة التى بينها فارق صوتى بالتفخيم أو الترفيق.

أيضاً الكلمات ذات النهايات الصوتية الواحدة فى حين يختلف الحرف الأخير من كلمة لأخرى، مثل: عصا، مبنى، هدى، سعى، دعا... إلخ.

فينبغى تحديد الزمن الصوتى الذى يميز مبنى متشابهاً مع مبنى آخر.

٢- فى المستوى الصرفى:

على مستوى المعجم، فليس هناك ترتيب معهود ينظم الأفعال والأسماء، والمجرد والمزيد... إلخ فى ترتيب وتنظيم يخرجنا من عشوائية عرض كلمات المادة الواحدة فى المعجم العربى، اللهم إلا بعض المحاولات المعاصرة، على نحو ما نجد فى المعجم الأساسى.

إن ضبط هذا العنصر يُعد خطوة فى تيسير العربية للتعامل مع الحاسوب.

٣- في المستوى التركيبى:

يشمل هذا المستوى التراكيب الصغرى فى العربية التى لا تكون جملة، مثل:

المضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف .. إلخ.

كما يشمل أيضاً التراكيب الكبرى التى تكون جملة (فعلية أو اسمية)، ومسألة الوجوه المختلفة للإعراب ينبغى تقنينها بشكل محدد، كذلك ضبط أنماط الجملة فى العربية ضبطاً يقوم على اعتبار الواقع، ويتسم بالدقة والوضوح كى ننجح فى تيسير العربية للحاسوب.

٤- فى المستوى الدلالى:

مطلوب ضبط المجالات الدلالية للعربية على النحو التالى:

١- مجالات دلالية عامة (رئيسة).

٢- مجالات دلالية خاصة (فرعية).

٣- مجالات دلالية جزئية.

... وهكذا، وتوزيع الثروة اللفظية للعربية على المجالات الدلالية بتحديد ووضوح

كى يتيسر برمجة العربية دلالياً على الحاسوب.

ويتطلب هذا تحديد الملامح الدلالية العامة لكل مجال دلالى، وأيضاً تحديد الملامح

الدلالية المميزة داخل كل مجال.

اللغة والمعلومات والعولمة

اللغة هي المحور الأساسى لنقل المعلومات، على اختلاف أنواعها وتشعبها بمجالاتها؛ فالعقل الإنسانى يفكر باللغة، ويترجم أفكاره إلى اللغة، والنشاط الإنسانى بأسره لا تقوم له قائمة بدون اللغة.

وفى مجال المعلومات يلزم أن تعالج اللغة آلياً بواسطة الكمبيوتر، لكى تقوم بدورها فى نقل المعلومات.

ولقد استحدثت اللغة لنفسها — فى ظل الكمبيوتر والمعلوماتية — أدواراً جديدة، بجوار دورها الاقتصادى والسياسى والمعرفى السابق، فاللغة تسهم بدور أساسى فى الأفكار المحورية للغات البرمجة، وتعد اللغة والنظام اللغوى عنصراً جوهرياً فيما يطرح على ساحة الذكاء الاصطناعى (الجيل الخامس من الكمبيوتر)، حيث ينتظر أن تقوم اللغة بدور الوسيط فى الحوار بين الإنسان والآلة (الكمبيوتر المفكر)، ونحن فى انتظار التواصل نصف البشرى مع الآلة، لدرجة أنه ربما يكون فى الإمكان أن يتم تبادل المعلومات بين الإنسان والآلة، الأمر الذى لا بد أن يكون غير اللغة. وإن كنا لا نود — هنا — أن نشير الأوهام بشأن الآلة التى تفكر للإنسان، أو حتى تحلم له وبه !! فقط نشير إلى الدور المحورى للغة فى العلاقة بين الإنسان والآلة فى كل مستويات تطورها.

هذا عن اللغة بوجه عام؛ فإذا انتقلنا إلى الحديث عن دور كل لغة فى مسألة المعلوماتية والمعالجة بالكمبيوتر، فإن ذلك سيرتبط — فى الوقت الحالى — بالعولمة وتأثيراتها على اللغة، فهل تؤثر العولمة على اللغة إيجاباً أم سلباً؟ وفقاً أم صراعاً؟.

ولعل السمة الأولى من سمات العولمة أنها لا تعترف بالخصوصيات الثقافية أو اللغوية. وهذه السمة لها — بدورها — تأثير مزدوج على اللغة: فهى، من ناحية، تضع

اللغة في إطار النظرية العامة، وتنظر إلى اللغات الإنسانية بوصفها كلاً، وتتيح لنا أن ندرك القواسم المشتركة ومواضع الاختلاف والتباين بين اللغات. وعلى قدر قرب اللغة من هذا النموذج النظرى تتخذ موقعها في إطار المعلوماتية.

ومن ناحية أخرى تؤثر العولمة بالسلب على اللغة، حيث تفرض سيادة لغة من لغات الدول التي تهيمن على العالم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، ويستتبع هذا سيادة الثقافة والقيم الخاصة بهذه اللغات. وبالتبعية يحدث تهميش وإزاحة للغات والثقافات الأخرى عن موقع التأثير، والدليل على هذا أن شبكة (الإنترنت) بما تحمله من فيضان المعلومات المختلفة، تهيمن عليها اللغة الإنجليزية، مما يثير فرع الدول التي لا تنطق بالإنجليزية، لأن الأمر لا يقف عند حدود اللغة فقط، بل يتعداها إلى سيادة الثقافة المتصلة بها.

العربية وتحديات العولمة

تتسم العربية بملامح وسمات لغوية تؤهلها لاستيعاب كل التغيرات المستحدثة والتباينات المختلفة في اللغات الأخرى، وبذلك فهي مهیئة — من داخلها — لأن تصبح لغة عالمية.

وقد نجحت العربية في هذا الدور في عصور الازدهار والفتوحات، وكانت أداة فعّالة لنقل المعارف والعلوم، حتى قيل في المثل:

"عجبت لمن يدعى العلم ويجهل العربية!!".

ومن أهم الخصائص اللغوية التي ترشح العربية للعالمية: التزامها بالقاعدة الذهبية فيما يخص التوازن اللغوي، فهي تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى.

وفي ظل العولمة تتعرض العربية لحركة تهميش وإزاحة، بفعل الضغوط الهائلة الناجمة عن طغيان الإنجليزية، على المستويات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية بالإضافة إلى ما يشبه "حرب العولمة" ضد الإسلام، وبالتالي ضد العربية، وسعى المستشرقين لإضعاف اللغة العربية والتهويل من شأن مشكلة الفروق اللهجية بين الأقطار العربية، وإغفال نموذج الفصحى المرتبط بالقرآن الكريم، الذي يفهمه كل العرب؛ مما يدل على اتفاقهم في لغة واحدة تعينهم على صنع كتل لغوي ثقافي، بدلاً من الاستسلام للتغريب في ظل هيمنة الإنجليزية على الكمبيوتر والإنترنت.

■ العربية ودور اللغة في عصر المعلومات (النظور العربي):

تعانى لغتنا العربية واقعاً مريراً، يتمثل فيما نشهده من تقاعس لغوي ينحو بها بعيداً عن التواصل مع الثقافات العالمية واتخاذ موقعها على خارطة المعلومات العالمية، وحسبك أن تنظر إلى إعلانات التلفزيون ولافتات الشوارع وغيرها، وما تحتوى عليه

من ألفاظ أجنبية، مثل : السلام شوبنج سنتر، الحرية مول، سوبر ماركت ... الخ. على الرغم من وجود كلمات عربية للتعبير عن هذه المسميات، وكأننا نسعى بإرادتنا إلى تدمير لغتنا وثقافتنا العريقة، ونحرم أنفسنا عمدًا من عضوية نادى المعلومات العالمى، فى حين تعمل الأمم الأخرى جاهدة للوصول إلى موقع لغوى متميز على الساحة العالمية، فنجد إسرائيل — مثلاً — تحرم استخدام المصطلح الأجنبى فى حالة توفر مقابل له بالعبرية.

ومن مظاهر الخمول والتقاعس اللغوى الذى تشهده العربية غياب إرادة الإصلاح اللغوى، ورغم وجود مجامع ومؤسسات لغوية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإن هذه المؤسسات لا تملك سلطة التشريع اللغوى، وكل ما لديها توصيات وقرارات توضع على الأرفف أو فى جبانة المعامل، كأنهم يؤلفون لأنفسهم!

ومن السلبيات التى تؤثر على العربية ضعف اهتمامنا بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بل لقد لحق الضعف بتعليم العربية لأبنائها أنفسهم، وحسبك نظرة عابرة إلى صحيفة أو مجلة أو كتاب، بل حتى إلى رسالة أكاديمية ل ترى العجب العجاب من أخطاء لغوية تمس البناء اللغوى كله، لا مجرد أخطاء نحوية يسيرة.

وعلى النقيض من هذه الحال المؤسسة تسعى الأمم الأخرى إلى حماية لغتها وفرضها على الخريطة الجيولغوية، فنجد اليابان تسعى حثيثًا لمواجهة الهيمنة الأمريكية على الإنترنت، وكانت البداية فى مشروع الجيل الخامس الذى أطلقته اليابان فى بداية الثمانينات، كردّ فعل تكنولوجى يهدف إلى كسر سيادة الإنجليزية، وقوبلت فى سعيها هذا بعقبات سياسية واقتصادية من جانب أمريكا لعرقلة هذا المشروع، إلا أن اليابان لم تستسلم لهذه الضغوط، وركزت على تكنولوجيا الترجمة الآلية، مستغلة تفوقها ولا شك أن نجاح مشروع الترجمة الآلية والجيل الخامس سيكسر حاجز القطب اللغوى

الأوحد، وسيمكنك — وأنت عربي أو فرنسي — أن تفتح جهاز الكمبيوتر فيقوم الجهاز بتحويل كل الكلام المكتوب بالإنجليزية إلى لغتك التي تتحدث بها.

وتسعى دول أخرى إلى فرض لغتها على الساحة العالمية، مثل ألمانيا التي تتجه حاليًا إلى إقامة حلف لغوي يجمع بينها وبين النمسا وسويسرا، وكذا تعمل فرنسا على توسيع نطاق اللغة والثقافة الفرنسيين في إطار منظمة الدول الفرنكوفونية.

وعلينا أن نضع أمامنا هذه المشروعات الطموحة ونحذو حذوها، بغية تحقيق الأمن اللغوي، حفاظًا على لغتنا الخالدة وحماية لها من طوفان التغريب الذي لن يقتصر على اللغة وحدها، بل سيمتد إلى الثقافة وأنماط التفكير والجذور والنبات التي تنتمي إليها رؤيتنا للعالم.

لذلك مطلوب في مواجهة ذلك أن ننشط فيما يلي:

- توثيق صلات العربية بفروع المعرفة المختلفة، مثل الإعلام (علم الإعلام اللغوي)، والسياسة (علم اللغة السياسي)، والاجتماع (علم اللغة الاجتماعي)، والفلسفة (علم اللغة الفلسفي) .. إلخ.
- دعم وتنمية الجهود التي تهدف إلى تعريب الكمبيوتر، وليكن شعارنا: التعريب في مواجهة التغريب.
- أيضًا توثيق علاقات اللغة العربية بالفنون بنظرة أوسع، وقد اختصرت تكنولوجيا المعلومات المسافة الفاصلة بين العلم والفن.
- وعلى العربية أن تستفيد في مسائل التنظيم والترتيب بما وصلت إليه علوم الرياضيات والإحصاء والهندسة.

ولا بد من تكاتف الجهود لوضع العربية وما تشمله من معارف وثقافات على قاعدة معلومات منظمة تكون مهيأة للمعالجة الآلية بالكمبيوتر، وذلك لأن أهمية موقع بأى لغة على الإنترنت لا تتأتى من مجرد الأسماء والبيانات التي يقدمها عن هذه اللغة، بل تتأتى أهميته بقدر ما يقدم من معلومات وأفكار تحملها هذه اللغة.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

١- الكتب

- الأمـدى : سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد التغلي ، ٥٥١ - ٦٣١هـ .
الإحكام في أصول الأحكام / حققه عبدالمنعم إبراهيم - مكة المكرمة :
مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٠ م . - ٤ ج × ٢ مج .
- إبراهيم : ابن أحمد المارغني التونسي . دليل الحيران: شرح مورد الظمان في رسم
وضبط القرآن للعلامة الخزاز / راجعه وحققه عبدالفتاح القاضي -
القاهرة: دار القرآن (١٩٧٤ م) . - ٤٧٧ ص .
- د. إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ . ط ٥ . القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٤ . - ٢٦٨ ص .
- في اللهجات العربية . ط ٦ . القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٣ م . -
٣٤٩ ص .
- د. إبراهيم السامرائي . التطور اللغوي والتاريخي . ط ١٣ . بيروت: دار الأندلس للطباعة
والنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م .
- أبو حيان النحوي: أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي، ٦٥٤
- ٧٤٥هـ . تفسير البحر المحيط . ط ٢١ . - (د - م): دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع . - ١٩٨٣ م . - ٨ ج .
- أبو داود السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن
عمران الأزدى، ٢٠٢ - ٢٧٥هـ . سنن أبي داود / إعداد وتعليق عزت
عبيد الدعاس . ط ١ . - حمص: نشر وتوزيع محمد علي
السيد، ١٩٦٩ م . - ٥ ج .

أبو السعود العمادى: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى الخنفي، ٨٩٨-٩٨٢هـ. تفسير أبي السعود: المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. - بيروت: دار إحياء التراث، (١٩٠٠م). - ج ٩ x ٤ مج.

أبو الفرج الأصفهاني: على بن الحسين بن محمد بن الهيثم عبدالرحمن بن مروان البغدادي، ٢٨٤ - ٣٥٦هـ. كتاب الأغاني. - القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩م.

أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الصوفي، ٣٣٦ - ٤٣٠هـ. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. - بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٩٨٠م). - ج ١٠.

ابن الأثير المؤرخ: عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، ٥٥٥ - ٦٣٠هـ. أسد الغابة في معرفة الصحابة. - بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٨٠م). - ج ٦.

أحمد محمد قدور. العربية الفصحى المعاصرة: دراسة في تطورها الدلالي من خلال شعر الأخطل الصغير. - لبنان: الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م. - ٤٣٣ص.

د. أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين. - ط ٢. - القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م. - ٢٦٩ص.

البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب. - بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٢م.

علم الدلالة. - ط ٣. - القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م. - ٢٩٧ص.

اللغة واختلاف الجنسين. - ط ١١. - القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٦هـ. - ١٩٩٦م. - ١٨٩ص.

اللغة واللون. - ط ٢. - القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م. - ٢٦٩ص.

محاضرات في علم اللغة الحديث . — ط ١ . — القاهرة: عالم الكتب،
١٩٩٥م. — ١٩٩ص.

أولمان: ستيفن . دور الكلمة في اللغة / ترجمة وتقديم وتعليق كمال محمد بشر . —
القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٢م. — ٢٦٣ص.

الأشـموني: نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى بن يوسف، ٨٣٨ — ٩٠٠ هـ.
شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية
ابن مالك / حققه وشرحه شواهد محمد محيي الدين عبد الحميد . — ط
٢. — القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٨هـ —
١٩٣٩م. — ٣مج.

الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان، ٢٧١ —
٣٢٨هـ. كتاب الأضداد/ حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . — بيروت:
المكتبة العصرية، ١٩٨٧م — ٥١٧ص.

الباقيوري: أحمد حسن. أثر القرآن في اللغة العربية . — ط ٣ . — القاهرة: دار
المعارف، ١٩٨٣م. — ١٣٢ص.

بـي: ماريو. أسس علم اللغة/ ترجمة د. أحمد مختار عمر . — ط ٢ . —
القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣م. — ٢٩١ص.

البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، ١٩٤ —
٢٥٦هـ. صحيح البخاري/ حققه محمد زكي الدين محمد
قاسم . — القاهرة: دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ —
١٩٩٢م. — ٤مج.

د. البلداوي زهران . علم اللغة التطبيقي في المجال التقابلي . — ط خاصة . —
القاهرة: (د - ن)، (١٩٩٧).

بـرس: ير . اللغة بين الفرد والمجتمع / ترجمة أيوب عبدالرحمن . — القاهرة:
مكتبة الأنجلو، ١٩٥٤م.

- ابن الجزرى : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري، ٧٥١ — ٨٣٣هـ. النشر في القراءات العشر / إشراف ومراجعة على محمد الضباع . — بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٨٠م) . — ٢ ج.
- ابن جماعة : بدر الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكنانى الحموى، ٦٣٩ — ٧٣٣هـ. كشف المعاني في متشابهه المثنى . — حققه وقدمه وعلق عليه د. محمد محمد داود، القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م . — ٢٧٤ ص.
- ابن جنى: أبو الفتح عثمان الموصلى البغدادى، ٣٣٠ — ٣٩٢هـ. الخصائص . — حققه محمد على النجار . — ط ٣ مزيدة ومنقحة . — القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م . — ٣ ج.
- الحاكم النيسابورى: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدون بن نعيم الضب الطهمانى، ٣٢١ — ٤٠٥هـ. المستدرک على الصحيحين / أشرف عليها يوسف عبدالرحمن المرعشلى . — بيروت: دار المعرفة، (١٩٠٠م) . — ٥ ج.
- د. حسن حنفى ... (وأخ). لغتنا العربية في معركة الحضارة / إشراف محمود أمين العالم . — القاهرة: قضايا فكرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م . — ٣١٣ ص.
- د. حلمى خليل مقدمة لدراسة علم اللغة . — الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م . ١٧٩ ص.
- ابن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد بن إدريس الشيبانى، ١٦٤ — ٢٤١هـ. المسند / شرحه وصنّفه أحمد محمد شاكر . — ط ٣ . — القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٩ — ١٩٨٠ . — ٢٠ ج × ١٠ مج.
- الخطيب القزوينى: جلال الدين أبو المعالى محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد، ٦٦٦ — ٧٣٩هـ. الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع . — ط ١ . — بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م . — ٤٤٨ ص.

ابن خلدون: ولى الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الأشبيلي، ٧٣٢ — ٨٠٨هـ. مقدمة ابن خلدون. ط ٦. — بيروت: دار القلم، ١٩٨٦م. — ٥٩٢ص.

الخليل بن أحمد: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ١٠٠—١٧٠هـ. كتاب العين / حققه مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. — العراق: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ — ١٩٨٤م. — ٤ مج.

د. داود عبده دراسات في علم اللغة النفسى. — الكويت. — جامعة الكويت: مطبوعات الجامعة ١٩٨٤م. — ١٢٦ص.

د. رمضان عبدالنواب بحوث ومقالات في اللغة. — ط ١. — القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م. — ٢٨٨ص.

التطور اللغوى: مظاهره وعلله وقوانينه. — ط ٢ مزيدة ومنقحة. — القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٠م. — ٢٣١ص.

الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدالله بن مدحج بن محمد بن عبدالله بن بشر الإشبيلي، ٣١٦ — ٣٧٩هـ. طبقات النحويين واللغويين / حققه محمد أبو الفضل إبراهيم. — ط ٢. — القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م. — ٤١٤ص.

الزجاجي: أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق النهاوندى البغدادى، ... — ٣٤٠هـ. مجالس العلماء / حققه عبدالسلام محمد هارون. — ط ٢. — القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٨٣م. — ٣٤٤ص.

الزركشى: بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله التركي المصرى، ٧٤٥ — ٧٩٤هـ. البرهان في علوم القرآن / حققه محمد أبو الفضل إبراهيم. — القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٥٧م. — ٤ مج.

- الزَمخَشَرِي: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، ٤٦٧ — ٥٣٨هـ. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. — ط ١. — بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م. — ٤ مج.
- ستكيفتش: جاروسلاف. العربية الفصحى الحديثة: بحوث في تطور الألفاظ والأساليب / ترجمه وعلق عليه محمد حسن عبدالعزيز. — الجزيرة: دار النمر للطباعة، ١٩٨٥م. — ٢٩٨ص.
- د. سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام. — القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٠هـ. = ١٩٨٠م. — ٣٣٣ص.
- د. السعيد محمد بدوي. مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة. — القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م. — ٢٢٣ص.
- سيويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ١٤٨ — ١٨٠هـ. الكتاب: كتاب سيويه / حقه وشرحه عبدالسلام محمد هارون. — ط ٣. — القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م. — ٥ ج.
- السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيرى، ٨٤٩ — ٩١١هـ. الإتقان في علوم القرآن. — بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م. — ٢ ج.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / حقه محمد أبو الفضل إبراهيم. — ط ٢. — بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م. — ٢ مج.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها / شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى. — بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٦م. — ٢ ج.
- ابن سيده: أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسي، ٠٠٠ — ٤٥٨هـ. المخصص. — بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م. — ١٧ سفرًا × ٥ مج.

د. صبرى المتولى: دراسات فى علم الأصوات / أجازته: د. شوقى ضيف . - القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م. - ١٢٤ص.

صلاح عبدالصبور: الأعمال الكاملة . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م. - ج ١، ج ٤ - ١١.

الطبرانى: ابو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى، ٢٦٠ - ٣٦٠هـ. المعجم الأوسط / حققه محمود أحمد الطحان . - ط ١ . - الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م. - ج ١١.

الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملى، ٢٢٤ - ٣١٠هـ. جامع البيان عن تأويل آى القرآن . - بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م. - ١٥ مج.

د. طه الدسوقي: حيثش الدمياطى . الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة . - ط ١ . - القاهرة: مكتبة رشوان، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م. - ٤٢٧ص.

ابن عبد البر القرطبى: جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمرى المالكى، ٣٦٨ - ٤٦٣هـ. الاستيعاب فى معرفة الأصحاب / حققه على محمد الجاوى . - ط ١ . - بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م. - ٤ مج.

د. عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة . - ط ١ . - القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٦٣م. - ٢٢٣ص.

د. عبد الصبور شاهين: دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس / مؤلف مشارك د. على حلمى موسى . - الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م. - المطبوعات رقم ٣٢.

العربية لغة العلوم والتقنية . - ط ٢ . - القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م. - ٤٧٠ص.

في التطور اللغوي . — القاهرة: مكتبة دار العلوم، ١٣٩٥هـ =
١٩٧٥م. — ٢٥٥ص.

في علم اللغة العام . — ط ٤ . — بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٩٨٤م. — ٢٨٨ص.

د. عبدالعزيز شرف . اللغة الإعلامية: علم الإعلام اللغوي . — القاهرة: المركز الثقافي
الجامعي، ١٩٨٠م. — ٢٣٨ص.

د. عبدالعزيز مطر . لحن العامة: في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . — ط ٢ . —
القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م. — ٤١٠ص .

عبد الوارث عسر . فن الإلقاء . — ط ٣ . — القاهرة: اهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥
م . — ١٧٣ص .

د. عبده الراجحي . فصول في علم اللغة . — الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م .
— ٢٠٣ص .

اللهجات العربية في القراءات القرآنية: الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،
١٩٩٥م. — ٢٧٦ص.

ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري الأشبيلي المالكي،
٤٦٨ — ٤٥٣هـ. عارضة الأحوذى: بشرح صحيح الترمذى . —
بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٠٠م. — ١٣ ج ٧ × مج.

العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، ...،
٣٩٥هـ. الصناعتين / تحقيق على الجاوى، محمد أبو الفضل
إبراهيم . — القاهرة: (د.ن)، ١٩٥٢.

على حلمى موسى: ألفاظ القرآن الكريم: دراسة علمية تكنولوجية . — (د — م : د — ن)،
٢٠٠٠م. — ١٩٠ص.

د. على عبدالواحد واقي . علم اللغة . ط ٩ مزيدة ومنقحة . — القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٤م . — ٣٤٦ ص.

فقه اللغة . — ط ١١ . — القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٨م . — ٣٢٨ ص.

على محمد الضباع . سمير الطالبين : في رسم وضبط الكتاب المبين / قرأه ونقحه وأذن بتدريسه محمد علي خلف الحسين . — ط ١ . — القاهرة: عبدالحميد أحمد حنفي، ١٩٣٦م . — ١٨٩ ص.

غانم قدورى الحمد . رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية . — العراق : اللجنة الوطنية، ١٩٨٠م = ١٤٠٢هـ . — ٨٢٢ ص.

الغزالي: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ٤٥١ هـ = ١٠٥٠ م . فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة . — القاهرة: (د.ن) ، ١٣٢٥هـ .

ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، ... — ٣٩٥ هـ . الصاحبي في فقه اللغة . — القاهرة: مطبعة المؤيد، ١٩١٠م .

د. فايز الدايدة . الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري . — دمشق: دار الملاح، ١٩٧٨م .

فرحان بلبل . أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي . — القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م . — ٢٦٣ ص.

فندريس . اللغة / ترجمة عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص . — القاهرة: (د — ن) ، ١٩٥٠م .

د. كريم زكي . حسام الدين . أصول تراثية في اللسانيات الحديثة . — ط ٣ مزيدة ومنقحة . — القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٢١ = ٢٠٠١م . — ٣٢٧ ص.

أصول تراثية في علم اللغة . ط ٢ . القاهرة: مكتبة الأنجلو،
١٩٨٥م . — ٣١٦ص.

القراءة: دراسة أنثروغوية لألفاظ وعلاقات القراءة في الثقافة العربية. —
ط ١ . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م . — ٣٧٩ص.
المخطوطات اللغوية . ط ١ . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٨٥م . — ١٢٣ص.

جورج . لغة السياسة / ترجمة ميشيل كيلو . ط ٢ . بيروت: دار
الحقيقة، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م . — ٢٢٤ص.

د. كمال محمد بشو: التفكير اللغوي بين القديم والجديد . ط ٢ . القاهرة: جامعة القاهرة،
كلية دار العلوم، ١٩٨٩م . — ٢٧٣ص.

دراسات في علم اللغة، ط ٢، القاهرة، دار المعارف ١٩٧١م، ق ٢ .
علم اللغة الاجتماعي: مدخل، ط ٣، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٩٩٧م.

ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد الريحى القزوينى، ٢٧٣:٢٠٩هـ . سنن ابن ماجه
حقيقه محمد فؤاد عبدالباقي . — بيروت: المكتبة العلميه، ١٩٥٤م . ٢ ج.

د. مازن المبارك . نحو وعى لغوى . ط ٢ . بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ
= ١٩٨٥م . — ٢٠٨ص.

د. مازن الوعر . دراسات لسانية تطبيقية . — دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة
والنشر، ١٩٨٩م.

مالبرج، بوتيل . علم الأصوات / ترجمة عبدالصبور شاهين . — القاهرة: مكتبة الشباب،
١٩٨٨م . — ٣٢١ص.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير بن حسان الثمالى
الأزدى، ٢١٠ — ٢٨٥هـ . الكامل / حقيقه محمد أحمد الدالى، ط ١
بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م . — ٤مج.

ابن المشفى: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصرى الشعبى الخارجى، ١١٢هـ - ٢٠٩ هـ. مجاز القرآن / تحقيق سزكين . - القاهرة: مكتبة الخانجى، (١٩٨٠).

مجى محمد الباكر البرازى . مشكلات اللغة العربية المعاصرة . - ط ١ . - عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م . - ٢٥٦ ص.

محمد إسماعيل محمد . الكلمة المذاعة : الدعاية - الخير - الحديث . - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦ . - ١٩٦ ص.

محمد بكر إسماعيل . الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة . - ط ٢ . - القاهرة: دار المنار، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م . - ٣ مج.

محمد خلف الله (محقق ومعلق). ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للربمانى والخطابى وعبدالقاهر الجرجانى: فى الدراسات القرآنية والنقد الأديبى/تحقيق: محمد زغلول سلام. ط ٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م . ٢٣٠ ص.

د. محمد عيد . المظاهر الطارئة على الفصحى: اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب، المصطلح العلمى . - القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٠م . - ١٧٤ ص.

محمد فهد خاروف . الميسر فى القراءات الأربعة عشر / راجعه محمد كريم راجح . - دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

د. محمد محمد داود . الصوائت والمعنى فى العربية: دراسة دلالية ومعجم . - القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م . - ٢٢٦ ص.

محمد محمد يوسف الطحلاوى . الشعر الجاهلى وأثره فى تفسير معانى القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثانى الهجرى . - بنغازى: منشورات جامعة قاربونس، ١٩٩٠م . - ٤٤٥ ص.

د. محمود السمران . علم اللغة، مقدمة للقارئ العربى . - القاهرة: دار الفكر العربى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م . - ٤٦٢ ص.

- محمود شريف: فن الإلقاء . - القاهرة: أبوللو للنشر والتوزيع، ١٩٩٢ م. ١١٢ ص.
- د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية . - القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٢ م. - ٣٧٩ ص.
- مدخل إلى علم اللغة . - ط ٢ ثانية معدلة . - القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م. - ١٩١ ص.
- مرتضى الزبيدي: أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن الرزاق الحسيني، ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ. لحن العوام / حقه: د. رمضان عبدالنواب . - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦ م.
- مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري، ٢٠٦ - ٢٦١ هـ. صحيح مسلم . - القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤ م. - ٥ ج.
- د. مصطفى فهمي: أمراض الكلام . - ط ٥ . - القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٥ م. - ٣٤٠ ص.
- ملا علي القاري: نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي، ، ١٠١٤ هـ. المنح الفكرية: شرح المقدمة الجزرية . - القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٨ م. - ٨٣ ص . - بهامشه شرح أبي يحيى زكريا الأنصاري على المقدمة الجزرية / لأبي الخير محمد الجزري.
- المنأوى: زين الدين محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي القاهري الشافعي، ٩٥٢ - ١٠٣١ هـ. فيض القدير: شرح الجامع الصغير / حقه حمدي الدمرداش محمد . - ط ١ . - مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م. - ١٣ ج.

ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن
حبيقة الأنصاري المصري، ٦٣٠: ٧١١هـ. لسان العرب . ط ١، ٣
بيروت: دار صادر، ١٩٩٠ — ١٩٩٤ م. — ١٨ مج.

الناطقة الذبياني: أبو أمانة زياد بن معاوية بن ضباب الغطفاني، (... — نحو ١٨ ق هـ =
... نحو ٦٠٤ م). ديوان الناطقة الذبياني / شرحه وقدمه عباس عبدالساتر
ط ١ . — بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤ م. — ١٦٨ ص.

نجاة علي: بين النظرية والتطبيق / قدمه مختار السويفي . — القاهرة: الدار المصرية
اللبنانية، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦ م. — ١٩٩ ص.

ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم الوراق البغدادي، ... —
٤٣٨هـ. الفهرست / علق عليه إبراهيم رمضان . ط ١. بيروت: دار
المعرفة، ١٩٩٤ م. — ٤٦٤ ص.

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار،
٢١٥ — ٣٠٣هـ. كتاب السنن الكبرى / حققه عبدالغفار سليمان
البنداري، سيد كردى حسن . ط ١ . — بيروت: دار الكتب العلمية،
١٩٩١ م. — ٧ ج.

هجمان، روى. سى: اللغة والحياة والطبيعة البشرية / ترجمه وقدمه داود حلمي أحمد السيد .
— الكويت: جامعة الكويت، . . ١٩٩ م. — ٢٠٣ ص .

وفاء محمد البيه: موسوعة عربية: تشريحية — فسيولوجية — نطقية — صوتية — لغوية —
تعليمية — علاجية . — القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ م .
— ١٨٢٧ ص.

ويلسون: جلين. سيكولوجية فنون الأداء / ترجمة: د. شاكر عبدالحميد؛ مراجعة:
د. محمد عناني . — الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،
١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م . — ٤٣١ ص.

يحيى بن حمزة: بن على إبراهيم العلوى، ٦٦٩ - ٧٤٩هـ. كتاب الطراز المتضمن
لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . - بيروت: دار الكتب
العلمية، ١٩٨٢ م. - ٣ ج.

٢ - الدوريات

د. أحمد مختار عمر مجلة فصول . ع ٣، مج ٤. مقالة بعنوان: اللغة العربية بين الموضوع
والأداة.

د. عبدالصبور شاهين مجلة الأمة . - س ٦ ع ٦١ . - مقالة بعنوان: قدرة العربية على
استيعاب علوم العصر.

د. محمد محمد داود مجلة علوم اللغة، س ٣ ع ١مج ٣ (٢٠٠٠) . - القاهرة: دار غريب،
١٩٩٨ م. - مقالة بعنوان: المغفرة، دراسة دلالية تأصيلية.

محمود فهمى حجازى مجلة عالم الفكر مج ٣، ع ١٦ . - مقالة بعنوان: أصول النبوية فى علم
اللغة .

٣ - محاضرات الجلسات

مجمع اللغة العربية القاهرة : المجمع، (د.ت) . - مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى
إلى الدورة الثامنة والعشرين.

مجمع اللغة العربية القاهرة : المجمع، (د.ت) . - محاضرات جلسات المجمع الدورة ٤٣ . -
مقالة بعنوان: اللغة العربية المعاصرة.

ثانياً: الأجنبية

١- إنجليزية

- Akmazion: Adrian.** Linguistics: An introduction to Language and communication . – 3ED . – Cambridge: The MIT press, 1993 . – 508P.
- Azar: Betty S- chrampfer.** Fundamentals of English Grammar . – New Jersey: prentice Hall Regents, 1992 . – 220P.
- Chwat: Sam.** Living Language Speak up! . – New York: Crown publishers, Inc, 1994 . – 255P.
- Crystal: David** .The Cambnridge Encyclopedia of Language . – Cambridge: University press, 1987 . – 472p.
- Finegan: Edward.** Language, its structure and use . – 2Ed . – America: harcourt Brace College Publishers, 1994 . – 536p.
- Fodor: janet Dean** . Semantics Theories of meaning in Generative Grammar . – 2Ed – New York: Harvard University press, 1982.
- Fromkin: Victoria** .An introduction to Language / Robert Rodman . – 3 ed . – New York: Hall, Rine Hart and minston, 1978.
- Holes: Clive** Modern Arabic: Structure, Functions and Varieties . – London: Longman, 1995 . – 343P.
- Hurford: james. R** .Semantics : a coursebook \ Brendum Heasley . – New York: Cambridge University press, 1990.
- Kempson: Ruth M** .Semantic Theory . – New York: Cambridge University press, 1989.
- Levinson: Stephen. C** .Pragmatics . – New York: Cambridge

University press, 1989.

- Lyons: John** .Language and linguistics . – New York: Cambridge University press, 1987.
.Semantics . – Cambridge: University press, 1977 . – 2 Volumes.
- Palmer: F. R** .Semantics: a New outline . – Cambridge: Cambridge University press, 1976.
- Robins: (R.H)** .A short history of Linguistics . – London (w-p) , 1979.
- Smith: Neil** .Modern linguistics: The Results of chomsky's Revolution \ Deide Wilson and Deirdre Wilson . – Bloomington: Indiana University press, (19..).

٢ - فرنسية

Robert: Paul .Petit Robert: Dictionaire de la langue Francais . – Paris: Paul Robert, 1977.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

تم بحمد الله

دار ضريب للطباعة
١٢ شارع نويار (الاعوانى) القاهرة
تليفون (٥٨) ٧٩٠٠٧٩